الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم: التاريخ

الحياة الفكرية بسرقسطة البيضاء خلال عهد ملوك الطوائف

(431-512هـ/1039-1118م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في ***التاريخ الوسيط***

من إعداد الطالبة:
فطيمة عابد

تحت إشراف :
ا.د.سامية ابو عمران

اعضاء لجنة المناقشة:
د.نبيلة عبد الشكور(رئيسا)
د.سامية ابو عمران(مقررا)
د.عبد الحميد خالدي(عضوا)
د.قويدر بشار (عضوا)

السنة الجامعية
1429 1430هـ\2008 2009م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

اشكر الله تعالى لأنه منحني القوة والإرادة لأتمكن من انهاء هذا العمل .

فلولا الله عز وجل لكنت فقدت الأمل واستولى علي الياس لقوله تعالى "واشكروا لي ولاتكفرون" سورة البقرة اية 152

والصلاة والسلام على اشرف خلق الله نبينا محمد صلوات الله عليه وازكى تسليما .

اتقدم بالشكر الجزيل والإحترام الى استاذتي المحترمة الدكتورة سامية ابو عمران على المجهودات التي بذلتها طيلة اشرافها على البحث.

كما اشكر استاذي المحترم الدكتور محمد الامين بلغيث الذي وجهني الى دراسة الموضوع.
والى كل اساتذة و عمال قسم التاريخ دون ان ننسى عمال المكتبات.

الإهداء

اهدي ثمار جهودي الي من علمتني معنى الإرادة و المثابرة الى امي الغالية

الى من علمني معنى التحدي والقوة الى ابي الكريم الى

زوجي عاشور بهلولي رفيق دربي الذي ساعدني على

اتمام هذا العمل الى جميع اخوتي نجمة وصورية وزهرة وعيسى ومحند العربي والى جميع صديقاتي .

والى تياقوت مامونى والى مليكة بوصوف واولادها رمزي وياسمين و وسيم

اليهم اهدي هذا العمل

الفصل التمهيدي

مدخل:

أ تعريف سرقسطة:

سَرَقُسْطَة مدينة قديمة بالأندلس[1]، بفتح أوله و ثانيه، ثم قاف مضمومة و سين مهملة ساكنة و طاء مهملة، تنطق أيضا سراقوسا[2]، و تكتب باللغة الإسبانية ZARAGOZA[3]، و هي من المدن العريقة التي بناها الرومان، و كان يطلق عليها في العصر الروماني هذا الإسم نسبة إلى سايز يريا أوغستا[4]، Gaesar augusta أو Carakusta[5]. الإسم الذي أطلقه الإمبراطور أوغوسطس[6]، وقيل بأنه بناها على شكل صليب. و التي تعني قصر السيد[7]، نسبة إلى قيصر[8] الذي اختار ذلك المكان بالأندلس، كما يرجع له الفضل في بنائها[9]، عام 23 ق.م[10]، و تسمى أيضا المدينة البيضاء[11]، نسبة إلى أسوارها المبنية بالجص و الجير الأبيض[12]، و يقال أيضا من الرخام الأبيض[13]. و لهذه المدينة وصف جميل في الكتب التأريخية و الجغرافية.

---

[1] **الحميري محمد عبد المنعم؛** الروض المعطار في خبر الأقطار؛ (معجم جغرافي مع مسرد عام)، حققه: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م ص 317، ياقوت الحموي، أبي عبد الله؛ معجم البلدان، ط.2، دار صادر، بيروت، 1995م، المجلد الثالث، ص 212.

[2] **ياقوت الحموي**، نفسه، ص 212.

[3] **عدنان فائق عنبتاوي**؛ حكايتنا في الأندلس، ط.1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1989م، ص 337.

[4] **الموسوعة العربية العالمية**؛ ط.1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الرياض، 1994م، ج.12، ص 236؛ Sourdel, (Janine et Dominique), Dictionnaire historique de l'Islam, 1éd, p.u.f, Paris, 1966, p.733,Encyclopédie de l'Islam ,Zaragoza, Encyclopédie de l'Islam, nouvelle édit, Leiden, Brill, 1998, tom IX, p36

[5] **أنظر:** **Levi-Provençal** (E), Histoire de l'Espagne musulmane, (siècle du califat de Cordoue), édit.Maisonneuve et Larousse, 1999 tome VI, p.353.

[6] هو **الإمبراطور البيزنطي**، و يمثل الحاكم الفرد، و كان يلقب بالإمبراطور أوغسطس، بحيث أنه الممثل الوحيد للكنيسة، بعد أن اعترف القسطنطين الكبير بالمسيحية في مشمل القرن الرابع للميلاد. أنظر: ل.م هارتمان و جبارا كلاف؛ الدولة و الإمبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة و تعليق؛ جوزيف يوسف، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1985م، ص12.

[7] المقري، المصدر السابق، ص 150.

[8] قيصر ملك روما الذي تؤرخ من مدته مدة الصفر قبل مولد المسيح. نفسه، نفس الصفحة.

[9] **الحميري**، المصدر السابق، ص 317، المقري، أحمد بن محمد؛ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1308م 1968م، المجلد الأول، ص 150.

[10] **المقري**، نفسه، نفس الصفحة.

[11] **الحميري**، نفسه، نفس الصفحة؛ **Levi-Provençal** (E), Ibid, p 354.

[12] **الحميري**، نفس المصدر، ص317.

[13] **نفسه**، نفس الصفحة، **ياقوت الحموي**، المصدر السابق ص 212 213.

أما الأمم التي إستوطنتها، فتذكر المصادر، أنها صارت بعد الرومان ملك للغاليين، الذين تمكنوا من احتلال معسكر القيصر[1]، ثم خضعت للقوط الذين أبعدوهم عن السلطان[2]. اتخذوا من طليطلةToledo[3]، عاصمة لهم سند 567م[4]، و بقيت سرقسطة في قبضتهم لقرون عدة[5]، و في عهد المسلمين فتحت الأندلس يوم الأحد 28 رمضان 92هـ/711م[6]، و استطاعوا القضاء على القوط، و تحركوا إلى فتح مدائنها الواحدة تلوى الأخرى، و كان فتح مدينة سرقسطة حوالي عام 95هـ /714م[7]، و تذكر المصادر التاريخية، أن العرب لم يلتقوا مواجهات صعبة في فتحهم للمدن الشمالية و الشرقية، عكس المناطق الجنوبية و الغربية[8]، و نستنتج من هذا أن فتح سرقسطة لم يكن صعبا عليهم. و أصبحت في عهدهم قاعدة للثغر الأعلى[9]، و السؤال المطروح: لماذا اختار العرب من سرقسطة قاعدة لهم؟ و قد أشار إلى ذلك الدكتور خليل إبراهيم السامرائي في رسالته، حين قال بأن: "سرقسطة في ذلك العهد، تمثل ولاية الحدود الشمالية في الجغرافية الأندلسية و كانت الجيوش الإسلامية في غزواتهم على المناطق الشمالية، ونقصد بها كل من قشتالة Castilla، وآلبة و القلاع و جيليقية Galicia،

---

[1] **حسين مؤنس**؛ موسوعة في تاريخ الأندلس، (فكر و تاريخ و حضارة و تراث)، ط.1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1416هـ 1996م، ص145.

[2] **الموسوعة العربية الميسرة**؛ ط.2، الجمعية المصرية لنشر المعرفة دار الجبل، بيروت القاهرة تونس، 2001م. المجلد 3، ص 1331.

[3] سماها القيصر بلسانه "بزليطة"، و الأصح "تولاظو" باللغة اللاتينية، ثم عربت إلى طليطلة، و معناه باللغة العربية "**فُرِّح ساكنوها**"، و تأويل ذلك: "أنت فارح"، و في هذا إشارة إلى الأصل اللاتيني "Tu ledo " و سميت بمدينة الملوك، و هي المدن القديمة التي بناها الرومان و ذلك عام 192 ق.م، و في عهد المسلمين سميت بالثغر الأدنى، ثم أصبحت في عهد ملوك الطوائف دار مملكة بني ذي النون منذ 426هـ 1035م، لكنها سقطت في أيدي النصارى عام478هـ 1085م. أنظر: المقري، المصدر السابق، ص 161- 162، الإدريسي، أبو عبد الله؛ القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس؛ مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق و تعلق؛ إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983م، ص 275- 276، القزويني؛ آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1960م، ص 545- 546، **شكيب أرسلان**؛ الحلل الندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، دار مكتبة الحياة بيروت، د.ت، ج.1، ص 438- 440، 363- 376، أنظر:

[4] **الحميري**، المصدر السابق، ص34، صاعد الأندلسي؛ طبقات الأمم، تحقيق: **حياة بوعلوان**، ط.1، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 1985م، ص 198، المقري، المصدر السابق، ص 162، **شكيب أرسلان**، المرجع السابق، ص 377.

[5] **الموسوعة العربية الميسرة**، المرجع السابق، ص 1331.

[6] **ابن الخطيب**؛ لسان الدين؛ تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط.2، دار المكشوف، 1956م، ص 6، المقري، المصدر السابق، ص 254 و ما بعدها.

[7] **مجهول**؛ أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها، طبعة ريبدينر، 1967م، 29- 30، المقري، المرجع السابق، ص 273- 274.

[8] **المقري**، نفسه، ص 273.

[9] **الحميري**، المصدر السابق، ص 317، أنظر الخريطة رقم (1).

يسيرون إلى سرقسطة و منها يهاجمون على المناطق المقصودة. بالتالي تعتبر سرقسطة منطقة عسكرية جد هامة باعتبارها قاعدة للقضاء على حركة المقاومة النصرانية في الشمال و الشمال الغربي[1]، و يشتمل الثغر الأعلى على عدة مدن، منها سرقسطة، و هي أم ذلك الثغر على حد قول المقري[2]، و من مدنه أيضا تطيلة Tudela [3]، و بربشتر Barbastro [4]، و وشقة Huesca [5] ، و قلعة أيوب Calatayub [6]، و طرطوشة Tortosa [7]، و لاردة Larida[8]، و غيرها من الكوّر التي تتبع الثغر.

ب موقعهـا:

هي مقاطعة تقع في الجزء الشمالي الشرقي من أسبانيا[9]، على ضفة نهر إيبرو EBRO[10]، و تتصل حدودها مباشرة بحدود المماليك النصرانية، فمن جهة الشمال تحدها إمارتين و هما:

---

[1] **السامرائي، خليل إبراهيم؛** الثغر الأعلى الأندلسي، (دراسة في أحواله السياسية 95 316 هـ/714 928م)، مطبعة سعد، بغداد، 1967، ص 39.

[2] **المقري**، المصدر السابق، ص 166.

[3] و هي مدينة زراعية، تتوفر فيها التربة الخصبة، و يقال أنها مدينة آمنة، حتى أن أبوابها لا تغلق ليلا. أنظر: الإدريسي، أبي عبد الله؛ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1409 هـ 1989 م، المجلد الثاني، ص 554.

[4] **مدينة حصينة**، و بربشتر غزاها أهل غاليش و الرومان، و كان عليهم رئيس يقال له آلبيطش، الذي حاصرها عام 456م، إلا أن المسلمين أخذوها منه، و يقال أن أحمد بن سليمان بن هود فتحها بسهولة، و منها جلب إلى سرقسطة الغنائم الكثيرة و المتمثلة في السلاح و المال و السبي، و كان افتتاحه لها في جمادى الأولى سنة 457 هـ 901 م، و منذ ذلك اليوم لقب بالمقتدر بالله. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 90 91.

[5] بينها و بين سرقسطة مسافة قصيرة، و هي مدينة حصينة، و سكانها متحضرين، و تمتاز بالبنيان الجميل، و كما أنها مدينة زراعية، لتوفرها على تربة خصبة، فاختلفت فيها المحاصيل و تنوعت فيها الفواكه، و من أهمها: طيب الكمشري و الزعرور. أنظر: **الحميري**، نفسه، ص 612.

[6] و هي مدينة حصينة و منيعة، و زراعتها خصبة، تشتهر بانتاج العضار المذهب، و التي تصدره إلى مختلف المناطق. و انظر: الحميري، نفسه، ص 469، الإدريسي، المصدر السابق، ص 554.

[7] تقع في شمال شرقي الأندلس، و بالتحديد في جنوبي طركونة و شمال بلنسية و جنوب شرقي سرقسطة، بناها الرومان، و امتازت خلال العصرين الروماني و الإسلامي بالحصانة، كما كانت مدينة بحرية، ما أكسب المنطقة أهمية في المجال التجاري، و تتوفر بالمنطقة صناعات عديدة أهمها: صناعة الخشب الصنوبري الذي يتميز بالطول و الغلاظة السميكة و هو أحمر اللون. أنظر: الإدريسي، نفسه، ص 555.

[8] مدينة صغيرة، تقع في جنوب شرق سرقسطة، تمتاز بالتحضر، و يوجد فيها أسوار كثيرة و التي تمتاز بالمناعة أنظر، الإدريسي، نفسه، ص 554.

[9] **الحميري**، المصدر السابق، ص 317، منير البعلبكي؛ موسوعة المورد، (دائرة معارف إنجليزية عربية)، ط.1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، المجلد الثامن، ص 210،أنظر: الخريطة رقم: 5.

[10] و هو نهر كبير، يأتي بعضه من بلاد الروم و بعضه يأتي من نواحي قلصرة، فتتجمع الموارد من هذه الأنهار فوق مدينة تطيلة، ثم تصب في مدينة سرقسطة، إلى أن تنتهي إلى حصن جبرة ثم إلى موقع نهر الزيتزن ثم إلى طرطوشة، فيجتاز بغربيها إلى البحر. أنظر: اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن يعقوب؛ كتاب البلدان، ط.1، دار إحياء التراث العربي، 1408 هـ 1988 م، ص 111؛ الإدريسي، المصدر السابق؛ ص 554 شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص 26،30.

قطلونية Cataluña و آراغون Arajona، و من الشرق تتصل بحدود مملكة نبرةNavarra و مملكة ليون Léon[1].

و تجدر بنا الإشارة، إلى أن منطقة الثغر الأعلى، امتدت في عصر الولاة إلى ما وراء جبال البرت، و أصبحت تشمل على ولاية سرقسطة و بعض المدن المجاورة لها، و لكنها تقلصت بظهور مملكة النافار، و التي اتخذت بتبلونة Pampaluna عاصمة لها، و احتلال فرنسا لبرشلونة Barcelona [2].

ج جغرافيتها الطبيعية:

تمثل منطقة الثغر الأعلى في الجغرافية الأندلسية، موقعا استراتيجيا ممتازا، و هي على ذلك تشرف على حوض نهر الإيبرو، و يحدق بها أربعة أنهار[3]، و التي تنحدر نحو الشرق و الجنوب الشرقي، لتصب في البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم). و من أشهرها وادي نهر فرنكولي، الذي تقع عند مصبه مدينة طركونة[4] Tarragona، و التي جلبت إليها المياه بواسطة القنوات المشهورة بها، من نهر غاية، الذي يصب في البحر الأبيض المتوسط شمالا. ثم وادي نهر لوبريقان، الذي تقع شمالي مصبه[5] مدينة برشلونة، بحيث يسقي مزارعها، ثم نهر تير، الذي تقع عليه مدينة جيرونة Gerrona[6] و تتخلل هذه الموارد المائية، أنهار صغيرة تنبع من سفوح الجبال[7]،و يذكر ابن الخراط هذه النهار بحيث صنفها كالآتي: نهر إيبرو من الشرق و في الشمال منها نهر شلون يجتمع في إيبره و نهر جلق الذي يسقي القرى و يجتمع

---

[1] **حسين مونس**، الثغر الأعلى الأندلسي، و سقوط سرقسطة في أيدي النصارى سنة 512 هـ 1118 م، مكتبة الثقافة الدينية مصر، 1412 هـ 1992 م، ص 12، أنظر: الخريطة رقم: 5.

[2] تقع على البحر، بها مرسى كبير، و لها ربض و عليها سور منيع، و الدخول إليها و الخروج عنها على باب في الجبل يسمى هيكل الزهرة، و هي مدينة زراعية مشهورة بإنتاج الحنطة و الحبوب المختلفة، كما تشتهر بإنتاج عسل النحل. أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 734.

[3] **ابن السعيد المغربي؛** المغرب في حلى المغرب، ط.3، حققه و علق عليه: د شوقي ضيف، دار المعارف، القاصرة، 1955 م، ج.2، ص 434.

[4] تقع بجانب البحر بها سور مبني بالرخام الأسود و الأبيض، مشهورة بمرسها الكبير و أبنيتها الحصينة و أبوابها المنيعة و أما من يسكنها فتذكر المصادر أن أغلبيتهم من اليهود. أنظر: الإدريسي، المرجع السابق، ص 555-734.

[5] **السامرائي**، المرجع السابق، ص44، 45. أنظر: الخريطة رقم: 3.

[6] و تسمى أيضا جيرندة، و أشتق إسمها من الإسم الروماني Gerunda، و تقع في أقصى الشمال الشرقي، و هي قريبة من الحدود الفرنسية. أنظر: شكيب أرسلان، المصدر السابق، ص 204.

[7] **السامرائي**، المرجع السابق، ص 45.

بإبره[1]. و يبدو أن أودية القسم الغربي تصب بالمحيط الأطلسي و أودية القسم الشرقي من الأندلس تصب بالبحر المتوسط.[2]

يمثل حوض نهر الإيبرو منخفضا تفصله عن سواحل البحر المتوسط، تلال قطلونية Cataluňa[3]. و بين هذه التلال يبرز شريط ساحلي، تقع فيه كل من طرطوشة و برشلونة و طركونة، و يفصل هذا المنخفض عن فرنسا جبال البرانس Pyrénées[4]، و التي تعتبر الحد الفاصل بين إسبانيا و جنوب فرنسا[5]، و تفصله أيضا عن بقية أنحاء إسبانيا سلسلة جبلية قليلة الارتفاع تخرج من مرتفعات قشتالة القديمة (ألبا و القلاع)، و تمتد نحو الجنوب الشرقي على طول الجانب الأيمن لحوض نهر الإيبرو، التي يخترقها نهر شلون، و تتلاشى هذه المرتفعات عند الساحل الشرقي، و يطلق عليها المحليون أسماء عديدة أشهرها جبال ببكور، و جبال مولا، و كلها تمتد على طول خليج بسكاي، و تنتهي عند سواحل المحيط الأطلسي (بحر الظلمات)[6]. هذا ما جعل بيئة سرقسطة أو منطقة الثغر الأعلى تمتاز بالحصانة الطبيعية.

د المنـــاخ:

يتميز مناخ شبه الجزيرة الإيبيرية بالتنوع و يمكن أن نقسم المناخ فيها إلى ثلاثة أنواع: مناخ جاف في وسط الهضبة، و المناخ الرطب على ساحل الشمال الغربي، و مناخ البحر المتوسط في الجنوب الشرقي[7]. لذلك فصولها تأتي على قدر من الاعتدال و التوسط في الحال، كما أن الثغر و جهاته و الجبال التي يخصها برد الهواء و كثافة الجو[8]. و منطقة الثغر العلى لا سيما حوض نهر الإيبرو يتميز بالجفاف لأن جبال البرت – كما ذكرنا آنفا تكون حاجزا مناخيا فاصلا، كما أن الهضبة تمنع وصول

---

[1] **ابن الخراط الإشبيلي**؛ الأندلس في اقتباس الأنوار، تقديم و تحقيق: إيميلو مولينا و خاثينو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990، ص 80.

[2] **المقري**، المصدر السابق، ص 132.

[3] إسم أطلقه الفرنسيون، و معناه أرض القلاع، و هي أرض جرداء توجد فيها بعض الأثار البركانية. أنظر: شكيب أرسلان، المصدر السابق، ج2، ص 248.

[4] حيث أطلق عليها جبال **البرث**، و المسافة بين هذا الجبل و بين الركن الجنوبي و الشمالي 40 ميلا، و هو الحاجز الفاصل بين بلاد الأندلس و الفرنجة. أنظر: المقري، المصدر السابق، ص 128، القزويني، المصدر السابق، ص 503، شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص 24، 25.

[5] **المقري**، المصدر السابق، ص 128، 129، السامرائي، المرجع السابق، ص 45. أنظر الخريطة، رقم: 3.

[6] **السامرائي**، نفسه، ص 45 47.

[7] نفسه، ص 47.

[8] المقري، ص 140.

الرياح الغربية المطيرة القادمة من المحيط الأطلسي إلى المنطقة بسبب وجود الضغط العالي على الهضبة، بالرغم من أن مناخ هذه المنطقة ينتمي إلى مناخ البحر الأبيض المتوسط، فغن فيه شيئا من القارية، لأنها محاطة بالمرتفعات في معظم جوانب نهر الإيبرو و بذلك معزول على التأثيرات البحرية، فهو بالتالي يتميز بالجفاف[1] و هذا لا يعني أن الأمطار قليلة[2]، ففي عام 212هـ/867م هطلت أمطار غزيرة تسببت في فيضانات مدمرة حيث خربت السيول قنطرة سرقسطة. أما الأقسام الشمالية للمنطقة و خاصة المجاورة لجبال البرتات يتميز مناخها بالحرارة الواطئة، و كثرة سقوط الثلج في فصل الشتاء و هذا ما يؤثر سلبيا على نواحي الحياة الاقتصادية و خاصة الزراعة. أما من الناحية الإيجابية لهذه الثلوج فهي توفر مصادر مياه مهمة لحوض نهر الإيبرو و روافده[3].

أما الأقاليم الجغرافية التي تتكون منها منطقة الثغر الأعلى فهي أربعة:

1. إقليم مرمرية: يضم حصونا خالية، كحصن طشكر، و كشطالي، و كتندة، و يقع إلى غربي إقليم البرتات.
2. إقليم البرتات: يضم مدينة طرطوشة، و طركونة، و برشلونة.
3. إقليم الزيتون: يضم مدينة جاقة، و لاردة، و مكناسة، و افراغة.
4. إقليم أرنيط: يضم مدينة قلعة أيوب، و سرقسطة، و قلعة دروقة، و تطيلة، و سرقسطة، و وشقة[4].

و هذا ما يدل على تنوع نباتها الجامع بين صفات النبات الإفريقي و الأوروبي[5]، و نستبين أن المناخ كان له دور كبير في كسب المنطقة الثروة المائية، و التي ساهمت في الازدهار الاقتصادي و الحضاري.

هـ سرقسطة قبل بني هود:

---

[1] **السامرائي**، المرجع السابق، ص 48

[2] و الأندلس تتميز باختلاف هبوب الرياح فيها و مواقع أمطارها و جريان أنهارها، لذلك نجدها تنقسم إلى قسمين: أندلس شرقي، و أندلس غربي، فالغربي منها يمطر بالريح الغربية، و تجري أوديته إلى البحر المحيط الغربي، و أما الشرقي، المعروف بالأندلس الأقصى، يمطر بالريح الشرقية، و تجري أوديته إلى البحر المتوسط. أنظر: **المقري**، المصدر السابق، ص 131.

[3] **السامرائي**، نفسه، ص 48 49.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، ص 538 539.

[5] **بطرس البستاني**؛ دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت، 1880 م، ج.4، ص 471، 472.

كان دخول الجيوش الإسلامية مدينة سرقسطة دون مقاومة دليلا على أن هذه الجيوش لم تلق مقاومة كبيرة، و لكن هذا لا يعني أن بعض مدن الثغر الأعلى لم تقاوم، و اتخذ موسى بن نصير من سرقسطة قاعدة لفتح بقية مدن الثغر الأعلى. بدليل أن مدينة وشقة دام فتحها سبعة أعوام و ذلك بعد حصار طويل انتهى بالصلح بين أهلها و جيوش الفتح و من أقام على النصرانية أدى الجزية[1] و بعدها سارت الجيوش الإسلامية إلى مدينة لاردة و احتلت إقليم قطالونيا ثم سارت إلى مدينة طركونة و جعلت منها قاعدة لإرسال الحملات العسكرية لفتح المدن المجاورة، كطرطوشة[2]، واصل موسى و طارق بن زياد سيرهما حتى بلغا فتح مدن الثغر الأعلى الواحدة تلو الأخرى.

نستنتج أن أراضي الشمال التي ذكرتها المصادر و التي حددت بالأراضي الواقعة شمال نهر الوادي الكبير قد فتحت صلحا و عن رضى أهلها بدفع الجزية و العيش بسلام تحت راية الإسلام.

أما في عهد الولاة فكانت حركة المقاومة النصرانية للفاتحين قد امتدت إلى بلاد البشكنس في الشرق إلى الصخرة في الغرب على طول سلاسل جبال كنترية، أما الممرات الشرقية لجبال البرت فقد ظهرت فيها المقاومة في أواخر عصر الولاة و استمرت خلال عصر الإمارة (129- 138هـ/746- 755م). اشتدت مقاومة البشكنس في عهد الوالي يوسف الفهري[3] آخر ولاة الأمويين بالأندلس، و كانت سرقسطة آنذاك تحت سيطرة عامر العبدري، و الحبحاب بالرواحة الزهري و هما من قادة الجيش من القرشيين بعد خروج الصميل بن حاتم بن شمرذي[4]، استطاع يوسف إخماد المقاومات النصرانية، و هكذا أصبح للثغر أهمية بحيث أصبح القاعدة المهمة للفتوحات وراء البرت، و حاول حماية مدينة أربونة لكن فشل، عندما استولت عليها القوات الفرنسية

---

[1] **الحميري**، المصدر السابق، ص 612.

[2] **السامرائي**، المرجع السابق، ص 78- 79.

[3] هو **يوسف بن عبد الرحمان بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري**، جده من زعماء العرب، و هذا الأخير هو الذي أثار أصحاب يلج لقتله، فخرج عن الأندلس إلى إفريقية، أما يوسف عاد إلى الأندلس. أنظر: إبن الخطيب، لسان الدين؛ الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد الله عنان، ط.1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1395 م 1975، المجلد الرابع، ص 34.

[4] **الصميل بن حاتم بن شميرين بن الجوشن**، كبير القيسية، و كان من طوالع بلج أي فرق الفتح، و بعد خروجه من سرقسطة، تولى مدينة طليطلة. أنظر: المقري، نفسه، ص 237، 238.

عام 141هـ/759م[1]، و أمام هذه الأوضاع السياسية المضطربة برزت عدة أسر عريقة، التي لعبت دورا كبيرا في المنطقة[2]. و في عهد الإمارة الأموية تعرضت المدينة إلى عدة هجومات و ذلك في فترة حكم عبد الرحمن الداخل[3] أهمها هجوم قبائل البشكنس في الشمال لأنه كان منهمكا في صد حركات المعارضة ثورة يوسف الفهري عام 141هـ/758م، و كذلك ثورة العلاء بن مغيث بإيعاز من العباسيين، هذا و قد تحالف حاكم سرقسطة مع الإمبراطور شارلمان خلال عهده إلا أنه تمكن من ردع هذه المؤامرات[4] و في عصر الأمير هشام[5]، كثرت حركات التمرد في عهده لاسيما في منطقة الثغر الأعلى، و هذا ما شجع الفرنسيون على تحرير قبائل البشكنس و الجلالقة على مهاجمة المناطق الإسلامية المجاورة لها، و لهذا كانت حملات الأمير هشام عنيفة إلى بلاد فرنسة، و مملكة ليون[6]، و قد أفلحت هذه الجيوش في دحر هذه القوى المتحالفة و لاسيما بلاد البشكنس، و بذلك ساهمت منطقة الثغر الأعلى في محاربة النافار من خلال مرور قوات قرطبية فيها بالإضافة إلى مساهمة محاربي الثغر في هذه الحملات بعد أن تم القضاء على حركات التمرد و المعارضة هناك و من بينها تمرد بهلول بن مرزوق في منطقة الثغر الأعلى بعد أن قضى عليه عمروس بن يوسف أحد الزعماء المولدين[7]، و في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (206 238هـ/822 852م) طلبت النافار مساعدة المسلمين لصد هجوم الجيش الفرنسي على بنبلو نة عام 209هـ/824م، و استطاع النافار التغلب على خصومه.

تميز عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بالاضطراب في منطقة الثغر الأعلى حيث بلغ تمرد الأسر الذروة، فتوجب القضاء على حركات المعارضة ثم إرسال

---

[1] السامرائي، المرجع السابق، ص 148 149.

[2] من بينها أسرة عمروس، زعيمها عمروس بن يوسف، و هو من المولدين في الثغر الأعلى، كان واليا على مدينة طلبيرة. و أسرة بني قسي، التي تنتمي إلى أكبر الأسر العربية العريقة، و أفرادها أيضا ينتمون إلى طبقة المولدين، و لما صاهروا أسرة النافار الجديدة سخط عليهم الأهالي. أنظر السامرائي، المرجع السابق، ص 167 168؛ حسين مؤنس المرجع السابق، ص 266؛ **Sénac, (Philippe)**, La frontière et les hommes, (VII – XII siècle), préface de Pierre Toubert, Maisonneuve et La Rose, Paris, 2000, p104 ; Sourdel, (Janine et Dominique), op.cit, p733.

[3] أطلق عليه أبو جعفر المنصور العباس إسم صقر قريش، و كانت وفاته عام 172هـ/788م.

[4] **ابن الخطيب**، المصدر السابق، ص 9 11، المقري، ص 329 و ما بعدها.

[5] دامت إمارته مدة ثماني سنين، توفي عام 206هـ/801م.

[6] السامرائي، المرجع السابق، ص 165.

[7] السامرائي، المرجع السابق، ص 166 167.

جيوشها إلى الجهاد ضد المقاومات النصرانية و استطاع الثغر الأعلى في مجاهدة النافار[1].

و في أواخر القرن الثالث الهجري الموافق للتاسع ميلادي، في عهد الأمير عبد الله بن محمد، استطاع بنو تجيب[2] أصحاب دروقة و قلعة أيوب الاستيلاء على سرقسطة، و ذلك على يد زعيمهم أبي يحي محمد بن عبد الرحمان التجيبي المعروف بالأنقر، و أقره الأمير عبد الله على حكم سرقسطة اكتسابا لولائه[3]، و في أيام المنصور بن أبي عامر[4]، شعر بنو تجيب بخطر يهدد سيادتهم بالثغر لأن المنصور حاول القضاء على سلطان الأسر العربية و زعامتها المحلية، فحاول زعيمهم عبد الرحمن بن مطرف التجيبي التآمر مع ولده عبد الله على إزالة المنصور، إلا أن المنصور استطاع القضاء عليهما، و حكم بعده يحي بن عبد الرحمان و ذلك عام 379هـ/989 الذي استمر في حكمه لسرقسطة و أعمالها حتى وفاته 408هـ/1011م، و بعده خلفه حفيده المنذر بن يحي التجيبي[5]، و هو أول أمير للثغر في عصر الطوائف في حكم سرقسطة و أعمالها، و تسمى بالحاجب ذي الرياستين، و تلقب من الألقاب السلطانية بالمنصور، و حكم المملكة ثلاثة أعوام حتى توفي عام (414هـ/1023م)، و كانت له علاقات وثيقة مع جيرانه النصارى حتى بلغ به المطاف بعقد مصاهرة بين أميرين[6] من أولئك الأمراء، حضره الفقهاء، و القساوسة، و أعيان الملتين، فسخط عليه الناس[7]، و هذه سياسة انتهجها لنفسه ليضمن الموادعة و السلم مع جيرانهم، بحيث نعمت سرقسطة في عهده بالرخاء و الأمن.

---

[1] السامرائي، المرجع نفسه، ص 175.

[2] من الأسر العريقة، أصلهم عرب، حكموا سرقسطة من (230 430 هـ/890 1030 م)

[3] **عبد الله عنان؛** دولة الإسلام في الأندلس، (دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي)، العصر الثاني، ط.1، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، 1414هـ/1996م، ص 265.

[4] كان كثير الغزوات، و من أشهرها غزوته إلى برشلون سنة 374هـ/984م، و في هذه الغزوة رافقه شاعره، ابن دراج القسطلي، كان محبا للعلم، مؤثرا للأدب، مكفرطا في إكرام من ينتسب إليهما. أنظر: ابن دراج القسطلي؛ ديوانه، حققه و قدم له و علق عليه: د. محمود علي مكي، ط.2، دون مكان طبعة، القاهرة، دون تاريخ، ص 21 23.

[5] **إبن الأثير أبي الحسن؛** الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1977/1336م، المجلد التاسع، ص 289.

[6] سانشو ملك نافار، و رمون بوريل أمير برشلون.

[7] عنان، المرجع السابق، ص 266 267.

كان المنذر فوق ذلك يعشق الأبهة و البذخ، فملأ قصره بالجواري و كان بين وزرائه أكابر كتاب العصر مثل أبي عامر أزرق، و من الشعراء ابن دراج القسطلي، و لما توفي خلفه ابنه يحي و تلقب بالمظفر و كانت فترة حكمه قصيرة و توفي عام (320هـ 1029م)، و خلفه في الملك المنذر بن يحي[1]، و تلقب بالحاجب معز الدولة، الذي حكم نحو عشرة أعوام. و هكذا انتهى حكم التجيبيين في سرقسطة[2].

و تلاحقت بعد ذلك الأحداث في سرعة مذهلة، و كان أهل قرطبة[3]Cortoba، ينظرون إلى هذه الدولة العتيدة التي سهرت على بنائها أجيال متتابعة من عباقرة الساسة طوال قرن كامل، ليروها و هي تنهار في لحظات كأنها لم تكن. و نتساءل هنا: هل كان للفتنة انعكاس على الأدباء و الشعراء؟، كان للفتنة تأثير عميق في نفوس هؤلاء الأدباء و الشعراء، فهم لا يدرون إلى ما يقبلون و عمن يدبرون، يحيون حياتهم يوم بيوم، دون أن يعرفوا ماذا ينتظرهم في الغد، و كان لهم أمل في انجلاء الفتنة، من أمثال ابن دراج[4]، و يبدو أن هذا الأخير شأنه كشأن أمثاله من الشعراء الآخرين الذين ركدت أعمالهم، إذ أن ديوانه لم يحتفظ لنا بشيء من شعره. كما رحل بعضهم من قرطبة[5].

---

[1] أما عن وفاته فيذكر المؤرخون، أنه توفي عام 430هـ/1039م، بعد أن نفذ رجل من بني عمومته و قواده و هو عبد الله بن حكيم، جاء إليه يزعم السلام عليه، و كان يضمر له الحقد و السوء، فوجده يقرأ كتاب بيده فانقض عليه و طعنه في عنقه بسكين، و لما قطع رأسه أبرزه من شرفة القصر، مرفوع على عصا و هو يصيح جزاء من العصا أمير المؤمنين هشاما. عنان، المرجع السابق، ص 269.

[2] نفسه.

[3] من حواضر الأندلس العريقة و هي قاعدتها، و دار الخلافة الإسلامية، كما كانت مركز للكرماء و معدن للعلماء. أنظر: الإدريسي، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 303 306، ياقوت الحموي؛ معجم البلدان، ط.2، بيروت، 1995م، ج.4، ص 324؛ القزويني، المصدر السابق، ص 552؛ المقري، المصدر السابق، ص 153.

[4] هو **أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج**، المعروف **بالقسطلي**، نسبة إلى بلدته قسطلة Castella، شعر للمنذر بن يحي التجيبي، و شعر للمستعين، توفي سنة: 436 1044م، أنظر: ابن دحية؛ المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري ود. حامد عبد المجيد ود. أحمد بدوي، راجعه: **د.طه حسين**، مطبعة الأميرية، القاهرة، 1954م، ص156.

[5] ابن دراج، المصدر السابق، ص 42 43.

بعد أن خلت الساحة السياسية من أي حاكم و أمام هذه الأوضاع الجديدة برزت أسرة بني هود[1]، و أعلن بذلك تأسيس دولتهم بالثغر الأعلى.

و تأسيس دولة بني هود:

أمام هذه الأوضاع المزرية التي حلت بالأندلس، برزت شخصية من أسرة عربية عريقة، بعد أن خلت الساحة السياسية من أي حاكم، ذلك الرجل هو أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي[2]، بعد أن عينه سكان سرقسطة أميرا عليهم، فهره سليمان و استولى عليها في غرة المحرم عام 431هـ/23 سبتمبر 1039، و سواء أكان استيلاءه عليها نتيجة لدعوة أهلها و اختيارهم إياه لولايتها، أم كان ذلك بالقوة، و الأرجح أنه استولى على مقاليد الحكم دون منازع، و بذلك انتهى حكم التجيبيين بالثغر الأعلى بعد قرن و نصف من الحكم، و بدأت سرقسطة و أعمالها رياسة أسرة جديدة هي أسرة بني هود[3]، و هي من أسر الطوائف التي يغلب عليها الشجاعة و الشهامة، و هكذا جلس سليمان بنو هود على عرش سرقسطة و حكم الثغر الأعلى ما عدا طرطوشة التي كانت تحت طاعة الفتيان العامريين[4]، و كان للمستعين قوة و عزم شديدين فاشتهر أمره و توطد ملكه بسرعة، و استمر في حكم مملكته ثمانية أعوام، و كان أهم ما وقع فيها حروبه مع المأمون بن ذي النون[5]، من أجل موضع بين المملكتين. كما ان بين ذي النون كانوا أخؤولة للمنذر بن يحي، و هو الذب احتل سليمان عرشه فكان ذلك عاملا آخر في اشتداد هذه الخصومة، حتى أنهما استعانا

---

[1] من أبناء هود، و جدهم الأعلى هو هود، و هو الداخل إلى الأندلس، و ينتسب إلى الأزد ثم إلى سالم مولى أبي حذيفة، قال هود بن عبد الله بن موسى بن سالم، قيل هود من ولد روح بن زمباع، و يرجع أصلهم إلى القبائل العربية القديمة. أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، ص 163؛ Sourdel, (Janine et Dominique), op.cit, p355.

[2] لقب بـ"**المستعين بالله**"، بقي على لاردة طول حكم منذر بن يحي (الأول)، و إبنه يحي بن منذر المظفر، و كذلك طول حكم المنذر بن يحي الثاني، من سنة 427 431هـ/1035- 1039م، و كان من قواد الجنود لديهم، و في أيامه وقعت حادثة طليطلة 434هـ/1042م، فلما قتل المنذر استولى سليمان على سرقسطة و أعمالها، مؤسسا بذلك دولة بني هود، و كانت العلاقة بينه و بين التجيبيين أحيانا طيبة و أحيانا أخرى سيئة، بالرغم من صلة النسب و الجوار بينهما. أنظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق و مراجعة: ج.س كولان و إ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ج.3، ص 221- 222؛ ابن أثير، المصدر السابق، ص 283 ؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 170- 171؛ سلامة محمد الهدفي؛ دولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين، (دراسة سياسية حضارية)، دون مكان، 1405هـ-1985، ص 138- 139.

[3] **ابن عذارى المراكشي**، المصدر السابق، ص 222.

[4] **عنان**، المرجع السابق، ص 270- 271.

[5] من أعظم ملوك بني ذي النون، من ملوك طليطلة من الثغر الجوفي، و كانت بينه و بين النصارى غزوات مشهورة، غلب على قرطبة و ملكها من يد المعتمد بن عباد، و سيطرة على بلنسية، و أخذها من يد بني إبن أبي عامر. أنظر المقري، المصدر السابق، ص 440.

بالعدو في قتالهما، فلجأ المأمون إلى فرناندو الأول ملك قشتالة، و عندئذ التجأ ابن هود بدوره إلى الاستغاثة بملك قشتالة و بذل له أموالا طائلة، فبعث فرناندو، و رد المأمون على ذلك بأن التجأ إلى غرسية ملك النافار، و استماله بالأموال، فأغار على أراضي سرقسطة المجاورة له، و رد ملك قشتالة على ذلك بالإغارة على أراضي طليطلة، و دامت المعارك بينهما، في حين استمر الملكين القشتالي و النافار يعملان على إذكاء هذه الفتنة، و لم تخمد هذه المعركة الانتحارية بينهما[1]، إلا بوفاة سليمان بن هود[2]، و قسم هذا الأخير مملكته قبيل وفاته على أولاده الخمسة، و بذلك يكون قد وقع في الخطأ التقليدي في تقسيمه هذا الذي وقع غيره من الملوك من قبل، الأمر الذي جعل الإخوة يعيشون في صراعات عنيفة[3] فاختص أحمد[4] بولاية سرقسطة عاصمة المملكة، ويوسف بولاية لاردة ولب[5] بولاية وشقة، والمنذر بولاية تطيلة، ومحمد بولاية قلعة أيوب واستقل كل واحد بحكم مدينته، و أعماله وكان أحمد و هو الملقب بالمقتدر بالله شديد الأطماع و حبا في توسيع ولايته على حساب إخوته، و قد استطاع بالفعل أن يحتال على ثلاثة منهم و سجنهم، و هم: لب و المنذر و محمد، و بلغت به القسوة أن كحل أعينهم بالنار –سمل أعينهم غير أن والي لاردة و هو يوسف كان أكبرهم و هو المسمى بحسام الدولة و بالمظفر و كان بطلا شهما و استطاع أن يقف في سبيل أطماع المقتدر و أن يفشل محاولاته و دسائسه[6]، و هنا وقعت الحرب الأهلية بين الأخوين، و كان أهل الثغر عندما رأوا ما صنعه أحمد بإخوته قد أثار سخطهم عليه و نادوا بخلعه، و خرجت معظم القواعد عن طاعته و انضمت إلى أخيه يوسف و لم يتبق له سوى

---

[1] ابن عذارى، نفسه، نفس الصفحة، عنان، نفسه، ص 277 283.

[2] توفي عام 433هـ/1046م.

[3] **ابن زيدون**، المصدر السابق، ص 222؛ **سعد بن عبد الله البشري**؛ الحياة العلمية في عصر الطوائف بالأندلس، (422 488 هـ/1030 1055 م)، ط.1، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، الرياض، 1414 هـ 1993 م، ص 74.

[4] هو عميد و عظيم و رئيس بنو هود بعد وفاة أبيه، قاد عدة غزوات و من خلالها أعاد الاعتبار لسرقسطة، كما استولى على مدينة دانية. أنظر: ابن سعيد، المصدر السابق، ص 437؛ ابن خلدون المصدر السابق، ص 163؛ **Sénac**, (Philippe), op.cit, p 107

[5] و تسميه المراجع لب، و هي كلمة أندلسية معربة عم "لوبو" (Lobo) الإسبانية و معناها الذئب. أنظر: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 13.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 222؛ علي بن محمد؛ النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري مضامينه و أشكاله، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1990م، ص 51؛ **Sénac**, (Philippe), op.cit, p 170.

سرقسطة، فأخذ يراقب الفرصة للتنكيل بأخيه[1]، و في هذه الأثناء داهمت مدينة طليطلة و هي من القواعد التي انضمت على يوسف المجاعة و الغلاء فاستغاث به أهلها، و جمع الأطعمة و المؤون لهم و لكن رأى استحالة التمرير هذه الإمدادات إليها عن طريق سرقسطة فوجه رسوله في السر إلى ابن رذميرRadmiroI[2]، و بعث له مالا لكي يسمح بمرور هذه المؤون عبر أراضيه إلى تطيلة، و قبل الطاغية و في هذه الأثناء بلغ أحمد بذلك فبعث إليه بضعف الأموال، على أن يمكنه من الفتك بقافلة المؤون فاستجاب الملك إلى ذلك و تم ما دبره أحمد، و هذا ما يدل على صفات الغدر التي امتاز بها أحمد، و كانت النهاية أن ضعف أمر يوسف و توطد سلطان أحمد و هاجه الناس، و استرد القواعد التي كانت بحوزة أخيه[3]. و لم يكتف المقتدر بذلك بل وجه ضربة أخرى للاستيلاء على ثغر طرطوشة[4] التي كانت تحت حكم الفتيان العامريين، و كان المقتدر بن هود ينظر إلى هؤلاء بعين السخط و الحقد، و كان ينتظر الفرصة لانتزاعها منهم، و أخيرا جاءت هذه الفرصة، حينما اضطرمت الثورة بطرطوشة ضد الفتى نبيل و خرج عنها، و انتهت بذلك دولة الفتيان الصقالبة عام 452هـ 1060م[5]. و في أيامه وقعت حادثة بربشطر لما قام النورمان بالزحف عليها عام 456هـ/1065م[6]، و استطاع المقتدر بن هود أن يهزم قوات العدو و ذلك عام 457هـ/1066 بعد أن نشبت بين الفريقين انتهت بنصر المسلمين[7]. و يجدر بنا أن نذكر هنا أيضا بين أعمال المقتدر العظيمة، استيلاءه على مملكة دانيةDenia من صهره زوج ابنته علي إقبال الدولة سنة 468هـ/1076م، و هكذا أصبحت مملكة سرقسطة

---

[1] ابن عذارى، نفسه، ص 223.

[2] نرجع أن يكون ابن رذمير هذا هو سانشو راميرز بن راميرو، تولى عرش أراغون و نافار بعد مقتل والده سنة 456هـ/1063م، و كانت له أطماع لا حد لها في سرقسطة، توفي و هو يحاصر مكدينة وشقة سنة 487هـ/1094م. أنظر: جمعة شيخة، المرجع السابق، ص 19.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 223- 224؛ ابن بسام المصدر السابق، ص 269- 270.

[4] الذي كان منذ عهد الفتنة بيد بعض الفتيان العامريين، و كان أول من استولى عليها منهم و حكمها لبيب العامري توفي عام 433هـ/1041م، فخلفه في الحكم فتى آخر من الصقالبة العامريين يدعى مقاتل و تلقب بسيف الملك، و استمر في حكمها حتى وفاته عام 445هـ/1053م، ثم حكمها فتى آخر و هو نبيل. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ص 163؛ عنان، ص 273- 274.

[5] ابن خلدون، نفسه، نفس الصفحة.

[6] الحميري، المصدر السابق، ص 96؛ ابن كردبوس؛ الاكتفاء في أخبار الخلفاء،(هذا الكتاب هو قسم الثاني يبتدئ من الخلفاء الأمويين)، مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 2711، ص 110.

[7] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 227- 228.

بهذا الفتح الكبير تمتد إلى شرق الأندلس[1]، بعد أن حكم مملكة سرقسطة مدة طويلة، و قبل ذلك قسم مملكته بين ولديه، فخص ولده الأكبر و هو يوسف المؤتمن[2] بسرقسطة و أعمالها، و خص ولده الأصغر المنذر[3] بلاردة و طرطوشة[4]، و مما هو جدير بالذكر أن مملكة سرقسطة كانت في ظل المقتدر بالله درّة الأندلس، ضف إلى العامل الطبيعي الذي منحها موقعا استراتيجيا جعلها تقع بين الممالك النصرانية و اضطرارها إلى المهادنة معها بحيث بلغ التسامح الديني القمة في عهده، و كان النصارى يتمتعون بسائر الحريات و خاصة الفكرية و الدينية، و قد شجع ذلك راهبا فرنسيا على أن يكتب إلى المقتدر رسالة يدعوه فيها إلى الاعتناق النصرانية مع راهبين ليشرح للمقتدر تعاليم الدين المسيحي، فاستقبل المقتدر الراهبين برفق و عهد إلى العلامة الفقيه أبي الوليد الباجي[5]، بأن يكتب عن لسانه إلى الراهب ردا، فكتب الباجي رد مسهب يفيض منطقا و بلاغة، و فيه ينقض مزاعم الدين المسيحي و ألوهية المسيح و غيرها و يشرح تعاليم الإسلام بوضوح و يدعو الراهب إلى الاعتناق الإسلام[6]. و بعد حياة مليئة بالجهاد و الإعمار و بعد أن حكم ستة و ثلاثين سنة أمضاها في محاربة إخوانه و الممالك النصرانية، إلا أنه لم يتعلم درسا من والده فكرر نفس الخطأ بتقسيمه المملكة على ولديه كما ذكرنا آنفا، و تجددت الفتنة بين الأخوين مرة أخرى و استنجد كل واحد منهما بالنصارى و اعتمد المؤتمن على السيد القمبيوطر[7] الذي قدم لاجئا إلى سرقسطة بعد أن

---

[1] يقال أنه توفي بعضة كلب، فمات بمرض الكلب، عام 433هـ/1046م. أنظر: ابن عذارى، نفس الصفحة؛ **ابن زيدون**؛ ديوان ابن زيدون، تحقيق: يوسف فرحات، ط.1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1411 هـ 1992م، القسم الأول، ص 9، ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 222؛ ابن أبي زرع المصدر السابق، ص 109.

[2] فكان خير خلف لأبيه، حاميا لملكه، جاهدا لعدوه و كان من العلماء الرياضيين الكبار، و له فيها تآليف، و منها كتابه الاستكمال و المناظر، و في عام 478هـ/1085م توفي و هي السنة التي استولى فيها النصارى على طليطلة. أنظر: **ابن سعيد**، المصدر السابق، ص 437، المقري، المصدر السابق، ص 441، ابن خلدون، عبد الرحمن؛ تاريخ ابن خلدون المسمى"كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1391هـ 1971م، ج.4، ص 163. (استعملت الجزء الرابع فقط).

[3] توفي عام 503هـ/1009م، و هي السنة التي وقعت المدينة تحت قبضة المير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين.

[4] عنان، المرجع السابق، ص 288.

[5] ستأتي ترجمته في الفصل الأول.

[6] نفسه، نفس الصفحة.

[7] و يطلق عليهم إسم **السيد**، أو "**Le Cid**" باللاتينية، و إسم السيد في الأصل لقب عربي، أطلق بصورة خاصة على رودريجود ياس دي قيفار "**Rodrigo Dias de Vivaŕ**" و هو قشتالي، عرض خدماته كقائد عسكري على ملك سرقسطة بعد أن خاصم ألفونسو السادس، و انتهى حاكما مستقلا لمدينة بلنسية Valencia. أنظر: مونتغمري

نفاه ألفونسو السادس[1] ملك ليون فانضم إلى جيوش يوسف المؤتمن و مضى يحارب أعدائه، و استطاع أن يلحق الهزيمة بالكونت رامون بيريجير صاحب قطلونية في موقعة المنارة التي وقع فيها الكونت في أسر ابن هود و استمرت إقامة السيد في سرقسطة إلى عام 477هـ/1084م[2]، و بعد وفاته خلفه أحمد بن يوسف الملقب بالمستعين، و الذي استمرت الحرب الأهلية في عهده[3]، و لكن هذه المرة مضى يحارب فيها عمه المنذر فاستعان كل واحد منهما على صاحبه بالنصارى، و في هذه الآونة استطاع ألنفونسو السادس أن يحتل طليطلة[4]، فازدادت ثقته بنفسه، و أخذ يخطط هجوم سرقسطة، و كان المظفر حسام الدولة الذي أودعه أبو جعفر المقتدر بالله في سجن روطة قد فر من سجنه أيام ابني أخيه يوسف و أحمد في أوائل عام 477هـ/1084م، و احتمى بألفونسو السادس و توفي عنده بعد فترة، فزعم ألفونسو أن المظفر قد تنازل له عن نصيبه في الملك، فهب هو و رجاله نحو روطة، إلا أن يوسف المؤتمن و حليفه القمبيطور تمكن من إيقاع هزيمة شنيعة بألنفونسو الذي لم ينجو منها إلى بصعوبة[5]، و مرة أخرى يعيد ألفونسو حصاره على المدينة و ذلك عام 478هـ/1085، إلا أن المستعين قاومه[6]. في هذا الوقت كانت هناك تطورات خطيرة تجري في الأندلس فقد اجتمعت كلمة ملوك الطوائف على استقدام المرابطين[7] الذين لبوا النداء مسرعين

وات؛ في تاريخ إسبانية الإسلامية، (مع فصل في الأدب بقلم بييزكاكيا)، ترجمة: د.محمد رضا المصري، ط.2، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت، 1998، ص 105.

[1] جرت بينه و بين المعتمد بن عباد تحالف لمساعدته ضد أعدائه المسلمين، مقابل الدخول إلى طليطلة و كان له ذلك حيث دخلها في 27 محرم 478هـ/1085م، و هو العام الذي توفي فيه، و كان ذلك بمثابة خطر كبير على الوجود الإسلامي كله بالأندلس لأن ألفونسو أعلن عن مشروعه لاسترجاع أسبانيا كلها ابتداء بدغوله مدينة إشبيلية. أنظر: **ابن الخطيب**، تاريخ إسبانية، تحقيق: ليفي بروفنسال، المصدر السابق، ص 241 ـ 246، يوسف أشباخ؛ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، ترجمة: محمد الله عنّان، ط.2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1958م، ص 54 ـ 61، 73 ـ 75.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 110.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 163.

[4] المقري، المصدر السابق، ص 141.

[5] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 123 و ما بعدها.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 182، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 241 و ما بعدها.

[7] يسمون بالمتونيون، و اشتق إسمهم من ثوبهم "المت"، و عرفوا كذلك بالملثمين لاتخادهم الحجاب في الحرب و المناسبات فيما بعد المرابطون، و هي كلمة مشتقة من الرابطة، و معناها المسلمون الوارعون المنقطعون للعبادة، و هم قبائل من الرحل كانوا ينتقلون في صحاري إفريقية، و ينتمون إلى قبائل سنهاجة، و زعيمهم يحي بن إبراهيم الجدالي، و يعتبر يوسف بن تاشفين بن ابراهيم المؤسس الفعلي للدولة المرابطية سياسيا، فقد قام بتنظيم العامة المرابطية، و قد كانت له فتوح كثيرة وسع بها دائرة سلطان المرابطين، و كان دخولهم إلى الأندلس بدعوة من

في الجواز إلى الأندلس لإيقاف الزحف النصراني و تخليص البلاد من ظلمهم فجاز المرابطون بعد ذلك[1]. و لما بلغت هذه الأخبار أهل سرقسطة ارتفعت معنوياتهم، و استعصى الأمر على ألفونسو السادس[2]، فاضطر هذا الأخير إلى فك الحصار لمواجهة الحلف الإسلامي بحلف نصراني، و التحمت القوات الإسلامية بالجموع النصراتنية في الزلاقة[3] عام 479هـ/1086م، و في هذه الموقعة نجد بنو هود لم يشاركوا فيها مع بقية ممالك الطوائف لحراجة موقعها بين الممالك النصرانية، فحرصت على الحياد حتى لا تضطرب علاقتها مع تلك المماليك[4]. و تذكر المصادر أن الفقهاء هم الذين حرضوا يوسف بن تاشفين القضاء على ممالك الطوائف الذين استحالت توحيد كلمتهم، فالعداء مستمر بين افخوة كما لاحظنا ذلك لاسيّما اتصالاتهم المستمرة مع أعدائهم عن طريق عقد معاهدات معهم، و رفع الإتاوات الضخمة لملوكها[5]، ثم أعطى يوسف بن تاشفين إشارة البدء للقضاء عليهم، فلم تمض ثلاثة عشر عاما حتى أخضعوها جميعا ما عدا مملكة سرقسطة.

و الواقع أن المستعين أخذ يشعر من ذلك الحين بأن مصير مملكته قد أضحى رهنا أمام المرابطين و من ثم فقد رأى أن يكسب مودتهم، و أن يتقرب منهم، و يظهر ذلك عندما أرسل ولده عبد الملك إلى قرطبة بهدية إلى أمير المسلمين يوسف[6].

نستبين من خلال ذلك أن هذه التطورات التي حدثت، كان المستعين بن هود مضطر إلى تحسين علاقته مع المرابطين أكثر من النصارى، كما أن المرابطين لم يكونوا

المعتمد بن عباد عام 478هـ/1085م، لإنقاذ الإسلام من خطر النصاريى. أنظر: ابن الخطيب المصدر السابق، نفس الصفحات؛ يوسف أشبخ، المرجع السابق، ص 62 67.

[1] **ابن بلقين؛** مذكرة الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيري بغرناطة (469 483هـ)، المسماة بكتاب التبيان، نشر و تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر، دون تاريخ، د.ت، ص 106 107.

[2] **ابن أبي زرع،** المصدر السابق، ص 148 150.

[3] الزلاقة سهل بطلعة العرب و يسميها البعض بالسهلة أما النصارى يطلقون عليه إسم سكرليلياس. أنظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 82 84.

[4] **ابن الخطيب،** المصدر السابق، ص 246 247؛ عماد اتلدين أبي الفداء؛ تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، علق عليه محمود ديّول، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج.1، ص11؛ الضبي، المصدر السابق، ص 31.

[5] **ابن بلقين،** المصدر السابق، ص 109.

[6] **ابن الخطيب،** المصدر السابق، ص 174؛ عنان، المرجع السابق، ص 291.

متشجعين لإسقاط مملكته لإدراكهم موقعها الاستراتيجي الذي يشكل الحاجز بينهم و بين ممالك النصرانية[1].

ففي عام 503هـ/1109م خرج المستعين بعد أن جدد البيعة لنفسه و لولده عماد عبد الملك، و اتجه لغزو النصارى، و استطاعا أن يحققا عدة انتصارات، و في طريق عودته إلى المملكة لحقت به خيل النصارى في أول رجب و نشبت بينهم معركة بالقرب من فالتييرا، فهزم المسلمون و قتل المستعين[2]، و بوفاته فقدت مملكة بني هود آخر زعمائها القوياء الذين حافظوا على استقلالها و حمايتها، و انتخب عبد الملك خليفة لأبيه على شرط ألا يلجأ إلى النصارى مستنجدا أو محالفا[3]، لكنه لم ينفذ وعده، و لما رأى أهل سرقسطة كتبوا إلى علي بن تاشفين يناشدونه بخلع أميرهم، فاستفتى على فقهاءه، فأفتوه بوجوب تحقيق هذه الرغبة، و فتح أهالي سرقسطة أبواب مدينتهم للمرابطين صبيحة يوم السبت العاشر من ذي القعدة سنة 503هـ/1009م، و استغل المرابطون حكام سرقسطة الجدد تفسخ الجبهة النصرانية، فأخذوا يشددون الغارات على حساب أراضيهم بقيادة محمد بن الحاج، و قد استمر على ذلك حتى عام 508هـ/1114م حيث استشهد في هذه السنة[4]، و في هذا الوقت خلفه أبو بكر بن تافلويت[5] على سرقسطة الذي قام بغرات انتقامية ضد عماد الدولة في روطة، و بذلك شدد ألفونسو المحارب[6] من ضرباته لسرقسطة طامعا في امتلاكها، و استطاع أخيرا دخولها يوم الأربعاء 12 رمضان من عام 512هـ/1118م[7]. و اتخذ ألفونسو المحارب من مدينة سرقسطة عاصمة له و أخذ ينظم شؤونها، و حول المسجد الجامع فيها إلى كنيسة سميت لاسيو، و جعل من سرقسطة مركز أسقفية، و منح سكانها النصارى امتيازات الأشراف كما عين جاستون دي بيارن سيدا لمدينة، و استطاع النصارى بهذه

---

[1] عنان، المرجع السابق، ص 192- 193.
[2] مات شهيدا في هذه المعركة عام 503هـ/1109م.
[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 174.
[4] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 158- 160.
[5] توفي بروطة، عام 510هـ/1116م.
[6] تزوج من إبنة ألفونسو السادس الوحيدة و إسمها أورّكا Urraca ، ورثة لعرشه و كان ملكا على مملكة أراغون، و بذلك اتحدت قشتالة و أراغون تحت سيادته. أنظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج.1، المصدر السابق، ص 26.
[7] ابن الكردبوس، المصدر السابق، 117- 119.

الإجراءات أن يمسحوا صورتها الإسلامية في فترة مبكرة، و أن يطبعوها بطبع نصراني[1].

تقييم الحياة السياسية:

كان عصر ملوك الطوائف[2]، مليئا بالفتن و الاضطرابات، إذ أصبحت خلاله الأندلس حلبة للمصارعة، و الحروب الطاحنة التي لم تتوقف و لو فترة من الزمن، و هو ما يفسر من أن هذا العهد ما كان إلا مرحلة من الضعف و الانحطاط في تاريخ الأندلس السياسي، فتح فيها المجال لتدخل النصارى الأسبان في شؤونهم الداخلية، خاصة بعد أن اعتصم بهم بعض الملوك الضعاف استنجادا بهم ضد بعضهم البعض، راضين بدفع الجزية للنصارى، و الخضوع لهم، على الاستسلام لأبناء جلدتهم.

لم يكن هذا الضعف ناتجا عن نقص الأموال و الأنفس، و كانت تلمع في سماء حضارتهم، الفنون و العلوم، و لكن الضعف أتاها من تباغض زعمائها و أمرائها، و صراعهم الدائم على السلطة، ضف لذلك الترف و البذخ الذي عما قصورهم[3]، هذا الضعف الذي غطى على تاريخ البلاد الأندلسية خلال هذه الفترة، هيأ الجو الملائم للأسبان و أعطاهم فرصة استعادة ملكهم من جديد، فلذلك أعلنوا حروب الاسترداد ضد المسلمين، و حينئذ وجدوا أنفسهم مهددين، يعانون من مصير واحد، فاتحدوا لأول مرة، ولكن فترة قصيرة جدا، على يد المعتمد بن عباد[4]، لكنهم سرعان ما عادوا عما كانوا عليه، فكان إذن فشلهم في حماية دولة الإسلام بالأندلس، سببا في دخول يوسف بن تاشفين، و من ضمن هذه الدويلات المتناحرة، دولة بني هود الجذامية، و التي عانت

---

[1] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 157.

[2] في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، انقسمت الأندلس إلى دويلات مستقلة، يرأسها أمراء، و هي أكثر من عشرين أسرة، يأتي في مقدمتها بنو عباد ملوك إشبيلية **(414 484هـ/1023- 1091م)**، و مؤسسها **المعتمد بن عباد**، و **بنو جهور** بقرطبة، و مؤسسها **أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور (422 449هـ/950 1057م)**، و دولة بني ذي النون بطليطلة، و مؤسسها **إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون (400 478هـ/1009- 1085م)**، و **بنو الأفطس ببطليوس**، و مؤسسها **عبد الله بن الأفطس (413 487هـ/1022- 1084م)**، و غيرهم.أنظر: إبن حزم الأندلسي؛ **طوق الحمامة في الآلفة و الآلاف**، تحقيق و تقديم: فاروق سعد، مكتبة الحياة، بيروت، 1972م، ص12،13، **ابن الخطيب، أبي عبد الله**؛ رقم الحلل في نظم الدول، ط.1، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ، ص 45.

[3] **مجهول**، المصدر السابق، ص 59.

[4] من ملوك إشبيلية بغرب الأندلس، و منهم أبو القاسم محمد بن المعتمد بن القاضي محمد ابن سماعيل اللخمي، كان عالما شاعرا، نفي إلى أغمات و مات هناك سنة 488هـ 1095م. أنظر المقري، المصدر السابق، ص 438، الذهبي، شمس الدين محمد؛ العبر في خبر من غبر، حققها و ضبطها: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ت، ج.2، ص 358- 359.

من الاضطرابات و التمزق السياسي[1]. و نتساءل هنا هل كان للحياة السياسة أثر على الحياة الفكرية؟ فالبرغم من تدهور الأوضاع السياسية، إلا أن ذلك لم يمنع من ازدهار الحياة الفكرية في سرقسطة، وقد دلت المصادر كلها على تشجيع أمراء بني هود للعلماء و العلوم، و في عهدهم انتشرت الكتب و المكتبات، و كثرت المنافسة إلى امتلاكها[2]، فبرزت أسرة بن صغير السرقسطي في هذه الفترة، و كانت من هواة جمع الكتب، و استطاعوا امتلاك مكتبة عظيمة، و التي تضم الكتب النفسية[3]، كما أدت هذه الأوضاع إلى بروز طبقة من الفقهاء، الذين طالما حاولوا إصلاح أمور الحكام، الذين صاروا إلى حياة الترف و البذخ، من أمثال هؤلاء: أبو الوليد الباجي[4].

كان حكام هذه الأسرة، منشغلين بالسلطة و التوسع على حساب بعضهم البعض، الأمر الذي جعل اهتمامهم يبدو ضئيل فيما يخص الحياة العلمية، فأخذوا يتباهون بالألقاب التي كانت للخلفاء الذين سبقوهم من بني أمية[5].

في ذلك يقول ابن رشيق القيرواني:[6]

مما يبغضني في أرض أندلس سماع مقتدر فيها معتضد

ألقاب بسلطنة في غير مملكة كالهر يحكي انتفاخ الأسد[7]

كانت سياسة الحكام اتجاه رعاياهم، محل نقد طرف العلماء، لأنهم كانوا يفرضون المغارم و الضرائب عليهم، لملأ خزائنهم بالأموال، ليصرفها في الترف

---

[1] **التليلي**، المصدر السابق، ص 25.

[2] **نفسه**، ص 47.

[3] **خوليان ريبيرا**؛ المكتبات و الهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، ترجمة: د.جمال محرز، (مجلة معهد المخطوطات العربية)، جامعة الدول العربية، د.ط، 1378هـ 1959م، المجلس الخامس، ج.1، ص 84.

[4] **حسين مؤنس**؛ شيوخ العصر في الأندلس، مطابع الهيئة العامة للكتاب، مدريد، 1965م، ص 84 85.

[5] **المقري**، المصدر السابق، ص 213.

[6] هو **أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم القروي، الكاتب القيراواني**، المعروف **بابن الرقيق النديم**، المؤرخ كانت له تصانيف كثيرة، و من أشهرها كتابه المعروف بـ"**تاريخ القيرواني**"، أنظر: **البغدادي إسماعيل باشا**؛ هدية العارفين، (أسماء المؤلفين و آثار المصنفين)، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان إستانبول، 1955م، المجلد الثاني، ص 7.

[7] **إبن أبي دينار**؛ **المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس**، تحقيق: محمد شمام، ط.2، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م، ص 101، المقري، المصدر السابق، ص 213 214، و المقرلاي في تفحة، يذكر مكان يبغضني، يزهدني.

و الغناء و الخمر[1]، كما ساهم الشعراء في نقدهم، لذلك أسهبوا في وصف الأوضاع السياسية في قصائد عديدة[2].

الحياة الاجتماعية:

كان المجتمع الأندلسي، يتكون من عناصر مختلفة، و لكل عقيدته، و عادته، من عرب و بربر و إسبان، ضف لهؤلاء المولدين و المستعربين[3]، و يعود ذلك إلى كثرة الأمم التي استوطنتها، إذ دخلها الوندال، و بعدهم أمة من إفريقيا، و ما لبثوا أن غزوهم عجم روما المدعون بالاشبانيين، و بعدهم القوط، ثم جاء العرب و فتحوها[4]، و الذين كانوا مزيج من المصريين و العراقيين و الشاميين[5]، و قد بلغ سكاني ذروته في العهد الروماني، ثم تضاعف في أيام العرب، بسبب عامل الهجرة و المستوى المعيشي الرفيع.[6]

شهد المجتمع الأندلسي في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، الانحلال الخلقي، الذي يرجع إلى انتشار المفاسد و المنكرات نتيجة استهتار الحكام، وعدم تشديد رقابتهم على المجتمع و ما يحصل فيه، و لذلك برزت مجموعة من العلماء و الفقهاء، الذين حملوا مسؤولية هذه الأمة، من إخراجها مما هي فيه، و ذلك بتنبيههم و حثهم على الابتعاد عن الانحرافات و الآفات الاجتماعية، و التي كانت ميزة العصر، فجاءت كتب الحسبة، صورة واضحة و فصيحة عن الحياة الاجتماعية التي سادت الأندلس عبرت عن مستوى عال وصل إليه التأليف بالأندلس، حتى أنها ظلت نماذج ممتازة حول موضوع الحسبة في عصر ملوك الطوائف و المرابطين، بسبب نزعتها العملية التطبيقية، و دقتها في العرض، و صفاء أسلوبها، و لذلك كانت بمثابة القاعدة،

---

[1] **التليلي**؛ المصدر السابق، ص28 29.
[2] **جمعة شيخة**، المرجع السابق، ص7.
[3] **مصطفى الشكعة**؛ الأدب الأندلسي، موضوعاته و فنونه، ط.7، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص21، **قيصر مصطفى**؛ حول الأدب في الأندلس، مؤسسة الأشرف للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1987م، ص34.
[4] **المقري**، المصدر السابق، ص133، 137 139.
[5] **أحمد أمين**؛ ظهر الإسلام، ط.5، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص12.
[6] **شكيب أرسلان**؛ المرجع السابق، ص41

للاستدلال لكثير من المؤلفين اللذين أرخوا للحياة الاجتماعية و الاقتصادية[1]، و منها رسالة في القضاء و الحسبة لمحمد بن أحمد بن عبدون، و الذي عاش في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي و أوائل القرن السادس الهجري الثاني عشر للميلاد[2]، و آداب الحسبة للفقيه أبي عبد الله بن محمد بن أبي محمد السقطي، و الذي عاش أيضا في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[3].

أما ما يخص المجتمع السرقسطي، فقد انقسم إلى أربع فئات[4]، و هذه العناصر تختلف في العقيدة و التاريخ و الجنس و الأصل و الانتماء و اللغة، لذلك صنفناها حسب ما ورد في كتاب "الحضارة العربية" لجاك ريسلر، فيأتي في مقدمتهم العرب[5]، الذين يمثلون الخليفة و أسرته المكونة من الأبناء و الأحفاد، و من ثم أرستقراطية الفاتحين[6]، و بالرغم من أن العرب في الأندلس يشكلون الأقلية[7]، فإنهم في سرقسطة نجدهم أكثر عددا من البربر[8]، ثم يليهم المسلمين الجدد أي مستعربين و المولدين، و الذي اعتنقوا الإسلام عن قناعة أو مصلحة[9]، أما الفئة الثالثة، فهي تتكون من الذميين، و هم النصارى أو الأسبان، و هم السكان الأصليين لإسبانيا، إلى جانب

---

[1] **موسى لقبال؛** الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها و تطورها، ط.1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1971م، ص 51-52.

[2] أنظر: **Lévi-Provençal, (E)** ; un document sur la vie urbaine et les corps de matière à Séville au début de XII siècle, Journal Asiatique, Paris, Avril 1934, tome : CC XX IVI, p181.

[3] أنظر: Ibid, p 179.

[4] **جاك ريسلر،** الحضارة العربية، تعريب: خليل أحمد خليل، ط.1، منشورات عويدات، بيروت باريس، 1993م، ص81.

[5] و هم من عناصر سكان الأندلس، و كان لهم دور بارز، رغم أنهم يشكلون الأقلية، و يختلف هؤلاء في انتمائهم، فمنهم عرب الجنوب و عرب الشمال، و منهم الفاتحين و المهاجرين، و قد وفدوا إلى الأندلس، مع موسى بن نصير، و منهم من جاء مع أبي الخطار اليماني و آخرون أمويون، و كان لهؤلاء كثير من التابعين من أمثال حنش الضعاني الذي لعب دور كبير في سرقسطة. أنظر: المقري، المصدر السابق، ص238، و ما بعدها؛ عصر فروخ؛ تاريخ الأدب العربي، (الأدب في المغرب و الأندلس من الفتح إلى آخر عصر ملوك الطوائف أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر للميلاد)، ط.3، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م، ص15؛ حسين دويدار؛ المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، (138 422هـ/755 1050)، ط.1، مطبعة الحسن الإسلامية، القاهرة، 1414هـ 1990م، ص15 16.

[6] **جاك ريسلر،** المرجع السابق، ص81.

[7] **العبادي، أحمد مختار؛** في التاريخ العباسي و الأندلسي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، د.ت، القسم الثاني، ص 366.

[8] و هم من سكان شمال إفريقية، و قد دخلو الأندلس مع طارق ابن زياد، و ازداد عددهم أكثر، و شاركوا العرب في بدواتهم و حضارتهم و دينهم. أنظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ص6، المقري، المصدر السابق، ص 254 259.

[9] **جاك ريسلر،** المرجع السابق، ص81.

هؤلاء تبرز فئة اليهود[1]، الذي عانوا من حكم القوط، و بمجيء العرب تحرروا من العبودية، و الظلم، و الجور، و برزوا في الكثير من المناصب المهمة، سواء السياسة أو العلمية[2]، و كانت لهم بسرقسطة أحياء خاصة، و تسمى في التاريخ الأندلسي بحارات اليهود أو مدينة اليهود[3]، و قد برز دورهم خاصة في بلاط بني هود، و من أمثالهم ابن جبيرول[4]، و أبي الفضل حسداي[5]، الذي وصل إلى مرتبة الوزارة في عهد المؤتمن بن هود[6]. و تلي هذه الفئات طبقة العبيد و التي كانت تتمتع بكل الحقوق الدينية[7]، و قد ذكر ابن عبدون، أن أحوال المجتمع الأندلسي في عصره قد فسدت و انحطت دياناتهم و أخلاقهم[8]، و هو ما أدى إلى ضرورة إحكام مهمة المحتسب[9]، و تشديدها، و ذلك بالمحافظة على القيم الاجتماعية و الأخلاقية، فقد كان يمنع الرجال من الجلوس في الطريق بلا هدف فقد لترصد النساء، و ذلك لأن الشرع نهى عن هذه السلوكات السيئة[10]، ضف إلى ذلك كان يمنع الخمارين و السكارى من دخول الأسواق لما يحدثوه من مشاجرات، و كان يؤدب الطوافين و المتحيلين بالأباطيل لما كانوا يفسدونه بأخلاقهم في المجتمع[11]، كما كان يأمر أعوانه بالبحث عن الشبان الذين

---

[1] أنظر: **Clot (André),** ; L'Espagne musulmane, (VII[e]-XVE siècle), Libraire Académique, Perrin, Paris, pp 236-238, p 242

[2] **صاعد الأندلسي،** المصدر السابق، ص 18.

[3] أنظر: **Lévi, Provençal**, (E), Histoire de L'Espagne, tome VI op.cit, p.354.

[4]

[5] **بلثنيا آنخيل جنثالث؛ تاريخ الفكر الأندلسي،** تحقيق: حسين مؤنس، ط.1، مكتبة الثقافة الدينية، 1928م، ص 493.

[6] **صاعد الأندلسي،** المصدر السابق، ص204، **المقري،** المصدر السابق، ص 640.

[7] **حسن إبراهيم حسن؛** تاريخ الإسلام السياسي و المدني و الثقافي و الاجتماعي، (العصر العباسي الثاني في المشرق و مصر و المغرب و الأندلس 447 656هـ/1055 1258م)، ط.13، مكتبة النهضة المصرية، دار الجبل، بيروت القاهرة، 1411هـ 1991م، ص591،590.

أنظر: **Clot (André)**, op.cit, p 232

[8] **إبن عبدون؛** ثلاث رسائل في الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص 60.

[9] هو الناظر في أمور الحسبة في الدولة الإسلامية، موظف مدني يعينه الخليفة أو نائبه، أو القاضي، مهمته النظر في شؤون الرعية، كان يعرف بصاحب السوق لأن أكثر نظره كان فيه، ثم عرف بصاحب الحسبة، و أصبح له النظر في كل ما يهم المسلمين في أسواقهم و مجتمعاتهم و معاملاتهم. أنظر إبن الأخوة؛ معالم القربة في أحكام الحسبة، نقله و صححه: روبن ليوى، مطبعة الفنون، كيمبرج،1937م، ص 7 9، الونشريسي، أحمد بن يحي؛ **الولايات و مناصب الحكومة الإسلامية و الخطط الشرعية،** نشر و تعليق: محمد الأمين بلغيت، مطبعة لافوميك، الجزائر، د.ت، ص28.

[10] **الجرسيفي،** ثلاث رسائل أندلسية، المصدر السابق، ص 55.

[11] **نفسه،** ص123، 124.

يتسببون في السرقات و يسجنهم[1]، و حتى أنه كان يشرف على الحمامات، و التي كانت أهم المرافق الاجتماعية[2]، و كان يمنع أن يكون متقبل حمام النساء رجلا لأن ذلك حرام[3]. إلى جانب وظيفة المحتسب التي لا تقتصر علاقتها مع ولاية الشرطة، فقد كانت لهما مكانة مرموقة في الدولة الإسلامية و هدفهما الحرص على السير الصحيح للحياة الاجتماعية و الحفاظ على الأخلاق، و قمع الفساد و المفسدين[4].

أما بالنسبة للأندلس فقد دلت العديد من التراجم على العلاقة التي تربط وظيفة الحسبة بالشرطة، بناء على أنهما يهدفان إلى تحقيق التكامل في السلطة السياسية بالحفاظ على الأمن و النظام[5]. و في سرقسطة كانت خطة الشرطة بارزة، و ممن اشتغل بها قاضي الثغر الأعلى محمد بن علي بن أبي الحسين، و الخازن أحمد بن محمد الكلبي، و عبد الرحمن بن يحي بن محمد بن هاشم بن التجيبي[6]، و كانت النساء في سرقسطة، أشبه بنساء المشرق، و أكثرهن أميات و فيهن جواري، و كن يلبسن الحجاب، و كانت قصور الأمراء تعج بهنّ[7]، و الواضح أن المرأة شغلت جانبا كبيرا في المجتمع الأندلسي، و قد احتلت مكانة مرموقة عندهم فحرصوا على احترام كيانها و تقديرها، و منع كل ما يسيء إليها، و لذلك كان المحتسب يمنعهن من الوقوف في الشرفات حتى لا يكتشفن عن سترهن[8]، و يحرص على أن لا يعزر القصاصون و الحُسّاب، و يمنعهن من دخول لأحجبتهم[9]، و يمنعهن من التنزه لوحدهن في الأماكن المشبوهة[10]، وقد كان صارما مع بعض، و على العموم فاختصاصات المحتسب في هذا المجال واسعة جدا و لا يمكن حصرها، و نستبين من خلال هذا: أن المجتمع

---

[1] **ابن عبدون**، المصدر السابق، ص 49.
[2] **الغزالي أبو حامد**؛ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من كتاب إحياء علوم الدين، تقديم: رضوان السيد، ط.1، دار إقرأ، بيروت، 1983م، ص91.
[3] **ابن عبدون**، المصدر السابق، ص 49.
[4] أبو زيد سهام مصطفى؛ الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986م، ص 237 239.
[5] ابن الآبار، الصلة، تحقيق: عزت الحسيني، ج.1، المصدر السابق، ص 15.
[6] ابن حيان؛ المقتبس في أخبار الأندلس، تحقيق: محمد علي الحجي، .....، ص 106، 118، 237.
[7] **عبد العزيز عتيق**؛ الأدب العربي في الأندلس، ط.2، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1967م، ص 4.
[8] **ابن عبد الرؤوف**، ثلاث رسائل أندلسية، المصدر السابق، ص113.
[9] **ابن عبدون**، المصدر السابق، ص 29.
[10] **نفسه**، ص 47.

في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، بالرغم مما بلغه من الانحلال الخلقي، وظهور الآفات الاجتماعية، إلا أنه لم يمنع من وجود ضوابط تقيده من هذه التصرفات و كان لهم المحتسب بالمرصاد. و المجتمع السرقسطي كغيره من المجتمعات الأندلسية في هذا العصر، فكانت ضوابط تلازمه، و هناك من يراقب أحوالهم يلزمهم بشروط، حتى لا يفسدوا هبة المجتمع.

أما زي أهل الأندلس لاسيما في شرقها ترك العمائم على عكس أهل غربها الذي لا تكاد ترى فيهم قاضيا و لا فقيها إلا و هو بعمامته، و هذا ما ذكره المقري حين وصف زيّ عزيز بن خطاب المعروف بأبي بكر المرسي السرقسطي الزاهد، اشتغل قاضيا بمرسية Murcia[1]، حضر يوما مجلس السلطان، و قد خطب له بالملك فقال فيه: "و هو حاسر الرأس، و شيبه قد غلب على سواد شعره)[2]، كما ذكر المقري أمراء بنو هود[3]، أنهم لا يضعون العمائم على رؤوسهم، و غالبا ما يلبسون زي النصارى المجاورين لهم[4].

نستبين من ذلك أن الأمراء الذين كانوا من قبلهم أي في عهد ملوك الطوائف و المرابطين كانوا يستغنون عنها، و أما عن تقليدهم لزي النصارى، فلعل ذلك يرجع إلى موقع سرقسطة القريب من الممالك النصرانية مما جعلهم يتأثرون بزيهم، و أطعمتهم، و نمط معيشتهم.

كانت طريقة الطهي بالأندلس عامة متأثرة بالطهي العراقي، و يرجع الفضل في ذلك إلى الموسيقي المشرقي زرياب[5] الذي علم الأندلسيون طريقة الطهي، و نصحهم بالترتيب في تقديم الأطعمة بدلا من وضعها دفعة واحدة، فيبدأ الإنسان بالحساء أو المقبلات، ثم بالخضروات، و اللحوم، ثم بالحلوى أو الفاكهة، كما أشار إليهم باستعمال الأواني الزجاجية بدلا من الأواني الفضية و الذهبية[6].

---

[1] وهي من قواعد الشرق الأندلس، فمن أعمالها أوريولة و القنت ولورقة، مدينة بحرية بها متفرجات لا مثيل لها ببلاد الأندلس، انظر: المقري، المصدر السابق، ص 166- 173.

[2] **المقري**، المصدر السابق، ص 222.

[3] يظهر من وفاة المقري، 986هـ/1631م، أنه عايش دولة بني الأحمر بالأندلس.

[4] نفسه، ص 222- 223.

[5] سنترجم له في الفصل الثالث.

[6] **العبادي**، المرجع السابق، ص 132.

ب الحياة الاقتصادية:

1- الزراعـــة:

نظرا للموقع الاستراتيجي الذي تحظى به منطقة الثغر الأعلى، فقد انعكس على ازدهار الحياة الزراعية[1]، و قد أكسب المنطقة دورا مهما، في تخصيب تربتها، و التي كان لها أثر في تنويع المحاصيل الزراعية[2]، و كانت سرقسطة تشرف على أنهار عديدة منها نهر إبره و روافده، و نهر أوربة من ناحية الغرب، و نهر شلون و جلـق[3]، من ناحية الشمال، كما ساهم العامل البشري في ازدهارها، بحيث جلبت قبائل العرب و البربر إليها أساليب الزراعة، التي كانت معروفة لدى المغاربة[4]، و قد اهتم سكان سرقسطة بالزراعة منذ وقت مبكر لقوله تعالى:

"الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ".[5]

تشتهر منطقة الثغر الأعلى بإنتاج الحبوب بكميات معتبرة، نظرا للمناخ الجاف الذي تتميز به، و الملائم لنوع هذه الزراعات، و من أبرزها زراعة القمح و الشعير و الحنطة[6]، و قد اشتهرت سرقسطة بإنتاج الحبوب[7]، و بحكم المنطقة عرضة للحروب الدائمة مع الأعداء فكان الناس يجففون الحبوب و يدخرونها لعدة سنين[8]، و كانت تتميز هذه المجففات، بقوامها للتعفن، و لعل السبب يرجع إلى توفر المنطقة إلى الملح الدراني الأبيض، و التي كانت جدران المدينة تبنى به، بحيث يقومون البناءون بخلطة

---

[1] **السامرائي**، المرجع السابق، ص 46 47.
[2] **الحميري**، المصدر السابق، ص 317، اليعقوبي، المصدر السابق، ص 111.
[3] و قد شرب منه **موسى بن نصير**، فاستعذبه، و حكم أنه لم يشرب بالأندلس أعذب منه، و عندما سأل عن إسمه قيل له **جليق**، و نظر إليه ما عليه من بساتين، ثم شبهها بفوطة جلق الشام. أنظر: **المقري**، نفسه، ص 150.
[4] **نفسه**، ص 197.
[5] **سورة البقرة**، آية 22.
[6] **الحميري**، المصدر السابق، ص 317.
[7] **السامرائي**، المرجع السابق، ص 58.
[8] **المقري**، المصدر السابق، ص 317

في الجير و الجص، يستعملونه في بناء الجدران[1]، و يذكر الحميري أن هذه المدن لا تدخلها العقارب و لا ثعابين، لتركز هذه المواد فيها[2].

و في ذلك يقول المقري:" في سرقسطة يوجد القمح من مائة عام سنة، و العنب المعلق من ستة أعوام، و التين و الخوخ و حب الملوك و التفاح، و الإجاص اليابسة، من أربعة أعوام، و الفول و الحمص من عشرين عاما"[3]. و يوجد بالمنطقة الأرحاء التي تدار بالماء لطحن الحبوب، و يكثر وجودها في طركونة، و تطيلة، و يعتبر الزيتون من أهم المحاصيل في المنطقة و الذي يكثر إنتاجه في أفراغة، و سرقسطة، و وشقة[4]، و تكثر بساتين الفاكهة في المنطقة، و قد شبه موسى بن نصير بساتين سرقسطة بغوطة دمشق[5].

و يتبين من هذا القول، أنها تتمتع بالفواكه المتنوعة، و التي لا تكاد تنقطع على مدى الفصول[6]، و يوجد بقلعة أيوب، المرّ الطيب و يقصد به العنبر، بحيث تصدره إلى جميع المناطق[7]، و يوجد بها بساتين كثيفة، دائمة الاخضرار[8]، و تتميز بجنانها الطيبة، ذات الفواكه اللذيذة، كالتين و حب الملوك[9] و من أشهر فواكهها أيضا العناب التي تتميز بكبر حجمها، و يكثر إنتاجها في سرقسطة، و وشقة، و دروقةDaroca[10]، و طركونة[11]، و تكثر أشجار التفاح في أقاليم سرقسطة و لكثرة بساتين التفاح بها أصبحت هذه الفاكهة رخيصة الثمن جدا حتى أن أهلها يستعملون

---

[1] **الحميري**، المصدر السابق، ص 317.
[2] **المقري**، المصدر السابق، ص 197.
[3] **نفسه**.
[4] السامرائي، المرجع السابق، ص 58 59.
[5] المقري، نفسه، ص 150.
[6] **نفسه**، ص 140.
[7] **نفسه**، ص 141.
[8] **الحميري**، المصدر السابق، ص 317.
[9] **المقري**، المصدر السابق: 197
[10] من أعمال قلعة أيوب، و هي مدينة صغيرة متحضرة كبيرة كثيرة البساتين و الكروم. أنظر: الحميري، نفسه، ص 235.
[11] الحميري، نفسه، ص 235، المقري، نفسه، ص 197؛ السامرائي، نفسه، ص 59.

الفواكه سمادا للأرض لأن ثمنها في الغالب لا يسد أجور النقل[1]، و يكثر كذلك إنتاج الكمثري و الزعرور في مدينة وشقة[2]، و مدينة ركلة[3].

أما تربية الحيوانات في هذه المنطقة فمن المنطقي أنها تعتمد في حرث الأرض على الحيوانات مثل كالثيران و البغال، و بعضها الآخر يستفاد منها للنقل، و اشتهرت مدينة تيطلة و طرطوشة بذلك، كما اشتهرت سرقسطة بتربية النحل، و لذا كثر إنتاج العسل فيها.

فمن خلال الدراسات التي أجريت حول أحوال الزراعة في الثغر الأعلى تبين أن هناك نوعا من التعاون الجماعي في حصاد الزرع و جني المحصول[4].

هذا ما جعل من الزراعة تتطور، لتساهم في ازدهار اقتصاد المنطقة و تعزيز مكانتها التجارية و الصناعية.

2. الصنـــاعـة:

يبدو أن الأوضاع السياسة المضطربة على عهد ملوك الطوائف، لم تمنع البلاد من الرخاء الاقتصادي بل أصبحت الأسواق الأندلسية، تعج بمختلف المنتوجات، و ازداد عدد الحرفيين في مختلف حواضرها، و اتسعت التجارة الداخلية و الخارجية[5]، و قد تمكن بعض الملوك من ضبط الأوضاع السياسية، بحيث سعوا إلى التحكم في شؤون اقتصاد البلد، و هو ما أدى إلى ازدهار الاقتصادي[6]، فازدهرت الصناعة في منطقة الثغر الأعلى، فقد كانت فيها المعادن المختلفة، مثل الحديد و النحاس المستعملان لصناعة الأسلحة، و تعتبر وشقة من أهم المدن في صناعة الدروع، و جميع الآلات الحديدية و النحاسية، هذا ناهيك عن توفرها للمعادن و الأحجار الكريمة، مثل الذهب و اللؤلؤ و المرجان[7]، و التي كانت تستعمل لصناعة الحلي و الأقراط و الأسوار التي كانت المرأة تتزين بها. كما تشتهر المنطقة بصناعة

---

[1] **الحميري**، المصدر السابق، ص 317.

[2] نفسه، ص 612.

[3] نزل بمدينة ركلة في أيام بني هود برد عظيم حطم أغصان شجر الكمثري حتى تركها دون أغصان، و في اليوم الثاني وجد في زنة واحدة منها ثلاثة أرطال. الحميري، المصدر السابق، ص 268.

[4] **السامرائي**، المرجع السابق، ص 60.

[5] **ابن حزم**، المصدر السابق، ص 13- 14.

[6] **محمد عبد الوهاب خلاف**، المرجع السابق، ص 85- 87.

[7] **ابن الخطيب**؛ تحقيق: عبد الله عنان، المصدر السابق، ص 4، السامرائي، المرجع السابق، ص 61.

الغضار (الخزف)، لاسيما في قلعة أيوب التي تصدره إلى جميع الجهات[1]، و تشتهر المنطقة بالصناعات الغذائية، إذ تقوم توفير الملح الدراني لجميع المدن الأندلسية[2]، و اشتهرت سرقسطة أيضا بصناعة المنسوجات، المعروفة بالثياب السرقسطية، و التي تصنع من السمور السرقسطي[3]، كانت الفراء السرقسطية تستعمل برواج كبير في جميع أنحاء الأندلس، و حتى خارجها[4]، كما عرفت طرطوشة بصناعة السفن، و صناعة الخشب الصنوبري الذي يتميز بالطول و السماكة و هو أحمر اللون[5].

يبدو أن الصناعة قد أثرت في ازدهار التجارة، خلال هذه الفترة، و ما دل على ذلك كثرة اختصاصات المحتسب على الحرف و الأسواق و المعاملات.

3 التـــجـــارة:

عرفت التجارة ازدهارا كبيرا في سرقسطة، بعد زوال الخلافة الأموية[6]، و قد ساهم في ذلك عدة عوامل، و من أبرزها توفر المنطقة لشبكة المواصلات الجد هامة، ما جعلها تسيطر على الطرق التجارية بين الشرق و الغرب للبحر الأبيض المتوسط[7]، و هذه الشبكة تتخذ شكل نجم، ينطلق من نهر إيبرو الشمالي، حتى يبلف طرطوشة، مارة بسرقسطة و تطيلة ليصل إلى ممر فيكتوريا الجبلي[8]، و هذا ما أكسبها أن تلعب دور الوسيط و الموزع لدول أوروبا، خاصة لما أصبحت طرطوشة، تمثل الطريق التجاري الإمبراطوري لروما[9]، و كانت التجارة الداخلية منتعشة في هذه الفترة[10]، و انتشرت الحرف الجديدة، كصناعة الحبال و إنتاج العسل، و انتشر بائعي السموم

---

[1] **الحميري**، المصدر السابق، ص469.

[2] نفسه، 317.

[3] **السمور** المذكور هنا، فقد تجادل فيه المؤرخون، فمنهم من اعتبره مستخرج من النبات و منهم من اعتبره مستخرج من وبر حيوان، كما نصب إليه ياقوت الحموي، بحيث أنه ينزع من دابة تسمى **الجند باستر** و هو حيوان يعيش في البحر، تقطع من خصاه، و يطلق سراحه فيما بعد. أنظر: **ياقوت الحموي**، المصدر السابق، ص 213، **المقري**، المصدر السابق، ص 213، المقري، المصدر السابق، ص 197، 198.
Dozy (R), Supplément aux dictionnaires arabes, libraire du Liban, Beyrouth, 1999,t.I, p.1

[4] **المقري**، المصدر السابق، ص 197

[5] **الإدريسي**، نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 555.

[6] **السامرائي**، المرجع السابق، ص 52.

[7] **الجيوسي**، المرجع السابق، ص1080

[8] **الفيومي، محمد إبراهيم**؛ تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب و الأندلس، ط.1، دار الجيل، بيروت، 1997م، ص20.

[9] **الجيوسي**، المرجع السابق، ص 1080

[10] **الجريسفي**، المصدر السابق، ص 121.

كالحشاشين، و كان حينها المحتسب ينكر التجارة التي تسبب الهلاك للناس، و يراقب أصحاب التجارات الأخرى من الغش و التطفيف و التدليس، و إحكام المراقبة على الأسواق فيما يخص بالتعامل التجاري أو المنكرات التي تحدث بداخله، و من جهة أخرى تسبب نمو التجارة الخارجية في دخول التجار أجانب عن الأندلس، و ظهروا بمتنجاتهم الخاصة في الأسواق[1]، و لعب ميناء سرقسطة دورا بارزا في إنعاش سوق التجارة، فقد كان يستقبل السفن الوافدة من الشرق و الغرب، و التي ساهمت في ازدهار الحياة الفكرية و الحضارية[2] لأن في هذه الفترة كان العلماء يتوافدون على بلاد الأندلس مع التجار، و العكس صحيح. و مادامت هناك تجارة، فإن ذلك يرافق تواجد علاقات بين الأمم، و قد كان أمراء بني هود، يستفيدون من هذه العلاقات، التي جعلتهم يكسبون الأموال بكثرة، و كانوا بالأحق من أغنى ملوك عصرهم، و هذا ما جعلهم يبقون في المنطقة لفترة طويلة[3]، و كان الاتصال البالغ بدول المشرق، أثر في الحياة الفكرية، فتعاظمت الرحلات و التي كانت من العوامل الأساسية لإزدهار الحياة العلمية فيها، فأخذ العلماء يتوافدون على بلاد المشرق أسرابا، طالبين العلم، و سمح لهم ذلك، الالتقاء بالمشايخ و الفقهاء الكبار، و في نفس الوقت كان المشارقة يتوافدون إلى بلاد الأندلس، بسبب ويلات العباسيين لهم، و هذا ما جعل الثغر في هذه الفترة، يكسب ثقافة و علم فريدين من نوعيهما[4]، وانتعشت بالمعارف المختلفة[5]، ضف لذلك التسامح الديني، الذي أطلقه أمراء بني هود على أهل الذمة[6].

أهم معالمها التاريخية الإسلامية:

لكل مدينة آثار و معالم، و لا ريب أن بنو هود تركوا بصماتهم في سرقسطة، و ما دل على ذلك، تلك المعالم و الآثار الموجودة في كل ركن من أركانها، و قد مست

---

[1] **الجيوسي**، المرجع السابق، ص 122، 123.
[2] **حسين مؤنس**، موسوعة في تاريخ الأندلس، المرجع السابق، ص 142.
[3] **السامرائي**، المرجع السابق، ص 296.
[4] **محمد إسماعيل**؛ سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، (الفكر التاريخي)، طور الازدهار، ط.4، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت القاهرة، 2000م، ص 189.
[5] **ليفي بروفنسال**؛ حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرطوط، مكتبة الحياة، مطبعة النجوى، بيروت، د.ت، ص 53، 54.
[6] **بلنتيا**، المرجع السابق، ص333.

تلك البصمات كل من المساجد التي تعكس عراقة الدين الإسلامي، و استنادا لما وصفته المصادر التاريخية، فإن الجامع الكبير بها، تحفة فنية رفيعة[1] بناه التابعي حنش بن عبد الله الضعاني[2]، و هو الذي وضع محرابه[3]، وقد أسهبت المصادر في وصفه، بأنه أعظم المساجد بنيانا و رونقا عرفته المدينة[4]، و بعد سقوطها في يد النصارى، حُوّل المسجد إلى كنيسة عرفت بإسم سانتا مارية العظمى، و في القرن السادس الهجري، تحولت إلى كاتدرائية[5]، و يذكر علماء الآثار، أنه عثر لبعض من بقايا المسجد، خلال الترميمات التي أقيمت للمسجد، و هي ذات قيمة فنية عظيمة، تعكس بكل صفاء الفن الإسلامي في منطقة الثغر الأعلى[6]، و قد ظهر الطراز الإسلامي في القصور التي شيدها أمراء بني هود، و منها قصر الجعفرية و الذي شيده الأمير أحمد المقتدر بالله، و هذا ما وجد في إحدى نقوش القصر، و سميت بالجعفرية نسبة إلى كنيته "أبي جعفر"[7]، ويظهر أنه بني ما بين الفترة (438 474هـ/1046- 1081م)، و كان بداخل القصر قاعات كثيرة، منها قاعة الرخام، و التي تتميز بأعمدتها الرخامية[8]، و قاعة كبيرة تسمى بمجلس الذهب، و كان المقتدر يعتز بها، و يفتخر بقصر السرور الذي هو بجوار قصره، و فيهما يقول:

قصر السرور و مجلس الذهب بكما بلغت نهاية الأرب

لـو لـم يحـر ملكـي خلافكـمـــا كانت لدى كفاية الطلب[9]

---

[1] **الحميري**، المصدر السابق، ص 317.

[2] من أحد التابعين في جيش **موسى بن نصير**، أثناء الفتح الإسلامي، و كان مع أتباع علي رضي الله عنه بمكة و الكوفة، و كان فيمن قام مع **ابن زبير على عبد الملك بن مروان**، و كانت وفاته بسرقسطة، و قبره موجود فيها. أنظر: **الحميري**، نفسه، ص 317، **المقري**، المصدر السابق، ص 278.

[3] **الحميري**، نفسه، ص 213.

[4] **ياقوت الحموي**، ج.3، المصدر السابق، ص 213.

[5] **عبد العزيز سالم**، المساجد و القصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986م، ص 32، أنظر الصورة، رقم:1.

[6] **نفسه**، ص 32.

[7] **نفسه**، ص 63. **أنظر:** **Bergé (Marc)**, Les Arabes, Histoire et civilisation, des arabes et du monde musulman des origines à la chute du royaume de Grande, (IX^{e} siècle av.J, XIV^{e} siècle), préface de : Jaques Berque, Paris, 1973-1983, p 454.

[8] **عبد العزيز سالم**، المرجع السابق، ص 63.

[9] **المقري**، المصدر السابق، ص 441-442.

و يشغل مجلس الذهب، مسجد آخر، تعلوه قبة قائمة على ضلوع متقاطعة، و ما زالت عقود هذا المسجد محفوظة في متحفي مدريد MADRID و سرقسطة إلى يومنا هذا.[1]

و قد وصف القصر مونتغمري وات قائلا: "أن زخرفته في غاية الجمال، فالعقود فيه مفصصة بإتقان و الرسوم كلها دقيقة، و تظهر خلالها بصمات الخط العربي الأموي"[2]، و كان القصر ينافس قصور المعتمد بن عباد، في الرونقة و الزخرفة[3]، و هذا لا يعني أن القصر كان خاليا من الأخطاء الفنية، و هذا ما أشار إليه "أرنست كويل"، حين ذهب بالقول أن الفن الإسلامي في القرن الخامس للهجري عرف الانحطاط، و ما ذل على ذلك وجود آثار لهذا القصر، و هي خالية من تنظيم و التنميق، خاصة العقود الجصية[4]، و يوافقه الرأي لامبيرث حين قال: "أن القصر يشبه القصور التي بناها المرابطون و الموحدون، و التي يبرز فيها الضعف الفني، و كانت تخلو من الأحجار و الزخارف الجصية[5]، و لكن هذا لا يجعلنا ننكر آثار الفن الإسلامي التي مازالت إلى يومنا هذا، و التي تدل على مدى الحرية في الأداء الفني"[6].

هذا إلى جانب الحصون و القلاع التي تميزت بهما منطقة الثغر الأعلى كقلعة أيوب و قلعة رباح CALATRAVA، و الأسوار التي أقامها الفنانون في عهدهم و التي كانت تستعمل للحصانة و المناعة من العدو.[7] و يتخلل المدينة أربعة أبواب[8]، منها باب عامر نسبة إلى عامر القريشي الذي كان من جنود الفتح[9]، و باب اليهود الموجود

---

[1] **عبد العزيز سالم**، المرجع السابق، ص 63.
[2] **مونتغمري وات**، المرجع السابق، ص 155.
[3] **فون شاك**، الفن العربي في إسبانيا و صقلية، ترجمة: الطاهر أحمد مكى، ط.2، دار المعارف، القاهرة، 1980، 1981، ص 67.
[4] **أرنست كمويل؛ الفن الإسلامي، ترجمة: أحمد موسى، دار صادر بيروت، بيروت، 1966، ص 28.**
[5] **عبد العزيز سالم**، المرجع السابق، ص 67 68.
[6] نفسه، ص 67.
[7] **شكيب أرسلان**، المرجع السابق، ص 106.
[8] **الحميري**، المصدر السابق، ص 317.
أنظر: Lévi . Provençal (E), op.cit. p 354.
[9] **المقري**، المصدر السابق، ص 465.

بسرقسطة، و باب الحديد المعروف بباب سرقسطة[1]. ضف إلى ذلك الأرباض و التحف الفنية الأخرى، التي تعبر عن حضارة عربية عريقة.

[1] **حسين مؤنس**، موسوعة في تاريخ الأندلس، المرجع السابق، ص 480.

المقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم و الصلاة والسلام على نبينا محمد و آله و صحبه أجمعين

و بعد:

انطلاقا من إيماننا بأن التقدم الفكري والرقي الحضاري، إما يرتكزان على دعامتين أساسيتين ألا و هما:

1. الحفاظ على القديم الفاعل الذي لا يزال ينبض بالأصالة والحياة،ليكون له أثره في بناء شخصية الأمة الثقافية.
2. العمل على تحديث صورته و مضامينه بالمنهجية العلمية الحديثة حتى لا يبقى مجرد أثر لماض عريق و حسب بل ليغدو نقطة وصل لعطاء جديد و بالتالي سبيلا إلى مواكبة روح التقدم و الرقي الفكريين.

في ضوء هذا المفهوم الايجابي لمحور العلاقة بين الأصالة و المعاصرة حرصت على تقديم هذه الدراسة التي تتجسد في الحياة الفكرية بسرقسطة أيام أمراء بني هود و بالأحرى في منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي.

ما من أمة لكي تصون أصالتها و خصوصياتها إلا و تستعمل وسائلها القصوى للدفاع عن مقوماتها و مكتسباتها الروحية و الفكرية و الحضارية بصفة عامة،و الأندلس سجل فيه التاريخ أروع ما جاءت به العبقرية الإنسانية من إبداعات في مختلف حقوق المعرفة و أصناف العلوم، رغم كون هذه البقعة من أوربا خارج بلاد الإسلام إلا أن ذلك لم من تجربة التآلف و التحاور الذي حوى فيها المجتمع الواحد، إنه مجتمع التسامح الذي تصالح فيه المسلم مع اليهودي مع النصراني و مجتمع التعددية الذي تعايش فيه العربي مع البربري و المولد مع المستعرب حيث تلاحمت جهودهم و تكاثفت سبل الإنتاج العلمي و الإبداع الفكري، فحق للإسلام و المسلمين الافتخار بهذا الانجاز الحضاري العظيما الذي خلده المفكرون و العلماء ليحقق في نهاية المطاف نظرية الأندلس الحضارية التي تقوم على أساس التحاور و التجاور و التي كانت ثمرة للقرون الثمانية التي قضاها المسلمون في ربوعها ثم خرجوا منتصرين حضاريا و منهزمين عسكريا.

في الوقت الذي كانت سرقسطة على عهد أمراء بني هود تعيش في اضطرابات سيايسة ، بدأ فيها عهد الازدهار الفكري، كما هذا العصرين ظهور نهضة فريدة من نوعها في ميدان الحضارة في العهد المرابطي.

تميزت الحياة الحياة الفكرية في عهد بني هود بسرقسطة بالثراء والعظمة و الابداع و عمق التأثير، و هي إنتاج تميز بما عرفته تلك الفترة من اضطرابات في الأوضاع السياسية و الاجتماعية، الشيء الذي جعلها تعانق قمة الروعة فيما جاء به الفكر الإنساني و تحقق أبدع الانتصارات في مختلف مجالات العلوم والمعرفة من جهة و قدرتها أن تعيش أسوأ لحظات الهزيمة و الخيبة من جهة أخرى.

و لذلك انطلقنا لدراسة هذا الموضوع من إشكالية هي: إلى أي مدى بلغته الحياة الفكرية بسرقسطة خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي من تطور وازدهار؟و لماذا كانت هذه المدينة مهدا لازدهار العلوم العقلية؟

و قد كان اختيارنا لهذا الموضوع بإشارة من الأستاذة الدكتورة أبو عمران سامية و الأستاذ الدكتور محمد الأمين بلغيت، و بعد إطلاعنا على مصدره و متطلباته نحتت لنا الرغبة في دراسته رغم طول المدة التي قضتها دولة بني هود بسرقسطة و كان دافعنا في ذلك قلة الدراسات العلمية للمواضيع الحضارية.

و الملاحظ للتاريخ الاسلامي يجد التاريخ السياسي أوفر وأحظى بالمقابل نجد الدراسات الحضارية لم تحظ بنفس القسط و الاهتمام. و لعل السبب يرجع إلى أن الدراسات السياسية تجد لها المادة الأساسية في حين تقل في الدراسات العلمية، و المدن الأندلسية كلها حواضر عريقة تتميز الواحدة عن الأخرى بعلمها و تراثها الحضاريين و مدينة سرقسطة البيضاء تخصصت عن غيرها بالعلوم العقلية و نعني بذلك الرياضيات والفلك و المنطق و الفلسفة

و كان موضوع دراستي بالأشبه المنفرد: لذلك كان دافعنا في ذلك قلة الدراسات حوله باستثناء الدراسات العلمية السياسية التي وصلتنا ومن بينها الثغر الأعلى في عهد المرابطين

للدكتور حسين مؤنس و عن الرسالة التي كتبها الأستاذ السامرائي بعنوان الثغر الأعلى الأندلسي دراسة أحواله السياسية. و كلاهما تحدثا عن الجوانب السياسية و العوامل التي أدت إلى سقوط المدينة بأيدي النصارى، غير أنه لم نجد دراسة تتحدث عن مسيرة الحياة العلمية و تطورها في عصر بني هود.

في حين نجد دراسات عديدة عن حواضر أندلسية مختلفة فمثلا درست بالنسبة من طرف صالح خالص Pierre Guichard ، و قرطبة من طرف عبد الوهاب حلاف و طرطوشة من طرف الدكتور السيد أبو كامل مصطفى و بطليوس من طرف السيد عبد العزيز سالم المرية من طرف أحمد مختار العبادي و عبد العزيز سالم.

و دافعنا الثاني هو تأثرها بالجوانب الحضارية التى خلفها هؤلاء الأمراء من الحقبة الزمنية التي عاشوها و التي عرفت أسوا فترات الأندلس سياسيا. و فضلنا دراسة الحياة الفكرية بسرقسطة بالأخص لأنها عرفت بها خصائص برزت فيها عراقة و أهمية لم تبرز في المدن الأخرى.

و غرضنا من كل ذلك هو إبراز الموضوع و تبيان خصائصه و أهميته كحياة علمية إسلامية، ثم إن هدفنا هو إحياء و لو بمقدار ذرة شعور بالافتخار في مجتمعاتنا الحالية لما خلدته عقول المسلمين في القرون الوسطى و تركت الحياة العلمية بسرقسطة بحملات لا تمحى و أثر كبير في التاريخ العربي الحضاري الإسلامي. أساسها التحاور و التجاور لقوله تعالى"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" الحجرات آية 13.

كانت سرقسطة و قد اشتق اسمها العربي من اسمها الروماني Caesarau gusta تمثل منذ عهد الإمارة زعامة الأسر العربية و الرياسة المحلية في الثغر الأعلى، واستمرت هذه الزعامة قائمة خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي. أولا في بني هشام التجيبيين، ثم في خلفائهم بني هود حتى وضع مقدم المرابطين حدا لحياة ملوك الطوائف، و دخل المرابطون مدينة سرقسطة في أواخر سنة 503هـ 1110م استجابة لأهلها، وكانت آخر القواعد الأندلسية التي استولوا عليها و قد كانت سرقسطة في عهد بني هود كما كانت إشبيلية

في عهد بني عباد مركز الحركة علمية و أدبية زاهرة، ولا سيما أبو جعفر المقتدرو ولده يوسف المؤتمن و قد كان كلاهما من أكابر علماء عصره في الفلسفة و الرياضة و الفلك.

و قد اشتهرت سرقسطة في هذا العصر بنوع خاص من الدراسات الفلسفية و كان من أعلام أبنائها فيلسوف من أعظم فلاسفة الإسلام و علمائه هو : أبو بكر محمد بن يحي بن الصائغ المعروف بابن باجة، والذي يعرف في العرب باسمه اللاتيني « Avempace »

و نبغ فيها أيام بني هود في عهد المستعين به المؤتمن المفكر والفيلسوف السياسي أبو بكر الطرطوش و هو صاحب كتاب "سراج الملوك" الذي يعتبر بموضوعه و نظرياته المبتكرة من الكتب التي وضعت أسس السياسة الملوكية في التفكير الاسلامي.

و كانت سرقسطة إلى جانب كونها مركز للعلوم الرياضية و الفلسفية في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي كباقي عواصم الطوائف الأخرى مركز لحركة أدبية قوية، و قد نبغ في ذلك العصر كثير من الأدباء و الشعراء مثل : ابن الدباغ و ابن حسداي و أبي عمر بن القلاس و غيرهم ممن ذكرتهم كتب الطبقات و التراجم.

ولعبت سرقسطة بالأخص دورا كبيرا في التبادل الثقافي والحضاري بين الأندلس و بين الدول الاسبانية المجاورة و الدول الفرنجية الشمالية، وقد هيأ لها موقعها بين الممالك الاسبانية على مقربة من جبال البرنية أن تضطلع بهذا الدور الحضاري الخطير. و منها كانت تنقل المقطوعات الغنائية الأندلسية إلى المجتمعات النصرانية المجاورة كقطلونية و آراجون و ناقا و التي كان لها تأثير عميق في الملاحم و الأناشيد القومية النصرانة.

و قد انتقلت هذه المؤثرات بعد ذلك إلى جنوبي فرنسا، ثم إلى غيرها من المجتمعات النصرانية حق للعرب الإفتخار بأسرة بني هوو زعيمها المؤسس سليمان بن محمد بن هود الملقب بالمستعين بالله.

لا نترك الحديث عن بني هود دون الإشارة إلى أنهم هم الذين صنعوا البطل النصراني المعروف "بالسيد القنبيطور"فقد نشأ في بلاطهم و تعلم عندهم اللغة العربية ةالذي أصبح عدوا لهم بعد استيلائه على بلنسيية.

و تقرا في قصة الحياة الفكرية القرن الخامس الهجري الخادي عشر ميلادي بسرقسطة، صفائح من ذهب فقد كانت شعلة النور و منار الهداية و كانت مؤسساتها من جامعات و مساجد و مدارس خاصة و أخرى عامة ملتقى الطلاب من مختلف أنحاء العالم، و كان فيها الأدب و الشعر منزلة لم تكد تصل إليها حاضرة في تلك الفترة و لم يكن سقوطها يوم الأربعاء الثالث من شهر رمضان سنة512ه و هو يوافق 18ديسمبر سنة 1118 م في أيدي ألفونسو الأرجوي و حلفاؤه إلا سقوط النجم المتلائي اللامع ما يدل على الإنجازات العظيمة التي أبدعها المسلمون في مختلف حقول العلوم و المعرفة، وذلك على مستوى عطائها الحضاري ذلك أن بلاد الأندلس كانت همزة وصل حساسة، فكانت تعتبر بوابة للرافد الثقافي العربي حيث مكنته من الالتحام بالعطاء الثقافي العربي.

و سرقسطة حسبما ذكرنا سابقا قد مسها تأثير حب العلم، و يتجلى ذلك واضحا في أسرة بني هود الذين حكموا المدينة لفترة طويلة 431- 512ه/1039- 1118 م، و كانوا من حماة العلم و أبرزوا اهتماماتهم في تشجيع العلوم و إنشاء المكتبات و جلب الكتب إليها من مختلف أرجاء العالم، و عقد المجالس و المناظرات العلمية في بلاطاهم و التي كانت لا تخلو من مشاهير العلماء و الأدباء بالرغم ما عانته فترتهم من اضطرابات السياسية و الإنحرافات الخلقية و الآفات الإجتماعية ذلك لم يقل من شأن هؤلاء العلماء في مواصلة مشوارهم العلمي و من علمائنا اللذين تحملوا مشقة الدهر العلامة الفقيه أبو الوليد سليمان بن خلف البابي القرطبي و كان معدود بين علماء مملكته. و يعتز بذلك على غيره من ملوك عصره.

و جدير بالذكر أن هذا الفقيه قد ضرب في سيطرته العلمية أروع الأمثلة في الصبر و الجلد على تحصيل العلوم و المعارف، إذ أنه على الرغم من حالته البائسة و قلة ما بيده من الأموال فقد لازم حلقات العلم و مجالسه حتى أنه كان يخرج إلى تلاميذه و أثر المطرقة بارزة على يديه.

بل إننا نراه إبا ن رحلته إلى المشرق و التي دامت ثلاثة عشر عاما، و استقراره ببغداد. اشتغل حارسا على درب من دروبها و كان يستغل الإنارة التي يستعملها في الحراسة للقراءة

و الكتابة و هذا ان دل على شيء فإنه يدل على تحمل العلماء لأعباء و مشقة كبيرين لبلوغ ما بلغوه.

و قد اتبعنا لعرض هذا الموضوع منهجا متدرجا تمثل في مقدمة و مدخل و أربعة فصول و خاتمة.

أما المقدمة فهاته التي بين أيدينا.

بينما عرضنا في المدخل لمحة طفيفة عن التعريف بالمدينة و ذكر الملامح الطبيعية و الحضارية الإسلامية لسرقسطة، و أبرزنا فيها عراقة هذه البلاد و رونقها الحضاري. و اعطينا نبذة تاريخية للمدينة قبل بني هود ثم لمحنا باختصار للحياة السياسية و الإقتصادية أبرزنا خلالها التأثير الذي أضفته على إزدهار الحياة الفكرية و تناولنا العوامل التي أدت إلى ازدهار الحياة الفكرية و من أبرزها التربية و التعليم و ركزنا على إبراز المراحل التي كان يمر بها المتعلم خلال مشواره التحصلي و أوضحنا المنهج الدراسي الذي كان في تلك الفترة.

و كذلك عرضنا المؤسسات التعليمية التي ساهمت في تنوير مسيرة العلوم و من أهمها المسجد الذي لعب الدور الأكبر في جلب العلماء و كانت تقام فيه حلقات و مناظرات كله لتوسيع معارف المتعلمين هذا فضلا عن الكتاتيب التي كانت تقام بجوار المساجد و التي خصصت للذكر و الوعظ.

و ذكرنا مساهمة الأمراء و الحكام في تشجيع العلماء بحيث كانت بلاطاتهم أماكن مخصصة للاجتماعات و المناظرات الأدبية و مكان لالتقاء الطلاب و العلماء من جميع الأماكن و كان الأمير المقتدر بالله حريصا أن يحاط مجلسه بنخبة من مشاهير الفقهاء و العلماء. و كان هؤلاء الأمراء يوفرون لهم الراحة و يكرمونهم.

كما ذكرنا الدور الذي لعبته المكتبات التي حظيت بمنزلة عظيمة على عهدهم و كانت المدينة من أشهر مدن الأندلس في جمع الكتب، و كان من بين أفرادها المؤتمن بن هود الذي أنشأ مكتبة خاصة له و قد صنف كتاب في الرياضيات سماه "الاستكمال و المناظر" و كما ألف ابن بكلارش الكتاب في الأدوية للمستعين و سماه على كنيته" المستعين" و غيرهم من

الذين شغفوا الكتب و جمعها كأسرة ابن الصغير السرقسطي و كما ساهمت تعدد المراكز الثقافية في ابراز روح المنافسة بين طبقات من العلماء و الفقهاء الذين كانوا ينالون من تشجيع للامراء و عطائهم و حظوتهم مثل ما يناله أمثالهم من حكام الشرق و القول أن الحضارة الأندلسية مستعارة من حضارة الشرق، فإن بناة هذه الحضارة في سرقسطة لم يكونوا مدفوعين إلى ذلك بباعث المنافسة لحضارة العباسيين في بغداد بمقدار ما كانوا مدفوعين، كما يبدوا في أمراء بني هود بباعث نفسي، الذي تمثل في الرغبة في العلم و تعليمه فجعلوا من الوطن الجديد بالبلاد التي فتحوها امتدادا للوطن الأم بالمشرق حتى يظلوا يشعرون أنهم في بعضهم غير منقطعين عن وطنهم الأصلي و بشعور الانتماء إلى الأصل.

و هكذا ازدهرت الحياة العلمية و الأدبية في بلاطهم على غرار أن عهدهم كان مرحلة من الإزدهار الفكري.

كما اتخذوا من الرحلة وسيلة أمام هؤلاء العلماء لتوسيع دائرة معارفهم، و تتمثل هذه الوسيلة في رحيل بعض علمائهم إلى المشرق.

ممن ندبوا أنفسهم لتحصيل علم من علوم المشارقة و التبحر فيه ثم العودة إلى مواطنهم لنشر ذلك العلم بين أهله و خير مثغل على ذلك العلامة : أبو الوليد الياجي فقد رحل إلى بغداد و من هؤلاء جميعا ظهرت بعد ذلك طبقة من العلماء السرقسطيين يتقنون العلم و يحملون عبء نشره في كل فرع من فروع العلم.

فقد كان تيار هذه الرحلة العلمية متبادل، يحمل من الأندلس إلى المشرق للعلم، و من يرحلون من المشرق إلى الأندلس بالعلم و تتمثل هذه الأخيرة في دعوة بعض علماء المشارقة إلى الأندلس ليفيد أهله من علمهم و أدبهم، و من ذلك على سبيل المثال أبي علي القالي صاحب كتاب الأمالي من بغداد إلى الأندلس بدعوة من الخليفة عبد الرحمان الناصر و اختص بعده بابنه الحكم المستنصر، و أورث أهل الأندلس علمه. و العالم و الفيلسوف الكرماني الذي رحل إلى سرقسطة و حمل معه ولأول مرة رسائل إخوان الصفا.

ثم نشأت طائفة من أهل الأندلس تؤلف كما ألف هؤلاء و اعتبروهم قدوة ليقتدوا بهم.

و تناولنا مؤسسة تعليمية ساهمت في تنوير الحركة الفكرية ألا و هي الرباطات، و سرقسطة كانت قاعدة للثغر الأعلى الأندلسي و بدون شك كان مقصد للعلماء الذين فظلوا المرابطة و الجهاد لاسيما أن القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي إتسم بصفات لا أخلاقية كالبذخ و الترف و الغناء و الرقص و الخمر، و طبيعة هذه الصفات كانت لا تعجب المثقفين حاصة طبقة الفقهاء و أن فكرة العزلة والتصوف كانت نتيجة لما آلت إليه الأوضاع في هذه الفترة و انغماس الأمراء في حياة الترف و من هؤلاء الأديب عبد الرحمان بن شاطر و ابن العسال، ثم قسمنا العلوم الفكرية إلى أربعة أقسام و تناولناها في أربعة فصول :

أما في الفصل الأول الذي تناولنا فيه العلوم الدينية إذ تطرقنا من خلاله إلى أقسامه المختلفة من القراءة القرآنية و التفسير و الفقه و أصوله و الحديث

فقد بلغ علم القرآن ذروته في سرقسطة من حيث التلاوة و قواعد القراءة و في هذا المبحث حاولنا اعطاء نبذة عن نشأة على العلم في أرض الأندلس والتي تعود نشأتها إلى عهد أبو عمر الطلمنكي الذي يرجع له الفضل في إدخالها إليها في أواخر القرن الرابع عشر هجري العاشر ميلادي . و عرضنا من خلاله بالأخص إنفراد شرق الأندلس بهذا العلم في هذه الفترة. و في غضون ذلك أوردنا لمحة بسيطة عن القرآن بمملكة دالية و بروز أشهر القرآن فيها و هو أبو عمر الداني المعروف بابن الصيرفي الذي كانت تواليفه في القرآن مصادر أساسية لمن جاء بعده و ذكرنا تأثر السرقسطيين بالقراءات و التي برزت بشكل كبير غلى عهد أسرة بني هود و تناولنا أشهر المقرئين الذين ظهروا في تلك الحقبة من أمثال المقرئ محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير بن علي الأنصاري و إبراهيم بن دخنبيل و ابن سكرة و غيرهم.

أما عن التفسير الذش بدأت بذوره تبرز في القرن الثالث الهجري التاسع ميلادي كعلم بارز نما و ترعرع في القرن الخامس الهجري التاسع ميلادي في المدن الأندلسية المختلفة فيم بينها سرقسطة البيضاء و بينا خلاله مفهوم التفسير و ظهور مدرستين و أبرزنا أهميتهما في توجيه هذا العلم. و ذكرنا أشهر المفسرين في هذه الفترة بالرغم من قلة عددهم إلا أن ذلك لا يقلل من شأن هذا العلم بسرقسطة و إنما يمكن القول أن صفات علماء الأندلس فيجمعون بين

العلوم و بالتالي نصل إلى نتيجة حتمية أن بعض هؤلاء المقرئين كانوا مفسرين و هذا ما لاحظناه من خلال كتب التراجم و الطبقات أما عن الفقه و أصوله فقد تناولنا فيه مكانة الفقهاء في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي و لا سيما قد حملوا على أعتاقهم المسؤولية الكاملة بسبب انهيار النظام السياسي و انتشار الآفات الاجتماعية أللأخلاقية كالخمر و الرقص و الغناء و أبرزنا المكانة التي حظي بها بعضهم لدى الأمراء و الذين شغلتهم المكاسب والمناصب و هذا ما أدى إلى ضعف مكانتهم و أشرنا إلى المكانة التي حضيوا بها على عهد المرابطين و السلطة العلمية التي أسندت لهم فيما بعد و دورهم العظيم في القضاء على ملوك الطوائف.

و ذكرنا المذاهب التي انتشرت في سرقسطة بشكل عابر و ركزنا على المذهب الذي عرف نبوغه في تلك الفترة ألا و هو المذهب المالكي و نفوذ هذا المذهب بين أوساط الأمراء و الحكام و أوردنا مجموعة عظيمة من الفقهاء الذين كانوا لهم دور كبير في توجيه و نصح الأمراء لما آلت له مملكتهم فيبرز في بلاط بني هود الفقيه أبا الوليد الياجي الذي أخذ يدعوهم إلى إصلاح عالمهم .

أما عن علم الحديث فكان له نصيب أوفر بحيث يعتبر المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم، لذلك أبرزنا خلاله أهميته المتمثلة في تطور الفكر الإنساني الإسلامي مما أدى إلى تعدد أساتذته و علمائه و من هؤلاء المحدثين أبو محمد يحي بن ابراهيم بن محارب و الشيباني و الهاشمي و غيرهم.

كما أضفنا في هذا الفصل علم الكلام الذي هو من العلوم التي وقفت في وجه الملحدية و الزنادقة و المنحرفين عن أهل الملة. و بينا خلال ذلك الهدف الوحيد من دراسة هذا العلم و المتمثل في الدفاع عن العقيدة الإيمانية بالأدلة العقلية. إلا أنه لم يلق رواجا كبيرا في تلك الفترة و الذي يعود إلى عدة أسباب و منها إختلاط كتبه بكتب الفلسفة و التي كانت في فترة الخليفة المنصور بن أبي عامر فقد إتخذت في حقها اجراءات صارمة و ذلك بقطعها و

إحراقها و تغذية وقتل من يقتتنها. وكما حاولنا فيه المقارنة بين المتكلم والفيلسوف و بين الفقيه و المتكلم و غرضنا من هذه المقارنات هو التمييز بين هذه العلوم.

و ذكرنا بعض المتكلمين السرقسطيين من أمثال بن باقي الجزامي الذي اشتغل في هذا العلم حتى وافته المنية.

كما أضفنا علم التصوف فمن العلوم الدينية بما أنه يلازم الكتاب و السنة أو المتصوفة الزاهدين منصرفين عن أمور الدنيا و ما فيها و اعتكفوا لعبادة الله وحده لا شريك له.

و قمنا بمقارنة بسيطة بين التصوف و الفقه و غرضنا تبيان الخلاف القائم بينهما أن الأول قائم على الدراية و معرفة الأمور الباطنية أما الثاني قائم على الرواية، و حاولنا ذكر أهم المتصوفين السرقسطيين الذين برزوا في تلك الفترة بسرقسطة من أمثال عبد الرحمان بن موسى بن عقبة الكلي و أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير و بن الإقليشى.

في حين جاء الفصل الثاني ليبين علوم اللغة العربية و آدابها و تكمن في اللغة و النحو و علم البيان و الأدب و الشعر و قد اهتم السرقسطيون بعلم اللغة نظرا لخصوصياتها و قبلياتها و اشتقاقات مفرداتها و ابدوا عناية كبيرة بها لاسيما أن البيئة التي يعيشون فيها سمحت لهم بالاختلاط مع أجناس متعددة و بالتالي إختلطت لغاتهم و تعددت اللهجات فيها، واللغة العربية غنية عن غيرها بتوليد المفردات. كما أنها اللغة التي أنزل بها القرآن الكريم والذي هو المصدر التشريعي الأول للمسلمين.

و قد عرفت اللغة بسرقسطة نبوغا عظيما فبرز في"ها اللغويين و من أشهرهم أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي المازني السرقسطي صاحب الكتاب الشهور "المسلسل"، و برز فيها غير العرب من أمثال اليهودي أبو الفضل بن حسداي وزير المؤتمن.

و تناولنا العلم النحو الذي لقي نصيبه الأوفر هو أيضا في بلاطهم لا سيما أنه أصبح علم ضروري، لا يمكنه الاستغناء عليه، و السرقسطيين اهتموا به، و من خلاله استنبطوا قوانين و قواعد كلة لتهدية ملكتهم و هو ما يسمى بالإعراب و دونوا كتبا خاصة لذلك و من هؤلاء

النحوي أبوا زكريا يحي بن عبد الرحمن المعروف بالأبيض و أحمد بن مضاء السرقسطي و كان لعلم البيان مكانته الخاصة بين العلوم الليسانية.

و يظهر أن السرقسطيين أدركوا أهميته، فكانوا يؤلفون فيه كتب التي عبئت بدلالات المعاني و المفردات، فظهرت البلاغة التي زينت النصوص العربية، بالاستعارات و الكنايات و يعتبر أبو الوليد الباجي من الفصحاء في علم البلاغة لبراعة لسانه و خفته.

و تناولنا في مبحث آخر الأدب و الذي ينقسم إلى قسمين أولهما النثر و ثانيهما الشعر.

وقد ظهرت حركة النقد في الأندلس في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، و تميزت هذه الحركة بالتيار الذي خلف اتجاهات واضحة و أفكار نقدية اتسم كثير منها بالوضوح و الجرأة و الدقة و الأصالة و التزم هؤلاء الأمانة العلمية.

و أبرزنا الميزة التي انفرد بها النثر في هذه الفترة و الذي كان وليد أهوائهم و أمزجتهم و ثقافتهم، و خير دليل على ذلك الرسائل التي كتبها الأدباء من سرقسطة و التي تحمل في معانيها التطور الفكري العربي كالتي نظمها ابن الدباغ كاتب المقتدر بالله.

و تطرقنا إلى المقامات التي تميزت بها سرقسطة و التي ألفها محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي السرقسطي المعروف بأبي الطاهر، و بينا مكانة الكاتب في هذه الفترة و التي كانت عظيمة.

و تناولنا فن الشعر الذي كان من أرقى الفنون الأدبية في تلك الحقبة، أصابت منه سرقسطة حظا وافرا و نهضت به نهضة شاملة في فنونه و أغراضه بم لم يأته الأوائل، و خاصة فن الموشحات، و هو ما ميز الشعر الأندلسي بميزة خاصة و حاولنا التنبيه من خلاله تطوير و تجديد الأندلسيين لهذا الفن و منهم الشعراء السرقسطين حتى أخذ الشعر العبري الحديث يظهر إلى الوجود، و يفصح عن نفسه مقلدا النماذج من الشعر العربي و نجد اليهودي ابن جيجيروك السرقسطي يقلد شعراء العرب ما يدل على التأثير العميق للآداب العربية الأندلسية في أهل الذمة من نصارى و يهود.

و كان الأمراء من بني هود لا يخلو من الشعراء و كانوا يتباهون بهم لذلك كانوا يتنافسون لامتلاك أكبر عدد من الأدباء و الشعراء و أشرنا إلى الوافدين عليهم من الشعراء من كل مكان و من هؤلاء ابن عمار و ابن خيرون و بن الحداد.

أشرنا إلى فن آخر ألا و هو الزجل الذي لم يعرف في هذه الفترة نبوغا إلا أنه تطور و ظهر بصورة عظيمة على عهد المرابطين.

في حين جاء الفصل الثالث ليبين العلوم الاجتماعية، إذا تطرقنا من خلاله إلى أقسامه و التي تنوعت في التاريخ و الجغرافيا و الفلسفة و الغناء و الموسيقى.

أما علم التاريخ في سرقسطة في هذه الفترة لم نجد لها مؤرخا متخصصا من أهل البلاد ما عدا التطيلي الطرطوشي لذلك أوردنا بعض المؤرخين المشهورين في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، الذين شاعت كتاباتهم في ذكر المدينة البيضاء و عن أحوالها السياسية و الاقتصادية من أمثال ابن بسام صاحب الذخيرة، أما عن علم الجغرافيا فكان إنتاج السرقسطيين ضئيل و اكتفينا بذكر جغرافي الفترة من أمثال أبي عبيد الله ..... و الإدريسي و التي كانت كتبه و مصادره الأساسية لكل عالم في تلك الفترة و تناولنا العلوم الفلسفية التي عرفت أوجها في هذه الفترة و بينا من خلاله المضايقات التي كان يتعرض لها مقتنيها خاصة في عهد الأمير المنصور ابن أبي عامر و سرقسطة في عهد بني هود، كانت من أهم المراكز للدراسات الفلسفية فيبرز فيها فلاسفة ..... من أمثال ابن باجة و أبو بكر الطرطوشي إضافة إلى الوافدين عليها من بلاد المشرق و على سبيل المثال الكرماني الذي نقل معه أراء و أفكار المشارقة.

و تميز أمراء بني هود عن ملوك عصرهم أنهم علماء و عملوا على تشجيع الفلسفة و نبغ من هذه الأسرة الأمير المقتدر بن هود الذي كان آية في هذا العلم كما ذكر أبي الوليد الشقتدي و أشرنا إلى اهتمام اليهود السرقسطيين بهذا العلم و عملوا على تطويره من أمثال ابن جيبيرول و ابن حسداي.

و تناولنا علم الموسيقى و الغناء و بينا خلاله فضل الموسيقي زرياب في إثراء الموسيقى بالأندلس لاسيما عند تأسيسه لمدرسة الموسيقى الأندلسية، و التي كان لها أثر كبير في ازدهار فن الموسيقى في سرقسطة و ذكرنا تطور الفن في الخامس الهجري و تميزت سرقسطة في تلك الفترة بالفكر التحرري لذلك عرف هذا الفن درجة عالية من الاتقان و كان أميرها المستعين بالله من المولعين به، كما عرضنا وجهة نظر الفقهاء اتجاه المغنيين و الغناء و أعطينا مثال على ذلك عندما ذكرنا الخلاف و الحقد الذي كان يبينه ابن خاقان و ابن باجة السرقسطي و من خلاله أبرزنا هذا الاتجاه.

و أما الفصل الرابع و الذي تناولنا فيه العلوم العقلية و التي كانت مزدهرة في سرقسطة نظرا لكون أمرائها علماء كما ذكرنا آنفا كالمقتدر به هود و ابنه المؤتمن، و كان أمرائها من المشجعين لها.

و من هذه العلوم و التي لاقت رواجا علم الطب و الصيدلة فذكرنا في هذا المبحث لمحة عن انتقال هذه العلوم إلى الأندلس، و الطب في الأندلس هو امتدادا طبيعيا للطب في المشرق و خاصة في العصر العباسي الذي ذاع صيته في الآفاق، ما ساعد و شجع العلماء المهتمون بالأبحاث الطبية على التفرغ للبحث العلمي، وقد نتج عن تلك الإفاقة نهضة طبية كبيرة أنجبت عداد معتبرا من الأطباء الرواة المشهورين في الطب و التأليف الطبي.

و غدت الساحة الأندلسية مليئة بالأطباء الجراحيين في مختلف الفروع الطبية نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر إسحاق ابن عمران، ابن الجزار، ابن جلجل، ابن وافد، أبا القاسم بن زهر و أبا مروان بن زهر و ابن البيطار و أبا القاسم خلف بن عباس الزهراوي في الجراحة.

إن ازدهار العلوم الطبية في الأندلس كان فيه للنساء نصيب، لقد شجعت بعض العائلات بناتهن على تعلم الطب كعائلة بن زهر فمن طبيبات هذه العائلة التي عاشت في القرن الخامس الهجري شقيقة الحفيد أبي بكر بن زهر و ابنتها التي اشتهرتا في طب النساء حيث اتخذهما المنصور بن أبي عامر كطبيبتيه لعائلته نظرا إلى شهرتهما و ثقته بقدراتهما الطبية.

و ذكرنا أن سرقسطة ترعرع فيها الطب، و كان المؤتمن من المهتمين في تنشيط الحركة الطبية فعمل على جلب العديد من الأطباء إلى بلاطهم و شجعهم بمختلف الوسائل، بحيث ألف اليهودي ابن بكلارش كتاب الطب للمستعين بالله و أطلق عليه إسم "المستعين" و ورد في بعض المصادر تحت اسم للأدوية المفردة".

ففي مملكة بني الطبيب أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن علي الكرماني و كان هذا العالم موسوعيا –إذا صح التعبير- فهو طبيب و فيلسوف و رياضي و مهندس فقد أيد مهارة فائقة في ميدان الجراحة الطبية.

أما عن الحساب و الرياضيات و إذا تطرقنا إلى مملكة سرقسطة و دورها في نهضة علوم الرياضيات، وقفنا على ما يثير إعجابنا، فإن ملوك هذه المملكة كانوا أنفسهم علماء بارزين في الرياضيات، فالمقتدر كان عالما كبيرا في الرياضيات و الفلسفة و كان ابنه المؤتمن أبرع منه في الرياضيات، و فيها ضف كتابيه الاستكمال و المناظر و منها نبغ العلامة عبد الله بن أحمد السرقسطي، و كان مشهودا له بالتوفق في الهندسة.

و كان وزير بني هود بسرقسطة أبو الفضل حسداي بن يوسف بارعا في علوم كثيرة و منها الرياضيات و غيرها.

كما تناولنا علم الفلك و ذكرنا أنه من العلوم البارزة في مملكتهم، فبرزت فئة من العلماء في بلاطهم اشتهروا بدراسة الفلك من أمثال بن برغوث و الرعيني و ابن باجة و أشرنا إلى وجهة الفقهاء من هذا العلم و التي كانت معترضة إلا أن ذلك لم يمنع أمراء بني هود من تشجيعها و كان الأمير المقتدر نفسه من علماء الفلك.

و ما من شك أن في ذلك دلالة على أهمية هذا العلم و انتشاره في أوساط المشتغلين بعلوم الفلك.

و أما عن علم الكمياء و الفزياء ما يعرف بعلم الهيئة فقد برز هو الأخر في بلاطهم و ذكرنا أهم بعض المشهورين فيه أمثال ابن باجة و ابن حسداي و ابن قيوان.

و كان علم المنطق من العلوم العقلية التي شغلت عقول المفكرين فظهر مختصين فيه رغم نقد الفقهاء لهذا العلم.

و أما عن علم الفلاحة فذكرنا أهمية الزراعة في حياة الفرد في سرقسطة و حاولنا إعطاء نماذج عن تطور الفلاحة و ذلك عن طريق إدخال أنظمة فلاحية و أساليب الري جديدة.

و لم تجد علماء و مختصين لهذا العلم بسرقسطة ما عدا ابن الجزار السرقسطي.

و الزراعة بلغت قمتها في التطور في عهد بنو هود و استشهدنا على ذلك ما ذكرته الكتب الجغرافية عن البساتين و الجنات التي كانت آية في الجمال و الروعة ما يذهل العقل.

و قد ختمنا هذا البحث بخاتمة بسيطة تناولنا فيها بعض الاستنتاجات التي خلصنا إليها في هذه الدراسات، وقد ضمنا الموضوع بملاحق كلها لتوضيح مسيرة العلوم في مملكة بني هود، أما عن الخرائط و الصور فقد وضعنا بعضها و غرضنا تبيان المكان الجغرافي للمدينة لتوضح للقارئ الأهمية الايستراتجية و الاقتصادية التي لعبتها المنطقة في ازدهار الحياة الفكرية، فضلا عن بعض الصور لبعض أثار المدينة.

و لدراسة هذا الموضوع اعتمدنا على مجموعة من المراجع التي أنارت السبيل إلى الوصول لفهم الموضوع فنكتفي بذكر أبرزها و هي كالآتي:

"الذخيرة أهل الجزيرة" لأبي الحسن علي بن بسام الشنتيريني، و يعتبر من أهم المصادر لتاريخ الجزيرة الأندلسية و تاريخ أدبائها و شعرائها.

و قد أتم ابن بسام هذا المؤلف بمدينة قرطبة، و قد ذكر في مقدمة كتابه عن السبب الرئيسي الذي دفعه إلى تصنيفه، و هو أنه رأى إهمال علماء عصره لآداب بلدهم منصرفين إلى التقليد العمي لآداب المشارقة و علومهم فأراد بذلك وضع الذخيرة و جمع فيها كل ما تضمنته الأداب من المنشور و المنظوم، كي يكون سبيلا للأندلسيين لمعرفة تفوقهم و إنتاجهم الصائع، و يشتمل من أربعة أقسام.

فالقسم الأول خصص فيه، ذكر أهل قرطبة و يشتمل من الأخبار و أسماء الرؤساء و الكتاب و الشعراء، و القسم الثاني لذكر الأعيان و المشاهير أرباب صناعة المنظوم و المنثور بحضرة إشبيلية و نواحيها و في القسم الثالث لذكر الجانب الشرقي من الجزيرة بما فيه الثغر الأعلى.

و القسم الرابع يختص بمن وفد و طرأ على هذه الجزيرة بإفريقية و الشام و العراق و الكتاب أفادنا في معرفة تراث القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، و هي الفترة المعلمية المزدهرة بسرقسطة التي جمعت بين عصري الخلافة الأموية و ملوك الطوائف.

و يليه كتاب "أعمال الأعلام" فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام" للسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1374م)، و هذا الكتاب ألفه قبل مصرعه و قد تركه ناقصا و لم تسمح له فرصة لإكماله، و قد ألفه للوزير أبي بكر بن غازي عقب وفاة السلطان عبد العزيز المريني و تنصب ولده الطفل السعيد سلطان، و هذا ما أثار خصوم ابن غازي فشن حملة شديدة على توليه الطفل و اتهموا الوزير بإهمال مصالح المسلمين، فوضع ابن الخطيب كتابه أعمال الأعلام ليثبت فيه الحادث، و الكتاب مجهود تاريخي القيم و يشتمل على ثلاثة أقسام كبيرة، الأول ذكر فيه تاريخ المشرق و مصر و الشام و الثاني الأندلس من دولة بني أمية

حتى قيام دولة بني الأحمر بغرناطة و القسم الثالث تاريخ إفريقية و المغرب من أيام الأغالبة حتى بداية عصر الموحدين.

و قد زودتنا هذه الأقسام بمعلومات قيمة عن الحياة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية لتلك الفترة، كما أشار إلى العلوم العقلية التي برزت في بلاط بني هود بسرقسطة.

و لابن الخطيب مؤلف آخر و هو "رقم الحلل في نظم الدول" و هو أرجوزة تاريخية تناول فيها تاريخ الدول الإسلامية فيذكر فيه خواص المدنية و محاسنها.

كذلك اعتمدنا على كتاب أعمال الأعلام الذي أثرنا بمعلومات قيمة عن الأوضاع المختلفة التي أدت إلى ازدهار الحياة العلمية في القرن الخامس/الحادي عشر ميلادي.

و لا يخفى عنا كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب"، و قد ألفه أحمد المقري التلمساني (ت 1041هـ/1631م)، و هو مؤرخ جزائري من مدينة مقرة التلمساني، و الكتاب فيه تمهيد عام لتاريخ الأندلس و هو موسوعة كبيرة عن الأندلس، فنصفه الأول ..... التعريف بالأندلس بينما النصف الثاني يتناول فيه حياة ابن الخطيب و إنتاجه العلمي و الأدبي، و يعتبر الكتاب مصدرا أساسيا لجميع الباحثين في تاريخ الأندلس و المغرب و قد ذكر مدينة سرقسطة من الناحية الجغرافية و الطبيعية، كما ذكر أهميتها الزراعية، كما تعرض إلى ذكر العلوم الأدبية و العقلية التي شغف بها أمراء بني هود.

و للمقري كتاب آخر عن الأندلس عنوانه "أزهار الرياض و أخبار القاضي عياض"، و قد اعتمدنا عليه، لغزارة المعلومات عن معرفة أهم التراجم لأهم طبقات الفقهاء و الأدباء و الشعراء في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد. ما زاد الموضوع ثراءا علميا.

و أفادني كتاب الأحكام للقاضي أبي المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشفي المالطي (497هـ/.....م) في معرفة الأوضاع التي أدت إلى ازدهار حياة العلوم الفقهية في تلك الفترة، هو العصر الذي عاشه المؤلف، و قد ذكر الحياة السياسية و انتقال الحكم من الخلفاء الأمويين إلى ملوك الطوائف ثم إلى المرابطين و ذكر مظاهر الحياة العلمية.

و اعتمدنا أيضا في هذه الدراسة على كتاب "المغرب في حلى المغرب" لابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ/1274م)، و الكتاب للأسف ضاع و لم يبق فيه إلا أجزاء بسيطة تضمنت تراجم لبعض الشخصيات البارزة في الندلس من العصر الأموي حتى نهاية عصر الموحدين، و قد نشره الدكتور شوقي ضيف في جزئين، و قد أثرنا الجزء الثاني في معرفة المدينة و حضارتها و شعرائها من القرن الحادي عشر.

و كان كتاب "قلائد و محاسن الأعيان في لمع أعيان القضاة و لمع أعلام العلماء السراة" لمؤلفه لأبي نصر الفتح بن خاقان بن محمد بن عبد الله القيسي.

و الكتاب جمع فيه من شعراء العرب و تكلم على ترجمة كل واحد منهم بأعذب عبارة و له أيضا كتاب مطمع الأنفس و هو كتاب كثير الفوائد و كلامه في هذه الكتب يدل على غزارة مادته و قد سرد فيه محاسن الأدباء و النوابغ النجباء و البلغاء و الكتاب و غيرهم و كان من معاصري ابن باجة السرقسطي و كان من خصومه.

و اعتمدنا على كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي طبيعية، و الكتاب يضم مشاهير الأطباء الذين أمكن له جمع سيرهم في عصره و مؤلفاتهم و أقوالهم و هو طبيب أندلسي في مطالع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي.

و عن كتاب طبقات الأطباء و الحكماء من تأليف أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل و الكتاب ألفه سنة 377هـ/987م. و يعتبر وثيقة هامة في تاريخ العلوم و تطور حركة التأليف و الترجمة في القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي، و الذي يعد العصر الذي ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية و نمت و بلغت غايتها في الانتاج الواسع في شتى ميادين العلوم و الآداب.

و يليه كتاب "إنباه الرواة على أنباه النحاة" لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي و الكتاب على أربعة أجزاء يشتمل آخرها الفهارس المتنوعة التي دأبت الدار على العناية بها تسهيلات للباحث و توفير الوقت و الكتاب له أهمية كبيرة لشموله على الكثير من علماء النحو و اللغة لتلك الفترة.

إلى جانب كتب التراجم و الطبقات التي تعد مكملة لمصادر التاريخ الإسلامي في مقدمتها "الصلة" لبن بشكوال و انضم علماء و فقهاء و محدثين نبغوا في سرقسطة و كتاب ابن الزبير "الصلة لكتاب الصلة" لابن الزبير و هو ذيل لكتاب ابن بشكوال و أعاننا كتابي لإبن الآبار(ت 658هـ/1250م)، "الصلة و آخر الحلة السيراء عن معرفة مذاهب هؤلاء العلماء و اتجاهاتهم العلمية.

إضافة إلى كتب جغرافية ..... و يأتي في طليعتها ابن حوقل (ت 380هـ/990م) في كتابه "صورة الأرض" الذي يعد حصيلة لأسفاره و تضمن الكتاب بيانات توافيه عن الأقاليم بالأندلس و خصائصها.

و كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لمؤلفها الإدريسي (ت 548هـ/1154م)، و ميزة المؤلف أنه كان ذا حظ في الاتصال بمعظم الأمراء و ملوك الأقاليم التي زارها و بالتالي يعتبر شاهد عيان لتلك الأحداث التاريخية.

و يليه كتاب الروض المعطار للحميري، للكتاب أهمية مكننا من معرفة المدينة طبيعيا جغرافيا اقتصاديا سياسيا و فكريا إضافة للمعاجم و يعتبر كتاب معجم البلدان لمؤلفه ياقوت الحموي (ت 626هـ/1224) موسوعة جغرافية و علمي للمدن الأندلسية بما فيها منطقة الثغر الأعلى.

أما فيما يخص المراجع فاعتمدنا في دراستنا على عدة منها و من أبرزها كتاب "تاريخ الأدب الأندلسي" لإحسان عباس.

و قد قسم الكتاب إلى جزأين و أفادنا كلاهما في معرفة تطور الأدب و الفكر الأندلسيين في فترة ملوك الطوائف.

و كتاب "الحلل الأندلسية في الأخبار و الأثار الأندلسية"، لأرسلان شكيب، و الكتاب غني بمعلومات تاريخية و حضارية لمنطقة الثغر الأعلى كما اعتمدنا على كتاب الحياة العلمية في عصر الملوك الطوائف في الأندلس لمؤلفه البشري سعد عبد الله و هو كتاب عام فيه لخص أهم العلماء و الأطباء و الفلاسفة و المناطقة و الفلكيين.

و كتاب آخر لحسن إبراهيم من تحت عنوان "تاريخ الإسلام السياسي و المدني و الثقافي و الاجتماعي".

و لا يخفى عنا كتاب تاريخ الفكر الأندلسي لجنثالث بلنثيا آنخيل.

و كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد و تاريخ المذاهب الفقهية لأبي زهرة محمد و صوفية تعرفنا على المذاهب التي انتشرت في تلك الفترة بسرقسطة و في مقدمتها المذهب المالكي.

و أفادنا كتاب الثغر الأعلى للسامرائي خليل إبراهيم في معرفة الناحية الجغرافية و السياسية لمنطقة الثغر الأعلى التي أثرت في الجانب الحضاري و الفكري.

إضافة إلى كتاب "الثغر الأعلى الأندلسي في عهد المرابطين لمؤلفه حسين مؤنس و من خلالها تعرفنا على العلاقات السياسية التي كانت تربط مدن الثغور و أثر هذه العلاقات في توطيد العلاقات بين الملوك العرب و ملوك النصارى و التي كان لها أثر في تمازج و تنوع الحضترة العربية الإسلامية الإسبانية.

أما فيما يخص المراجع الأجنبية باللغة العربية للمستشرقين كان لهم باع كبير في كتابة التاريخ الأندلسي و في طليعتها كتاب "الحضارة العربية بالأندلس" لمؤلفه ليفي بروفنسال و أفادنا الكتاب في معرفة الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية.

إلى جانب المستشرق الكبير الهولندي ريتهارت دوزي الذي عكف على دراسة تاريخ أسبانيا بعنوان "تاريخ مسلمي أسبانيا" و المؤرخ لم يتناول تاريخ العرب أسبانيا حتى نهايته، بل وقف عند عصر ملوك الطوائف في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، و قد عني بالناحية السياسية أكثر من عنايته بالناحية الحضارة و الحياة الاجتماعية العامة، و لكنه على كل حال يعتبر أول كتاب علمي لتاريخ العرب في إسبانيا كذلك أضاف دوزي معجما عربيا في جزأين للكلمات التي لم ترد في المعاجم العربية سماه:" Supplement aux dictionnaires arabes"

إضافة إلى مجموعة من المصادر باللغة الفرنسية التي أضاءتنا لمعلومات عن الحياة السياسية و العلمية و الاجتماعية لمدينة سرقسطة في تلك الفترة.

و لم نستغني عن كتب أخرى قيمة و هي دوائر المعارف و الموسوعات عن الحضارة الإسلامية و القواميس و المعاجم اللغوية و المجلات التاريخية.

قراءة في مصادر البحث

أحاول في هذا العرض إبراز أهمية المصادر و المراجع المعتمد عليها خلال دراستنا نظرا للصعوبات الكثيرة التي يوجهها الباحثين في التاريخ الإسلامي بسبب تنوع المصادر و اختلاف وجهات نظر أصحابها، و ما يزيد صعوبة عندما يلجأ الباحث إلى معرفة اتجاهات المؤرخين و أسلوبهم و منهجهم في الكتابة التاريخية.

و لاشك أن هؤلاء المؤرخين قد كتبوا التاريخ بأسلوبهم الخاص المميز و عبروا عن واقعهم الفكري المميز الذي يختلف من مؤرخ إلى آخر.

و من الصعب الإحاطة بأي عصر في مجال التاريخ إبراز قوة أو ضعف النصوص و الوثائق لذلك يتأخر بعض الباحثين في ميدان دراستهم لانشغالهم بمعرفة المؤرخ و طريقة كتابته للتاريخ قبل أن يلجأ إلى مصدر معين بسبب صعوبة تناولها و ضخامة مجلداتها.

و من خلال عرضنا أردنا إبراز المصادر التي تناولها خلال دراستنا حتى يتسنى للدارسين و القراء معرفة ميسرة عن تلك المصادر و عن منهج مؤلفيها و عن قيمتها بالمقارنة مع غيرها فيكون ذلك تمهيد الإنارة الطريق عامة، فإن الدراسة النقدية لمصادر و مراجع البحث التي رتبناها حسب أهمية كل مادة حيث تأتي كتب التراجم و الطبقات في مقدمة المصادر الهامة في هذا البحث ثم كتب الرحلات و الجغرافية التي تليها و تأتي الموساعات و كتب المعارف التاريخية الهامة ثم الدراسات الحديثة و أدرجناها على النحو الآتي:

1. كتب التراجم و الطبقات.
2. الكتب الجغرافية و المعاجم.
3. الموسوعات و كتب المعارف التاريخية العامة.
4. الدراسات الحديثة.

يمكن تصنيف كتب الطبقات و التراجم في صف الكتب التاريخية، و ذلك لاتصالها المباشر بهذا الموضوع و تهتم هذه الكتب بتاريخ وسيرة مشاهير الرجال الذين ينتمون إلى اتجاه معين أو مذهب محدد، و منذ أن بدأ المسلمون التدوين للتاريخ الإسلامي.

اهتموا بهذه الكتابات التي تعتمد على المنهج الترتيبي الوصفي مما أثرى المادة التاريخية ووسع دائرتها.

و من تم فإن أي باحث يحتاج إلى نوع هذه المصادر و من المؤكد أن قائمة مؤرخي الطبقات و مضفاتهم طويلة جدا و كثيرة لا يسعى لنا دراستها كلها و سنقتصر هنا على ذكر من لهم صلة مباشرة بالموضوع و يأتي في طليعتهم:

1- ابن بشكوال(أبي القاسم بن خلف بن عبد الملك)(سنة 578هـ 1182م):

في كتابه "الصلة" حيث أفدني في معرفة علماء و محدثين و فقهاء و مفسرين سرقسطين، فقام صاحبه بترجمة لأشهر علماء في تاريخ بني هود.

و يحتوي الكتاب على ثلاثة أجزاء و في كل جزء وجدت شخصيات أفادت موضوعي فذكر ترجماتهم بتفصيل سنة ولادتهم ووفاتهم كما ذكر أهم و أبرز أعمالهم و لم يغفل عن ذكر رحلاتهم و حتى مذاهبهم و التي كانت في أغلبها تتبع مذهب مالك بن أنس.

2- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي) (سنة 685هـ 1286م):

ولد بمدينة بلنسية بشرق الأندلس سنة 595ه 1199م تلقى العلم على يد ولده ثم واصل تعليمه فدرس على شيوخ و الأئمة كبار، وبعد أن سقطت المدينة في يد ملك أراغون سنة 636هـ 1238م اضطر هو و أسرته الهجرة إلى تونس و هناك اشتغل كاتبا لدى سلطانهم و بعد ذلك انتقل إلى مدينة بجاية أين ألف كتابه،كتاب الكتاب، و قد نصب له مكيدة أيام الخليفة المستنصر بالله (647هـ 1249م) الذي أمر بقتله ثم حرقه (سنة 685هـ 1286) و لقد اعتمدت في دراستي على كتابه المشهور "التكملة لكتاب الصلة" أي تكملة لصلة ابن بشكوال و الكتاب عبارة عن تراجم لأسماء الملوك و الأمراء و الفقهاء و العلماء مرتبة حسب حروف الهجاء و ميزة هذا المؤلف أنه ذكر الوافدين إلى سرقسطة من بلاد المشرق و المغرب.

و أضاءنا كتابه "الحلة السيراء" في معرفة الأوضاع الاجتماعية و السياسية في تلك الفترة و التي كانت في بعض الأحيان عوامل لأزدهار الحياة الفكرية في سرقسطة.

3- ابن زبير(أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي)(سنة 708ه 1308م):

كان من الفقهاء و المحدثين الكبار فعمل على إقراء كتاب الله و درس الحديث إلى جانب ممارسته لعلمي اللغة و الأدب و يعتبر كتابه "صلة الصلة" مؤلف قيم يدل على مكانته العلمية و يعد من أبرز و أشهر مؤلفاته وضعه في تراجم علماء الأندلس و رتبه على حروف المعجم عند المغاربة و عمل على استيعاب أكبر قدر من أسماء الرجال الذين سبقوه.

أفادني الكتاب في معرفة أهم الرجالات و العلماء لفترة بني هود و الذي كان لهم باع كبير في إثراء الحياة الفكرية في بلاطهم.

و الكتاب على خمسة أجزاء حسب مطبعة فضالة سنة 1413هـ 1993 وقد استعنت بالجزء الثالث الذي وجدت فيه مادة البحث بغزارة.

و ظل كتابه مصدرا معتمد في تراجم الكثيرة من العلماء الأندلسيون و يستفاد من خلاله عن الحياة الفكرية و العلمية و الاجتماعية فيها و يبقى قسم أخر للكتاب عثر عليه الدكتور عبد السلام الجراس و الأستاذ: سعيد أعراب اللذات عملا على تحقيقه و هو الآن في متناول جميع الباحثين.

4 ابن فرحون (ابراهيم بن نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم المالكي)سنة (799هـ 1397م):

و على ما يبدوا أنه كان على المذهب المالكي.

أثرنا كتابه"الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" على معرفة مذاهب العلماء و الفقهاء و المحدثين و المفسرين الذي غابت ذكره بقية كتب التراجم و الطبقات الأخرى،بحيث عرض في مؤلفه هذا التراجم لرجال و علماء تابعين لمذهب مالك من (فريقة و الأندلس و يتضح أن في عهد بني هود كان المذهب المالك هو سيد الفقهية و هو المطبق على الأمراء و الملوك و رعايتهم.

5 الضبي (أحمد بني يحي بن أحمد بن عميرة) (سنة 598هـ 1202م):

و قد ألف كتابه "بغية الملتمس في تاريخ علماء الأندلس" الذي يتضمن أشهر العلماء الوافدين إلى سرقسطة و الأندلس خلال القرن الخامس الهجري حتى أواخر القرن السادس

الثاني عشر للميلاد، و من خلاله تسنى لنا معرفة علماء الذين وفدوا إلى بلاط بني هود أمثال الكرماني "الذي لقي رعاية حسنة من طرف أمرائها.و قد اعتمدت .....الترتيب على حروف المعجم و كذلك على كتاب قديم لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميري رغم أنه انتهي إلى حدود 450ه 1060م.

6 أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (سنة 544هـ 1149م):

و كان كتابه "ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"

بمثابة بطاقة تعريف لمعرفة أصحاب المذاهب المالكية من العلماء و الفقهاء لتلك الفترة. و يعتبر كتابه رد فعل لما لقته المدرسة المالكية من خصوم المالكية و أفادني في تراجم بعض العلماء و الكتاب على أجزاء و نحن استعملنا الجزء الثاني.

7 ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي):

في كتابه "التشوف الى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي" فقد خصص ذكر الزهاد و العلماء و المتصوفة الذين ظهروا بكثرة في أواخر عصر ملوك الطوائف نظرا لحياة الترف و البذخ الذي غلب على بلاطات الأمراء آنذاك بما فيهم أمراء بني هود،و صور خلاله الحياة الاجتماعية و السياسية و ترجم للزهاد المنقطعين في رؤوس الجبال و الثغور و لا يمكننا الاستغناء على هذا الكتاب مادام أحد مباحثنا تهتم بالتصوف في المدينة البيضاء و يعتبر التشوف ، للتدلي أهم نص في مناقب صلحاء المغرب فقد ضم أخبار 277 من رجالات الولاية و العلم الذين عاشوا كلهم في القرنين الخامس و السادس الهجريين.

ب كتب المسالك و الممالك و المعاجم الجغرافية:

- 1 الحميري(محمد بن عبد المنعم):

في كتابه "الروض المعطار في خبر الأقطار" و هو معجم جغرافي حققه إحسان عباس سنة 1975م ببيروت و هو مصدرا هاما لكثير من الباحثين و لقد اهتم فيه مؤلفه بوصف الحواضر و المدن الأندلسية و يعد كتابه حصيلة لأسفاره و تردده على الأقاليم و البلدان و قد وصفها وصفا دقيقا حتى أنه ذكر طرق التجارة و مسالكها و تحدث عن الزراعة و ذكر فيه أعلام المدن الأندلسية و أهم الحوادث التي دارت بها.

أفادني كتابه في تعريف مدينة سرقسطة جغرافيا و طبيعيا و زرايا حتى سقوطها في يد النصارى.

2- الكبرى (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز) (سنة 487هـ 1094م):

مؤرخ وجغرافي عاش في أواخر القرن الخامس الهجري. ويعتبر كتابه جغرافية الأندلس و أوربا مصدرا أساسيا في معرفة البيئة الطبيعية لمدن الأندلس المختلفة و أفادني في معرفة بعض الجوانب الغامضة للمدينة .

3- الإدريسي (أبو عبد الله محمد) (سنة 548هـ 1154م):

ولد بمدينة سبتة المغربية سنة 493هـ 1100م انتقل إلى الأندلس و درس بقرطبة و هو أول من رسم خريطة الأرض للملك النورماندي توجد الثاني بصقلية.

و كتابه" نزهة المشتاق في اختراق الأفاق" و هو خلاصة وافية لمشاهدته التي لاحظها كل ما يتعلق بحوافرها بتفصيل.

و أفادني في معرفة .....الثغر الأعلى و قاعدته سرقسطة المدينة البيضاء و من خلاله تسنى لنا معرفة التضاريس و المناخ و أثرهما على الزراعة و الاقتصاد.

4- ياقوت الحموي(أبو عبد الله)

في كتابه" معجم البلدان" فقد خصص مؤلفه في تعريف مدينة سرقسطة انطلاقا من كيفية نطقها لغويا إلى تأسيسها تاريخيا و هذا ما غاب إلى الكتب الجغرافية الأخرى ماعدا كتاب الروض المعطار "لمؤلفه الحميري.

ج- الكتب التاريخية العامة و الموسوعات:

1- ابن خاقان (أبو نصر محمد بن عبد الله القيسي)(سنة 535ه 1140م):

في كتابه "قلائد العقيان في محاسن أعيان الزمان" الذي جمع فيه شعراء المغرب وظائفه كثيرة و تكلم على ترجمة كل واحد بأحسن عبارة و قد أفادنا الكتاب في معرفة أوضاع هؤلاء العلماء كما فصل في مؤلفه هذا تأسيس مدنية بني هود في القرن الخامس الهجري،كما أنارنا كتابه"مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس" بمعلومات قيمة عن موضوع الدراسة و هو في ثلاث نسخ فالكتاب كثير الفائدة لكنه قليل ما يدل على

فضله و قد اعتمدت على النسخة التي طلعت بمطلعة الجوانب بالقسطنطنية حسب الطبعة الأولى لسنة 1302هـ.

فالقسم الأول من الكتاب يشمل سرد غزير عن الوزراء و الكتاب و البلغاء أما القسم الثاني يشمل على محاسن أعلام العلماء و أعيان القضاة و الفقهاء أما القسم الثالث يشمل سرد محاسن الأدباء النوابغ و الكتاب مهم لذلك أفادني في معرفة كل صغيرة و كبيرة على هؤلاء العلماء و الأدباء والفقهاء الذين أناروا دار العلم بنورهم و مؤلفاتهم.

2 ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي):

في كتابه"الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس" و الكتاب يتناوب تاريخ المغرب الاقصى و هو يشمل الدول التي تداولت في حكمه و الكتاب أفادني في معرفة أسباب ضعف دول ملوك الطوائف بما فيها سرقسطة و التي كان سقوطها أثر كبير في الحياة الفكرية في أواخر القرن الخامس الهجري حيث أصبح العلماء يفرون و يبحثون عن مكان أخر لمواصلتهم مسيرتهم العلمية و الفكرية و هذا ما وضحه المؤرخ حيث ذكر هؤلاء في عهد المرابطين أين وجدوا راحتهم أمثال ابن باجة السرقسطي الذي واصل مشواره في ذلك العهد.

3 ابن الكردبوس:

و الكتاب الاكتفاء و الذي كان بمثابة دليل اتبعه في معرفة تأسيس دولة بني هود بعد زوال حكم التجسيس على يد أميرهم "المستعين بالله" و هذا كله لمعرفة الأحوال السياسية سرقسطة كيف كان تأثيرها على الحياة الفكرية.

6 ابن خلدون (عبد الرحمن) (سنة808 1406م):

هو عبد الرحمن بن خلدون الأديب الفقيه المؤرخ الناقد ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضري الأشبيلي المالكي الأشعري ولد بتونس سنة 732ه 1332م و نشأ بها وتقلد عدة مناصب سلطانية ببلاد المغرب و الأندلس ثم ترك السياسة و اعتزل بقلعة بني سلامة بتيهرت غرب الجزائر لتأليف كتابه الشهيرة"العبد" وضمنه مقدمته التاريخية و كتابه العمران و تاريخه عن البربر و العرب و العجم رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج و استقر به المقام بالقاهرة فتولى بها قضاء المالكية إلا أن توفي.

اشتهر بمقدمته التي هي جزء من كتابه الكبير"العبد" و أفادني في معرفة شتى العلوم الدينية و العلوم الأدبية و أخرى عقلية التي عرفها العرب و نقلت إلى الأندلس لتعرف تطورا و ازدهارا.و كان مصدرا أساسيا في ذكر أهم العلماء و الفلاسفة السرقسطيين الذين كان لهم باع كبير وأثر بالغ الحياة العقلية في بلاط بني هود .

و أما "العبد" فقد أثمرني في معرفة تأسيس مدينة بني هود و قد ركز مؤرخنا على ذكر أمرائها الذين كانوا أية في العلم و الفكر و العقل كالمقتدر و المؤتمن بن هود الذين كانا المنبثق الرئيسي في تطير الرياضيات و علوم الطب و الفلسفة في بلاط. وقد اتبع المؤرخ في مؤلفيه دراسة تحليلية و عرفت الأحداث التاريخية على معيار العقل حتى تسلم من الكذب و التزنيف و تعتبر منهجية في فن التاريخ تعكس نظرة مطلقة لإدراك الحقائق متخذا شواهد تاريخية.

7- كذلك أضاءنا كتاب" الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية"لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري الرابع عشر للميلاد):

و يقال أن الكتاب تم تأليفه عام 783ه 1381م أي في عهد السلطانين محمد الخامس ملك غرناطة و أبي زيد بن عبد الرحمن ابن أبي الحسن المدني ملك المغرب و هو جزء واحد حققه الدكتور سهيل زكار و الأستاذ عبد القادر أمامه حسب الطبعة الأولى لعام 1399هـ 1979 بالمغرب.

و يتناول الكتاب عصر المرابطين و الموحدين إلا أن المؤلف لم يغفل عن ذكر عصر الطوائف و الذي وصف عصرهم بعصر الضعف و الاضمحلال الأحداث بحقائق تاريخية. و كان هذا الضعف الذي انتاب جسم المدينة البيضاء أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى استيلاء المرابطين عليها و على .....المجاورة.

8- أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها "لمؤلف مجهول":

ويعتبر الكتاب مرجعا أساسيا في تاريخ فترة الفتح من أخبار الولاة و الأمارة و الخلافة الأموية و عصر الطوائف و من خلاله تعرفت على ظروف فتح المدنية على يد المسلمين بعد أن كانت تحت حكم القوطيين و التي كان فتحها على يد طارق بن زياد مولى

موسى بن نصير و عرفت خلاله من حكم المدينة في عصر الولاة و عصر الخلافة حتى سقوطها في يد عريقة عربية كله لمعرفة المدنية تاريخيا لإثراء الموضوع.

9 المقري التلمساني (أحمد بن محمد) سنة (1041هـ 1631م):

ولد أحمد بن محمد بن المقري القرشي المكني: بأبي العباس و الملقب بشهاب الدين سنة 986هـ بمدينة تلمسان الجزائرية و أصل أسرته من قرية مقرة قرأ فيها ثم ارتحل إلى مدينة قاسن سنة 1009م ثم إلى بلاد المشرق مما سمح له كسب العلم الغزير على يد العلماء و الشيوخ الكبار و كان من تلاميذه العالم الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب و لشدته تأثيره بهذه الشخصية كتب له كتاب يعالج فيه تاريخ ابن الخطيب و لشدة تأثره بهذه الشخصية كتب له كتاب يعالج فيه تاريخ ابن الخطيب و مهم خلاله الكتابة عن تاريخ الأندلس العام فخرج الكتاب على شكل موسوعة كبيرة عن تاريخ الأندلس و المعروف نفخ الطيب من غض الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان بن الخطيب" وكان منهجه في السرد غير منظم و لعل السبب يعود إلى بعد المقري عن وطنه و الكتاب مصدرا أساسيا لجميع الباحثين في تاريخ الأندلس و المغرب عامة.

و قد أفادني الكتاب في تعريف المدينة و معرفة فلاسفتها و علمائها الكبار أمثال اليهودي ابن حسداي و ابن باجة هو مرآة تعكس الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الفكرية لفترة ملوك الطوائف و الكتاب على أجزاء فاعتمدنا على بعض الأجزاء التي تعالج موضوع الدراسة.

و للمؤرخ مؤلف أخر "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض" و من هذا العنوان لا يعني أن المقري كتب حصة في ذكر حياة القاضي عياض صاحب كتاب المسالك و المدارك" و إنما تتناول أحداثا هامة في الأندلس كما تضمن الكتاب ترجمة عن شخصيات كان لها نصيب أوفر في الأندلس كما تضمن الكتاب ترجمة عن شخصيات كان لها نصيب أوفر في الفقه و التفسير و الحديث و هو على خمسة أجزاء و لكل جزء موضوع و نحن استعنا بالأجزاء إلى .....الشخصيات التي ساهمت في إثراء الحياة الفكرية بسرقسطة.

10 ابن بسام الشنتريني (أبو الحسن) (سنة 542ه 1147م):

في كتابه" الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة"ألفه بن سام الأندلسي في ثمانية أجزاء لكن لم يصدر منها سوى ثلاثة و انتهج فيه منهج الثعالبي في.....الدهر و قسمه إلى أربعة أقسام ثلاثة من مناطق متفرقة في الأندلس و خصص القسم الرابع بالوافدين على الأندلس من المغرب و المشرق من أهل عصره.

و يتضح من مقدمته غيرته على بلاده و حبه لأهلها و هذا ما أدى به إلى تأليفه و الكتاب عبارة عن موسوعة أندلسية أدبية تاريخية تضمنت تراث القرن الخامس الهجري و هي الفترة العلمية المزدهرة جمعت بين عصري الخلافة و ملوك الطوائف و قد اعتمدت على القسم الأول الذي ذكر فيه شعراء بني هود و البلغاء و الأدباء.

11 ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله)(سنة776ه1374م):

ولد بمدينة بوشنة سنة 713هـ 1313م بغرناطة كان عالما و طبيبا و فيلسوفا و شاعرا و أديبا، اشتغل في الوزارة عند ملوك بني الأحمر في عهد أبي الحجاج يوسف الأول و ابنه محمد الخامس الغني بالله لقب بذي العمرين لأنه كان يشتغل في الليل بالقراءة و في النهار في أمور السياسية و الحكم لذلك تعتبر مؤلفاته المختلفة مصادر أساسة لدراسة التاريخ الأندلسي لان منصبه هذا أتاح له الفرصة الإطلاع على الوثائق و المرسلات الرسمية واتصاله المباشر لاسفراء لمختلف الدول و تذكر المصادر أن أصبح من المتصوفة بعد فقد أنه لزوجته.

و كان كتابه"أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام" و هذا الكتاب ألفه قبل مصرعه و هو مجهود تاريخي قيم و يشتمل على ثلاثة أقسام كبيرة الأول يعالج فيه تاريخ المشرق و الثاني تاريخ الأندلس و أما الثالث تاريخ افريقية و المغرب و يوجد كتابه أعمال الأعلام في عدة نسخ و كلها نقلت عن نسخة الخزانة بالرباط.

كما يسمى كتابه"بالإحاطة في أخبار غرناطة لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب" وهو موسوعة شاملة لكل ما تعلق بهذه المدن الأندلسية من الأخبار و الأوصان و المعالم جغرافيا و خططها و تناولها تاريخيا من نزل منهم من العرب من العلماء و الشعراء و الأدباء و الفقهاء و الوزراء. و للمؤلف كتاب أخر سماه:"رقم الحلل في نظم

الدول" و هو عبارة عن تاريخ منظوم للدول الإسلامية للخلفاء الأوائل و الأواخر بالأندلس خلال العصور التي تواجد فيه المسلمين بها.

و أفادني هذا الكتاب و الذي هو على شكل .....في ذكر ملوك بني هود و أحوالهم الاجتماعية و الثقافية.

12 ابن سعيد المغربي(أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد)(سنة 685هـ 1274م)

و هو من أسرة بني سعيد التي حكمت قلعة بني سعيد و هي إحدى قلع غرناطة في القرنين السادس و السابع الهجريين و المعروف عن هذه الأسرة أنها عملت على كتابة تاريخ الأندلس الشامل المعروف " المغرب في حلي المغرب" و كان أبا لكسن أخر أفراد هذه العائلة الذي يحمل كتابته، ولد في مدينة يحصب بغرناطة، تلقى تعليمه في الشيلية ثم انتقل إلى بلاد المشرق و هو في الثلاثين من عمره لأداء فريضة الحج و أ؟ما عن مكان وفاته فقد اختلف فيه فمن يقول أنه في دمشق آخرون يقولون بتونس.

و قد نشر الكتاب شوقي ضيف في جزيئين رغم خياع بعض قطع الكتاب و أفادى الجزء الثاني منه و الذي هو تحت عنوان "وشي الطرسى في حلى جزيرة الأندلس" في معرفة المناقب الفنية و الأدبية لمدينة سرقسطة بحيث تجتمع في هذا الكتاب الذي يصور لنا تصويرا دقيقا للأندلس خلال القرن الرابع إلى غاية القرن السابع الهجري بما فيها مدن شرق الأندلس.

13 المراكشي (أبو العباس أحمد) (سنة 706ه 1306م):

صاحب كتاب"البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب":و الكتاب على ثلاثة أجزاء حققه الأستاذين ج.س .....و قد سبقهما إلى نشره الأستاذ و المؤرخ رينهارت دوزي و ذلك سنة 1850.م

ففي الجزء الأول من الكتاب اختصر فيه أخبار افريقية و أما في ثانيه خصه عن خبر الجزيرة الأندلس من الفتح إلى عصر الطوائف و الجزء الثالث في خبر المرابطين و الموحدين كما ذكر بعض الأخبار عن الحفصين و النصرية.

و قد اعتمدت على الجزء الثالث حسب طبيعة القاهرة لسنة 1983م في معرفة تأسيس دولة بني هود و الأمراء الذين تناوبوا في حكمها و الخلافات التي دبت بين الإخوة

و التي كانت السبب الرئيسي في سقوطها كما أثمرني الكتاب في معرفة الأحوال السياسية لتلك الفترة و عن الحياة الفكرية قبل ظهور بني هود في المدينة البيضاء و نقصد عصر الخلافة الأموية و الذي كن التمهيد لغرس بذور العلم أو بمثابة أساس اعتمد عليه من جاء بعدهم من ملوك الطوائف و المرابطين .

14 ابن حيان القرطبي(أومدوان)(سنة 467هـ 1076م):

و من تاريخ وفاته يدل أنه عايش أواخر القرن الرابع و بداية القرن الخامس الهجريين و هو من المؤرخين العظام و منزلته كبيرة و قد امتازت رواياته بالدقة و العمق و التحليل و أسلوبه معروف بالقوة نظرا لعبارته التي تمتاز بالقوة و المرونة و قد ألف عدة مؤلفات إلا أنها ضاعت و لم يبق سوى أجزاء من كتابه "المقتبس في أخبار بلد الأندلس" و الذي يعتبر وثيقة أساسية و مصدرا لا يستغنى عليه لأن المؤرخ كان شاهد عيان عن الأحداث التي ألت إليها الخلافة الأموية و بلاطات ملوك الطوائف مما أثر في كتاباته و قد أفادني في معرفة وضعية العلماء في تلك الفترة خاصة تلك الطبقة التي لا يستغنى عليها إلا و هي طبقة الفقهاء و التي أدت إلى الضعف بعد سقوط الخلافة و نلاحظ ذلك من خلال كتابته حيث وصفهم بالقسوة و العتاب عليهم.

13 ابن حزم القرطبي (سنة 356هـ 1063م):

نشأ المؤرخ في حياة تغمرها السعادة و عاش في القصور لأن أباه أحمد كان وزيرا للمنصور بن أبي عامر.وسقوط الخلافة نفي إلى مدينة المرنة ثم إلى مدينة شاطبة إلا أنه عاد بعد ذلك وأصبح رئيس وزراء عند الرحمن الخامس الملقب بالمستظهر إلا أن هذا الأخير توفي بعد شهرين من حكمه سنة 1024م و كل هذه الأحداث أثرت في نفسيته و كان من معتنقي المذهب الظاهري بحيث أخذ يطوف على دول ملوك الطوائف ألف كتابه" طوق الحمامة في الألفة و الآلاف " رغم أن الكتاب عبارة عن رسالة في الحب و معانيه إلا أنه أفادني في معرفة أحوال الاجتماعية و الاقتصادية و التي كانت تمتاز .....من الحرية مما سمح للمفكرين و العلماء ممارسة أفكارهم و تطويرها.

14 ابن جلجل (أبي داوود سليما بن حسان الأندلسي):

في كتابه"طبقات الأطباء و الحكماء" ألفة سنة377ه 1333م و يعتبر وثيقة هامة في تاريخ العلوم العقلية و تطور حركة الطب في القرنيين الرابع و الخامس الهجريين و المؤلف اعتمد على تراجم عريمة الأصول لاتينية تاريخية وابن جلجل أول أندلسي ألف مثل هذه المواضيع لأن في المشرق قد سبقوه إلى هذا النوع من التأليف ككتاب الفهرسين لأبن النديم"

أفادني الكتاب في تراجم الأطباء و الحكماء و ميزة مؤلفة أن ابن جلجل لم يطلع على المؤلفات المشرقية في تاريخ الأطباء و التي ذكرنا أن مصادرها كانت بوتانية في عصره، لأن هذه المؤلفات لم تنتقل إلى للأندلس و خاصة تلك ترجمة للأطباء لذلك اعتمد على الكتب اللاتينية منها "كتاب الحشائش" لديسقوريدس".

15 ابن أبي أصبعية (أبو العباس أحمد بن القاسم)"668هـ 1270م):

في كتابه"عيون الأنباء في طبقات الأطباء" و هو على جزئيين أفادني في معركة الأطباء الذين برزوا في ميدان الطب و الصيدلة في عهد أسرة بني هود و مما يشير إليه المؤلف أن معظمهم كانوا يهود و يضم كتابه أسماء مشاهير الأطباء في الأندلس كأسرة بني زهر التي غرست البذور الأولى للحركة الطبية في بلاد الأندلس و ميزة الكتاب أن بن طبيعة ذكر كل التفاصيل على هؤلاء الأطباء،و هو يناظر كتاب ابن القفطي في أخبار الحكماء."

16 القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي أبي يوسف) (سنة 646هـ 1248م):

سمي بالقفطي نسبة إلى فقط بلده بالصعيد الأعلى .....سنة568هـ 1172م، كان وزير لدى الأيوبيين، ترك قرابة ثلاثين مؤلف كلها ضاعت سوى بعضها و قد وصلنا كتابة"انباه الرواة على أنباه النحاة" و يبين من خلاله الكثير من العلماء الغويين و البلغاء و النحويين، و أما كتابه الثاني:"تاريخ الحكماء" و هو في صيغة تراجم لأهم العلماء و الأدباء و الفلاسفة و قد أفادني الكتابين في معرفة العلماء الذين برزوا في فترة بني هود منهم الأندلسيون و الوافدين إليها.

الفصل الأول

عوامل ازدهار الحياة الفكرية:

لقد كانت الحياة الفكرية بسرقسطة ذات طابع مميز و كان أمراءها من المهتمين بالعلوم و تشجيعها، كما حاولوا بناء حياة علمية محضة ببلاطهم، الأمر الذي جعل مملكتهم حاضرة لاستقبال العلماء من مختلف أنحاء العالم.

و أصبح العلماء و الفقهاء و غيرهم من ذوي الألباب، يتوافدون على بلاطهم أسرابا.

و نظرا للعناية التي حظيت بها الحياة الفكرية، جعلتها تتميز و تنفرد بخصائص تختلف عن نظيرتها بالمشرق و المغرب.

و قد نقلت المصادر الأندلسية العوامل التي ساعدت على ازدهارها، و هو ما يفسر أن عهدهم ما كان إلا مرحلة من مراحل الازدهار و التطور الفكريين في تاريخ الأندلس الحضاري، خاصة و أن أمرائها أنفسهم، كانوا من كبار العلماء، و كانت العلوم العقلية ميزة بلاطهم، و من العوامل التي ساهمت في الحياة الفكرية:

1. التربية و التعليم:

بالرغم من أن الحقبة التي تواجد فيها بني هود، عانت من التمزق السياسي، و الاضطرابات التي كانت تحوم عليهم، إلا أن ذلك لم يمنع من بروز حياة علمية فيها[1]، غدت سرقسطة في عهدهم من أبرز الحواضر و أعظم المراكز للدراسات العلمية[2]، و قد ساعدها في ذلك بذور العلوم التي كانت بحوزة بني أميّة، و الذي كان عهدهم مستقرا هادئا، ازدهرت فيه العلوم[3]، و قد لقيت التربية و التعليم حظها الأوفر بالأندلس، و كانت طرق التعليم تختلف من حاضرة إلى أخرى[4].

---

[1] **المقري**، المصدر السابق، ص438، ابن حزم، المصدر السابق، ص 15- 16.

[2] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 295.

[3] **ابن الخطيب**، المصدر السابق، ص 41، المقري، المصدر السابق، ص 385- 386، الضبي، أحمد بن يحي بن **أحمد بن عميرة**؛ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أو خرج منها، مطبع روخس، مدريد، 1884، ص 18، **محمد عبد الحميد عيسى**؛ تاريخ التعليم في الأندلس، إشراف: د. لويس سواريث قرناندیث، تقديم: د. عبد الغنى عبود، ط، 1، دار الفكر العربي، 1982م، ص 168.

[4] **إبن خلدون، عبد الرحمن**؛ المقدمة، حققها و شرحها: د. عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1965م، ص 557.

و كان التعليم بسرقسطة يعتمد أساسا على تعليم الصبيان القرآن الكريم و السنة النبوية[1]، و هذه الطريقة كانت تطبق بمختلف الحواضر الأندلسية، و قد عارض ذلك العلامة بن العربي الاشبيلي[2]، و ذكر في كتاب رحلة إلى غربية في وجه التعليم، ففضل تقديم تعليم اللغة العربية و الشعر على بقية العلوم، ثم ينتقل فيها إلى تعليم الحساب لإدراك القوانين و فهمها و من ثم ينتقل إلى تعليم و دراسة القرآن، ثم ينظر في أصول الدين و الفقه ثم الجدل و الحديث و علومه[3]. كما نبه أن لا يتناول المتعلم علمان في نفس الوقت، لأن ذلك يخرب آراءه و يشوش أفكاره و يقلل من فهمه و استيعابه، إلا إذا كان ذا جودة في العقل و الذكاء[4]. و قد وافقه في الرأي ابن خلدون، و لكن أكد استحالة تطبيق هذه الطريقة، لشدة التأثير الديني في المجتمع الأندلسي حيث يقول:

"أما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن و الكتاب من حيث هو، و هذا هو الذي يراعونه في التعليم[5]، و قد اهتم الأندلسيون بالتعليم، و كانوا شديدي الحرص عليه، كما اعتبروا الغير المتعلم جاهل لا يصلح لشيء[6]".

إذن ما دامت هناك طرق، فإنه توجد مراحل في التعليم، و التي هي ثلاث، ففي المرحلة الأولى يتعلم الصبيان القرآن الكريم، و من ثم يتعلمون القراءة و الكتابة و بعض العلوم، و يختلف التعليم في هذه المرحلة من منطقة لأخرى، و ذلك حسب الظروف[7]، و على ما يبدو أن التعليم في هذه المرحلة بسرقسطة، ينبغي على المعلمون

---

[1] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 233.

[2] هو **محي الدين بن العربي**، ولد سنة **560هـ/1164م بمرسية Murcia**، تربى في أسرة غنية، ثم انتقل إلى **إشبيلية** و هناك قضى مراحل طفولته، و كان محبا للعلم قرأ القرآن و الحديث و تعلم الفقه، و نتيجة ما آلت إليه بلاده في أواخر **القرن السادس الهجري**، انتقل إلى حياة الزهد و التصوف و توفي عام 638هـ 1240م. أنظر: **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 371، 372.

[3] **ابن خلدون عبد الرحمن**؛ المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادي، وزارة الثقافة المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ، الجزائر، 2006م، ج.3، ص 223.

[4] **نفسه**، ص 223.

[5] **إبن خلدون**، تح: عبد الواحد وافي، المصدر السابق، ص 557.

[6] **المقري**، المصدر السابق، ص 221.

[7] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 211.

تقديم للصبايا دروس في القرآن و تحفيظهم الحديث، و هذا ما أشار إليه الفقيه أبو الوليد الباجي[1].

و يتبين لنا من سنة وفاته، أن هذه الأسس و المراحل طبقت على عهدي المقتدر بالله و ابنه. و قد عاش الباجي في كنف أمراء بنو هود، و كان ينشر علمه في بلاطهم و حتى أنه ألف فيه، بحيث فرض عليهم تعليم القرآن و الحديث للصبيان في هذه المرحلة، بعد أن بين لهم أنها من أساسيات التعليم.[2]

و في المرحلة الثانية، كان على المعلمين تلقين الصبيان دروسا، تكون أكثر شمولية و أكثر تركيز و دقة، و يقصد بذلك شروح الآيات و التفاسير القرآنية، و القراءات، و فهم الحديث الشريف، و إدراك بعض الآراء الفقهية المختلفة لاختلاف مذاهبها، و غيرها من العلوم الدينية الأخرى، ثم ينتقل فيها المتعلم إلى دراسة العلوم الإنسانية و الأدبية، و بعد استيعابهما ينتقل إلى دراسة العلوم العقلية، و التي تساعده في ضبط بعض الأمور الدينية و الدنيوية[3].

و في المرحلة الثالثة، يتأهل المتعلم و ينتقل إلى درجة رفيعة، تسمح له بالقيام برحلات إلى بعض البلدان[4]، و هناك يلتقي بالعلماء و المشايخ و الفقهاء، و يأخذون العلم منهم[5]، و بعد ذلك يختصون في بعض العلوم، ثم يعدون إلى مواطنهم و ينشروا فيه العلم و يعلمونه للناس[6]، فبعضهم قصد من رحلته الفقه و القراءات و الحديث و هم أغلبهم في تلك الفترة، و البعض الآخر قصد الأدب و الشعر[7]، و قد أسهبت كتب التراجم في ذكر هؤلاء، بحيث نجد في نصوصها القول التالي:

و في أغلب كتب التراجم و الطبقات التي تناولناها نجد العبارة التالية:

---

[1] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 233.

[2] **إبن خاقان**؛ قلائد العقيان في محاسن أعيان الزمان، ط.1، مطبعة التقدم العلمية بدرب الدليل، مصر، 1320هـ، ص 197.

[3] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 233.

[4] نفسه، ص 212، و عن هذه المراحل الثلاث أنظر: ملحق رقم 2.

[5] **إبن حزم الأندلسي**، رسالة ابن حزم في التاريخ، تحقيق: إحسان عباس، ط.2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1987م، ج.2، ص 11.

[6] **عبد العزيز عتيق**، المرجع السابق، ص 153.

[7] **نفسه**، ص 153- 154.

"... العالم الفلاني، انتقل إلى المشرق و أخذ العلم من كبار مشايخها..."[1]، و إن دل على شيء، فإنه يدل على أن هذه المرحلة ساعدت في توسيع المعارف لديهم.

أما بالنسبة للمناهج التربوية، فهي أساس قائمة على العلوم الدينية و اللغوية، و ذلك ما أشار إليه العلامة ابن خلدون حين قال:"أما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن و الكتاب من حيث هو، و هذا هو الذي يراعونه في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب، و الترسل و أخذهم بقوانين اللغة العربية، و حفظها و تجويد الخط و الكتاب..."[2]، و السؤال المطروح: هل كان المتخصص بسرقسطة يتبع منهجا معينا؟.

فقد ذكر الفيلسوف ابن باجة السرقسطي[3]، الذي عاش في أيام أحمد ابن يوسف بن هود[4]، يستلزم على المتعلم اتخاذ منهج معين، و ذلك حسب السن و نوع التربية التي تتلاءم معه، و قد حدده بن باجة اعتمادا تشكيلة شخصية المتعلم، مع مراعاة المراحل التعليمية للطفل من النشأة للوفاة[5]، و لعل هذا المنهج أخذه من المغاربة، حين رحل إلى مدينة فاس و هناك انصرف إلى التدريس و التعليم و التأليف[6]، و قد نهج المدرسون بسرقسطة مضامين لهذه المراحل و المناهج، و قد اتبعوا في ذلك نهج المشارقة، فقد جمع الأندلسيون في القراءات، و اختاروا في تلاوة القرآن الكريم قراءة الإمام ورش[7]، و أما التفسير فقد انكبوا على دراسة و تعليم تفسير محمد بن جرير الطبري، أما الحديث و الفقه فقد اهتموا به كثيرا خاصة لما برز عندهم مذهب مالك[8]، و أما المناهج اللغوية فقد شملت النحو و الشعر و النثر، ففي النحو جمع أهل الأندلس

---

[1] **أنظر**: ابن بشكوال، ابن الفرضي، ابن الآبار.
[2] **إبن خلدون**، المصدر السابق، ص 557.
[3] ستأتي ترجمته في الفصل الثالث.
[4] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 335.
[5] **محمد جلوب فرحان**؛ الفكر التربوي عند ابن باجة، (مجلة دراسات أندلسية)، العددان 6 7، السنة 23، أبريل مايو 1987م، ص 69 و ما بعدها.
[6] **بلنثيا**، نفسه، نفس الصفحة.
[7] **الزبيدي: محمد بن الحسن**؛ طبقات النحويين و اللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.1، د.ط، 1954، ص 276.
[8] **عبد الرحمن الفاسي**، المرجع السابق، ص 59.

بين كتب المشارقة، كسيبوية[1] و الأصمعي[2] و اعتبروا مؤلفاتهم المنطلق الأول لعلومهم[3]. و كتبهم الخاصة التي ألفوها كالاستكمال للمؤتمن[4] و كما ألف بعضهم الكتب لهم تقربا منهم كالذي ألفه نصر بن عيسى للمؤتمن و هو يتضمن مسائل في العروض و اللغة[5]، و أما الشعر فكان أهم ما اهتم به الأندلسيون، و اعتمدوا في أشعارهم على أشعار أبي تمام و المتنبي.[6]

أما العلوم الاجتماعية، فقد انحصر منهجهم على علم التاريخ، و الذي ينقسم إلى ثلاثة أنواع، و هي التاريخ العام و التاريخ الأندلسي و تاريخ الطبقات[7]، و أما العلوم العقلية، فانحصرت في الحساب و الطب و الفلك و الكيمياء و المنطق[8].

و سنرى في الفصول القادمة تفاصيل أكثر عن هذه المناهج، و مدى تعامل السرقسطيون معها و اتجاههم فيها.

---

[1] **هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب** (ت 213هـ 828م)، أديب عربي و لغوي شهير و ناقد و صاحب مختارات شعرية. أنظر ابن خلدون، المقدمة، تح: **عبد السلام الشدادي**، ج.3، ص 377.

[2] هو عمر بن عثمان المعروف بأبي بشر (ت حوالي 169هـ 796م)، من أبرز النحويين العرب، من تلامذة الخليل و ألف كتاب في النحو قدم فيه مسائل في النحو العربي بصفة منتظمة. أنظر: ابن خلدون، نفسه، ص 210، 266،238،230، 411.

[3] **الزبيدي**، المرجع السابق، ص 878،335، ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله؛ تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، مصر، 1966م، ج.1، ص 14، 16، 68 69.

[4] **المقري**، المصدر السابق، ص 221.

[5] **إحسان عباس**؛ تاريخ الأدب الأندلسي، (عصر الطوائف و المرابطين)، ط.7، دار الثقافة، بيروت، مارس1962م، ص 76.

[6] **المقري، نفسه**، نفس الصفحة.

[7] **الزبيدي**، المصدر السابق، ص 282 و ما بعدها.

[8] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 539.

2. المؤسسات التعليمية:

أ المساجد:

كان المسجد في العصر الوسيط هو أكبر مؤسسة تجلب الناس في الجمع و الأعياد، لأنه بيت الله و أحب البيوت إليه، لذلك كان المحتسب بالأندلس يراعي قبل بنائه أن يحتل موقعا مناسبا ليسهل له تحقيق أغراضه الدينية، من أداء الصلوات و خطبة الجمعة فضلا عن أنه كان مكان التلاوة و تعلم القرآن و المناظرة[1]. و قد كانت الدراسات التي تخص تلك الفترة دينية محضة[2]، الأمر الذي جعله أكثر البناءات انتشارا، فمنذ دخول الفاتحين إليها، و هم يبنون المساجد، و في عهد موسى بن نصير تم بناء أول مسجد "الرايات" بالجزيرة الخضراءAlgeciras[3]، كما يعود الفضل إلى التابعين في تأسيس معظمها. فيذكر المقري عن ابن بشكوال، أنه دخل الأندلس مع موسى بن نصير حوالي ثمانية و عشرون رجلا[4]، من أمثال حنش بن عبد الله الضعاني، الذي ركز قبلة المسجد الجامع بقرطبة[5]، كما وضع محراب المسجد الجامع بسرقسطة[6].

أما عن طريقة التعليم في هذه المؤسسة فكانت بجلوس الأستاذ على الأرض مسندا ظهره إلى عمود أو ركن من أركان المسجد، و حوله يلتف التلاميذ في شكل حلقة محيطين به[7]، و كانت الدروس التي تقام فيه متعددة أي ليست دينية فقط، بل تنوعت بين الدينية و اللغوية، و الاجتماعية، فقد جاء عن المقري نقلا عن ابن سعيد قوله:"... فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل كانوا يقرؤون جميع

---

[1] **وليد عبد الله عبد العزيز المنيس؛** الحسبة على المدن و العمران، (الحولية 16 الرسالة 106)، مجلس النشر العلمي، الكويت، 1990- 1996م، ص 67.
[2] **ابن خلدون،** المصدر السابق، ص 557.
[3] **عبد الحميد عيسى،** المرجع السابق، ص 286.
[4] **المقري،** المصدر السابق، ص 288.
[5] **نفسه،** ص288، **عبد الحميد عيسى،** المرجع السابق، ص 268.
[6] **الحميري،** المصدر السابق، 317.
[7] **سليم أبو حويج؛** في أصالة التثقيف التربوي، الاسلامي في الفكر الإسلامي، الدار الجامعية، 1987م، ص 97.
عبد الحميد عيسى، المرجع السابق، ص 222.

العلوم في المساجد بأجرة..."[1]، إلا أن المحتسب كان من واجبه الاهتمام بنظافة و طهارة مرافق المسجد كلها كالأفنية و الطرق المتصلة به و أماكن الوضوء[2]، كما كان يأمر بتنظيفها و بالاهتمام بها[3]، كما كان يمنع رفع الصوت بداخله[4]، و هذا و قد منع البيع فيه و تلويثه أو السكن بداخله، كما يحرص على أن يباعد بين النساء و الرجال بالمسجد و خاصة في الأعياد[5] كما كان يمنع من دخول الصبيان و المجانين و السكارى لما يحدثوه من لغط و قد أجاز الأندلسيون القضاء بالمسجد.[6]

و كان يراعي توفر الشروط اللازمة في أئمة المسجد و قد بين عبد الرؤوف ذلك بقوله:"... فيستحب أن يكون قارئا فقيها فاضلا تقيا و عند جماعته مرضيا..."[7]،

و كان يشرف على مجالس الذكر، إذ لا يدع أحد يتولى هذا الأمر إلا إذا كان من أهل العلم في الأمور الشرعية، و حافظا للقرآن و السنة و أخبار الصالحين، و يمتحنه في تلك المسائل.[8]

و يتبين خلال هذا، أن المسجد كان له نظام يسير عليه، لذلك انقسمت المساجد إلى نوعين: أولها المساجد الكبرى و هي التي تشرف عليها السلطة، حيث تعين خطبائها و أئمتها، و ثانيهما: المساجد الصغرى، و هي المساجد العامة، التي لا تتدخل السلطة في شؤونها خاصة العلمية و التدريسية منها[9]. و كلاهما ساهم في نشر التعليم بين أوساط المجتمع الأندلسي على طول العهود. و كان مسجد سرقسطة أو المسجد الجامع، يستقطب الطلبة و كبار الفقهاء و العلماء من داخل و خارج البلاد.

فهذا يحي بن فرج بن يوسف الأنصاري، و يعرف بالمصري، نسبة إلى الرحلة الطويلة التي قام بها إلى المشرق عام 425هـ 1034م، و لما عاد منها أقرأ

---

[1] **المقري**، المصدر السابق، ص220.
[2] **الجرسيفي**، المصدر السابق، ص 121.
[3] **ابن الأخوة**، المصدر السابق، ص 172.
[4] **ابن عبدون**، المصدر السابق، ص 23.
[5] **ابن عبد الرؤوف**، المصدر السابق، ص 73- 74.
[6] **الغزالي**، المصدر السابق، ص 86.
[7] **ابن عبد الرؤوف**، المصدر السابق، ص 71- 72.
[8] **ابن الأخوة**، المصدر السابق، ص 172.
[9] **سليم أبو حويج**، المرجع السابق، ص 321، **محمد عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 194- 276.

الناس بجامعها و يعلم الناس القرآن و الحديث[1]. و كان الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله[2] أحد الفقهاء المعظمين عن أحمد بن يوسف بن هود، و يكنى: أبا عبد الله، و بعد وفاة الأمير أحمد انتقل إلى إشبيلية و أخذ يقرأ الناس بجامعها[3]، كما كان إبراهيم بن دخنيل[4]، لغويا و نحويا فريدا يعلم ذلك في بلده سرقسطة، و أقرأ الناس بجامعها، و كان حسن التلقين و له خبرة جيدة في التعليم[5].

و في عهد المقتدر بالله، اقرأ بمسجد سرقسطة، المقرئ الحسن بن محمد بن مبشر الأنصاري[6]، و اتخذه المقتدر إماما بالجامع[7].

أما عن تعليم المرأة في الأندلس، فكانوا يبعثون بالفتيات إلى المدارس الأولية منذ الصغر، لكي يتعلمن نفس المواد التي تدرس للصبيان عادة، و بعضهن فيما بعد كن يواصلن التعليم العالي، و يحصلن على نفس الإيجازات التي يحصل عليها الرجال عادة، و بعضهن يدرسن الفقه و القراءات، و السنة[8]، و كان لبعض النساء مشاركة لبعض القراءات من أمثالهن المقرئة ريحانة التي أخذت علومها عن العلامة أبي عمرو الداني[9]، و أنها قرأت عليه القراءات السبع و طالبته بالإجازة فامتنع ثم قرأت خارج القراءات السبعة فأجازها[10]. و هذه الدراسات كان بعضها يؤهل صاحبه لأن يحترف التعليم، و يمارسه كمهنة نبيلة، و أخريات يدرسن الدب و مواد أخرى يمكن أن تنفعهن أحيانا لكي يتبوأن مناصب في ديوان الكتابة الملكية، إذن كانت خطوطهن جميلة، أو يجدن التحرير، و لم يكن عدد اللائي تميزن كشاعرات و أدبيات قليلة، و لم يقف نشاطهن عند حد الدراسة في إسبانيا فحسب، و إنما رحلن إلى الخارج ليدرسن، و عادة

---

[1] **إبن بشكوال؛** الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1410هـ 1989، ج3، ص 96.

[2] بقي يقرأ الناس بجامعها حتى توفي عام 500هـ/1106م.

[3] **إبن بشكوال،** نفسه، 84.

[4] توفي سنة 470هـ/1077م.

[5] **إبن بشكوال؛** الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1989، ج.1، ص 160.

[6] توفي عام 473هـ/1080م.

[7] **نفسه،** ص 232 233.

[8] خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية،.....، ص 62.

[9] سنترجم له في الفصل الأول.

[10] الضبي، المصدر السابق، ص 411 413.

كن يذهبن برفقة ولي أمرهن لاسيما عندما يكون هؤلاء يرحلون إلى المشرق لأداء فريضة الحج، و كان بعض النساء حققن امتيازا في كل الدراسات التي اختص بها الرجال، فتميز بعضهن في علم التوحيد، إلا أنهن عامة اتجهن إلى تلك المواد التي اعتقدن أنها أكثر مناسبة لهن، و تجعل من المرأة أكثر لطفا كالأدب ، و الشعر، و الموسيقى.[1]

ب الكتـــاتيـــب:

المكتب[2]، و هذه المؤسسة عادة تقام بجوار المساجد، و كان السبب في إنشائها، هو المحافظة على نظافة المساجد، لأن الصغار عادة ما ينجسون أنفسهم عند الخوف أو التأديب[3]، و على ما يبدو أن الكتاتيب كان يطلق عليها أيضا اسم السقائف في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي التي خصصت للذكر و الوعظ[4].

نستبين من كلام الونشريسي أن هذه الكتاتيب كانت تخضع لإشراف الحكومة، بحيث يمنع على الوعاظ من التأويلات الباطلة[5]، و كان المحتسب يشرف على المؤدبين، و كانت الدولة تعينهم و تختارهم بعناية، و تحدد لهم المناهج التعليمية، بتعليم الصبيان القرآن و الخط، و كان يوضع لهم نظام خاص في تأديب الصغار، بحيث يلزم على المؤدب عدم إيذاء الصغار، فلم يجزم ابن عبدون له أن يضرب الصبي إلا بخمس أسواط للكبير و ثلاث للصغير[6]. و قد استبين ابن الجزار السرقسطي[7] ضرورة تأديب الصبيان منذ صغرهم[8]، و الدلائل كثيرة على قيام أهل سرقسطة بتعليم القرآن لأولادهم في المكتب، منها وصية ابن هود، الذي حكم شرق

---

[1] خوليان ريبيرا، نفسه، ص 62 و ما بعدها.

[2] كلمة تطلق على المكان الذي يتعلم فيه الصبيان، و جمعه مكاتب أو كتاتيب، و الذي يتولى التعليم بها يسمى **بالمكتب** أو **المزجل**، و عادة يطلق عليه **المعلم** أو **المؤدب. أنظر: أحمد شلبي**؛ تاريخ التربية الإسلامية، ط.4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1973م، ص 44 49، **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 217.

[3] **إبن عبدون**، المصدر السابق، ص 25 26.

[4] **نفسه**، ص 22.

[5] **الونشريسي، أحمد بن يحي**؛ الولايات و مناصب الحكومة الإسلامية و الخطط الشرعية، نشر و تعليق: محمد الأمين بلغيث، مطبعة لا فوميك، الجزائر، د.ت، ص 30.

[6] **إبن عبدون**، المصدر السابق، ص 25 27.

[7] توفي عام 390هـ/1004م.

[8] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 224 225.

الأندلس من 625هـ 635هـ/1228- 1237م، إلى أخيه يقول:"و مروهم بأن يعلموا أولادهم كتاب الله تعالى، فإن تعليمه للصغار يطفئ غضب الرب"[1]، و هذا ما يدل أن الكتاتيب كانت من المؤسسات البارزة خلال عهد بني هود الذين أخذوا يوصون الأجيال بها.

أما طريقة التعليم في المكتب، فكانت من العادة أن يقوم المعلم بقراءة آية من آيات القرآن، ثم يقوم الطفل بترديدها حتى يحفظها، ثم ينتقل إلى آية أخرى و هكذا، و عندما ينتقل الصبي من جزء لآخر، كان عليه أن يقرأ لمعلمه ما قد سبق و تعلمه، و هكذا يمضي الصبي من جزء لآخر حتى يتم حفظ القرآن، و يمكن لنا أن نتبين في هذه المسألة خطوتين رئيسيتين:

أولاهما: التلقين، و هو الجزء الجديد، و يقرأ المعلم للطفل الذي يقوم بالترديد خلف المعلم، حتى يعرف القراءة السليمة.

ثانيا: الاستظهار، و هو مراجعة ما كان الطفل قد تعلمه من قبل، و ذلك بعد أن يخصص المعلم للطفل وقتا يستمع منه فيه إلى جزء مما قد حفظه الصبي. و أيام التعليم خمسة و هي: السبت و الأحد و الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء و صبيحة الخميس، و أما أيام الراحة نصف يوم الخميس و طول يوم الجمعة عطلة للراحة، و بالإضافة إلى أيام عيد الفطر ثلاثة و أيام عيد الأضحى الخمسة و بعض أيام المناسبات العامة.[2]

و يبدو من خلال ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، أن منصب الحسبة له علاقة وطيدة بالقضاء[3]، و إن دل على شيء إنما يدل على أن القضاة كانوا يتدخلون في بعض المظاهر التعليمية العلمية، بما فيها الكتاتيب التي كانت خاضعة لإشراف المحتسب[4].

و على العموم فليس من غرض هذا البحث التأريخ للمكتب في الأندلس، بل في مساهمته في تعليم الصبيان القراءة و الكتابة، و القرآن، و القرآن الكريم، و ترسيخها

---

[1] **نفسه**، ص 237.
[2] **نفسه**، ص 241- 245.
[3] **إبن عبدون**، المصدر السابق، ص 20.
[4] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 205.

في أذهانهم. و إن دل ذلك على شيء فإنه يدل على مساهمة الكتاتيب في تطوير الحياة الفكرية.

جـ بلاط الحكام و تشجيعهم للعلماء:

ساهمت بلاطات أمراء الطوائف مساهمة كبيرة في إثراء الحياة الفكرية بالأندلس[1]، إذ أصبحت أماكن مخصصة للاجتماعات و المناظرات الأدبية و الثقافية، و مكانا لالتقاء الطلاب و العلماء من جميع المناطق[2]، هذا ناهيك أن عصرهم عرف موجة من النبوغ الفكري و الازدهار الثقافي، و قد أثر التنافس بين ملوك الطوائف لإظهار عواصمهم كمراكز حضارية في تشجيع الثقافة[3]، و أصبح كل منهم يتباهى بما عنده من علماء و فقهاء و شعراء[4]، و ذكر إحسان عباس عن أبي الوليد الشقندي الذي أسرف في الثناء على ملوك الطوائف بقوله:"ما كان أعظم مباهاتهم إلا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني، و الشاعر الفلاني المختص بالملك الفلاني، و قد سمعت ما كان من الفتيان العامرية: مجاهد و منذر و خيران، و سمعت عن الملوك العربية: بنو عباد و بنو صمادح و بنو الأفطس و بنو ذي النون و بنو هود، كل منهم قد خلد فيه من الأمداح ما لو مدح به لصار من الصّالح، و لا تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادي النواسم بين الرياض، و تفتك في أموالهم فتكة البراص"[5]، بحيث كانوا أمراء بنو هود يمنحون لهم العطايا و المال الكثير، و تشجيعهم بمواصلة إنتاجهم الفكري[6]، ضف إلى ذلك التسامح الديني الذي منحه هؤلاء الأمراء لأهل الذمة، فتكلم فيها أصحاب الآراء بدون خشية[7]، إذ يظهر من خلال المصادر الأندلسية أنهم تمتعوا بحرية كبيرة خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[8]، فبرز في بلاطهم الأطباء و

---

[1] **مروان سليم أبو حويج**، المرجع السابق، ص 364.
[2] **ليفي بروفنسال**، المرجع السابق، ص 20.
[3] **ابن حزم**، طوق الحمامة، المصدر السابق، ص 15 16.
[4] **ابن حزم، ابن سعيد الشقندي**، فضائل الأندلس و أهلها، تقديم: صلاح الدين المنجد، ط.1، دار الكتاب الجديد، بيروت، المرجع السابق، ص 78.
[5] **إحسان عباس**، المرجع السابق، ص 31.
[6] **القفطي**، المصدر السابق، ص 162، صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص 172.
[7] **القفطي**، نفسه، ص 162، 163.
[8] **إبن عبدون**، المصدر السابق، ص48.

الفلاسفة و الأدباء من اليهود، و من أشهرهم منجم بن القوال الذي كان من رواد الفلسفة[1] و سليمان بن يحي المعروف بابن جبير[2]، و أبا الفضل بن حسداي و كان موسيقيا كبيرا، و نتيجة للحرية التي منحها أمراء بنو هود، ظهرت الاتجاهات المختلفة، و ما يدل على ذلك دخول رسائل أخوان الصفا إلى سرقسطة، في عهد أميرها المقتدر بالله، و قد أدخلها الفيلسوف الكرماني[3] لما عاد من بلاد المشرق، و هي في صميمها تحمل أفكار فلسفية أفلاطونية[4]، و هكذا انتهت عليهم المضايقات التي كانت في عهد الخليفة العامري، الذي كان من الأشداء على هؤلاء الفلاسفة و المناطقة[5].

و كان المقتدر حريصا على أن يحيط مجلسه بنخبة بارزة من العلماء و الفلاسفة، و تذكر المصادر أن أبا الوليد الباجي لما عاد من رحلته بالمشرق، سارع باستدعائه إلى بلاطه ليكرمه و يستضيفه أحسن استضافة، و هناك واصل تأليفه و نشر علمه، و كان المقتدر يفتخر و يتباهى به على ملوك عصره[6]. كما وفد على بلاط المؤتمن بن هود الشاعر ابن عمار و التجأ إليه شاعرا قبال الدولة أبي قاسم بن خيرون[7]، و الشاعر ابن الحداد الذي كان من شعراء بني صمادح[8].

و من الواضح أن هؤلاء العلماء و الشعراء لم يلجئوا إلى بلاطهم عن غير قصد، و بدون شك توفرت لديهم الراحة و الأمان، أين استطاعوا مواصلة أعمالهم.

د المكتبات و الكتب:

من بين الكتابات المتعددة التي استخدمتها شعوب العالم من الصعب أن نجد كتابة تستخدم الحروف سهلة الذيوع كتلك التي استخدمها العرب، لأن بساطة تكوين الحروف في أشكال بسيطة يجعل الوقت الذي نحتاجه في نسخ صفحة قصير

---

[1] **بلنثيا**، المرجع السابق، 493، 494.
[2] **صاعد الأندلسي**، المصدر السابق، ص 205.
[3] سنترجم لهذه الشخصيات في الفصل الثالث.
[4] **نفسه**، ص 172.
[5] **القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي**، صبح الأعشى في صناعة الانشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، د.ت، ج.13، ص 8 10.
[6] **البشري**، المصدر السابق، ص 136.
[7] **ابن سعيد المغربي**، المصدر السابق، ص 419.
[8] **إبن بسام شنتريني؛** الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1398هـ 1978، القسم الأول، المجلد الأول، ص 691؛ أنظر: **PERES,** (Henri), op.cit, p.4-6

على عكس الوقت الذي تحتاجه الكتابات باللغة اللاتينية. كما أن صناعة الورق و توفره، و رخص ثمنه بالنسبة لورق البردى، جعل ثمن الكتب رخيصا و الحصول عليها ممكنا لكل الطبقات، و في الوقت نفسه وجدت مهنة الوراقة[1] مجالا عريضا للانتشار و الازدهار، و طريقة الحياة عند الشعوب الإسلامية فيها غياب للمؤسسات و العادات التي نجدها عند الشعوب ذات النظم المتقدمة جدا، جعل من الكتاب وسيلتهم الرئيسية للتربية، مما جعلهم يفوقون الجميع، بما فيهم الإغريق و الرومان في الكتابة و سبقوهم في إعداد الكتب، و لم تكد الحركة الثقافية تأخذ طريقها بين الأسبان المسلمين حتى أصبح الكتاب موضع التقدير و الإعجاب، و يكفي أن نستذل ذلك بهؤلاء العلماء العائدين أن يحملون معهم كتابا جديدا، حتى يصبح محط الإعجاب و التقدير من مواطنيه، و كان الأندلسيون يتنافسون في أن تكون لهم مكتبات خاصة[2]، و مع فتنة البربر، بيعت الكتب بثمن رخيص، و انتهى الحال بأعظم المكتبات بأيدي عشاق الكتب، و هو ما حدث بمكتبة الحكم الثاني[3] وانتهى بها المطاف إلى خزائن هواة الكتب و مكتبات عديدة غنية وتجارة وراقة مزدهرة كما أقيمت المكتبات في المدارس والمساجد و كانت مكتبات المساجد تمتلئ بالكتب الغالية منها كتب الفقه و وعلم الكلام وكانت تقل فيها كتب الشعر وكتب العلم القديم الدراسات الإغريقية و كانت نادرة جدا في المكتبات الخاصة و إذا كان الإسبان قد ساروا في هذا على خطى أهل المشرق فيمكن أن نستنتج بان الطلاب تم يكونوا ينفقون في شراء الكتب فلسا واحدا لأنها تتوفر بكثرة في المكتبات[4]، و كانت سرقسطة من أشهر مدن الأندلس في جمع الكتب، تلك

---

[1] اعتنى القدماء بالدواوين العلمية و نسخها و تجليدها و تصحيحها بالرواية و الضبط بسبب اتساع وظائف الدولة الإسلامية، فكثرت التواليف العلمية فانتسخت و جلدت، و جاءت صناعة الوراقين المختصين في انتساخ و التصحيح و سائر أمور الكتب و الدواوين، و انتشرت بلأندلس التي كانت الدواوين فيها في غاية اتقان و الإحكام و الصحة. أنظر: ابن خلدون عبد الرحمن؛ المقدمة، تح: عبد السلام الشدادي، وزارة الثقافة المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ، الجزائر، 2006م، ج.2، ص 321 322.

[2] **خوليان ربيرا؛** التربية الإسلامية في الأندلس، (أصولها المشرقية و تأثيرها الغربية)، ترجمة: أحمد مكي، ط.2، دار المعارف، القاهرة، 1994م، ص 54 و مابعدها.

[3] يلقب بالمستنصر، كان محبا للعلوم، مكرما لأهلها، جماعا للكتب في أنواعها، و كان أصابه الفالج فلزم الفراش إلى أن توفي عام 366هـ/977م. انظر: المقري، المصدر السابق، ص 394.

[3] خوليان ربيرا، ص 57.

الهواية التي كانت مسيطرة على الأذهان، و أبلغ دليل على ذلك ما فعلته أسرة بني هود[1]، و كان من بين أفرادها، المؤتمن بن هود الذي ارتبط إسمه بالكتاب الذي ألفه في الرياضيات "الاستكمال و المناظر"[2]، و المستعين الذي لا يقل عنه في هذا الشأن و الذي أهدى إليه ابن بكلارش كتابه المشهور عن الأعشاب الطبية المسمى على كنيته "المستعين"، و الذي كان الحصول على نسخة منه افتخار لدى المكتبات الأوروبية[3].
كما برزت أسرة ابن الصغير السرقسطي المعروفة بجمع الكتب، بحيث استطاعت أن تنشأ مكتبة عظيمة، و التي كانت تضم أروع المصنفات و المؤلفات[4]، و كان للمؤتمن مكتبة عظيمة ببلاطه تضم الكتب القيمة منها الطبية و الرياضية و أخرى في المنطق و الفلك و غيرها من العلوم العقلية، ككتاب إقليدس في "الأصول" و كتاب أرخميدس في "الكرة و الأسطوانة"، ضف إلى الرسائل القيمة كالتي صنفها ثابت قرة و رسائل الكرماني.[5] وكان المقتدر فضلا عن قدرته السياسية و العسكرية يتمتع بكثير من الصفات البديعة، فقد كان أميرا عظيما يحيط نفسه بجو من المهابة والروعة وكان بلاطه من أعظم قصور الطوائف، وكان يحيط نفسه بطائفة من أشهر العلماء والكتاب في عصره و من هؤلاء وزيره أبو المطرف بن الدباغ ووزيره الكاتب اليهودي المسلم ابن حسداي وكنا كلاهما من أعلام عصره في البلاغة و الأدب[6]. و لكن عندما أخذ الشغف بالكتب الذي كان قد وصل إلى درجة عظيمة بين المدن الأندلسية، يتطور في سرقسطة كان الملك ألفونسو قد فتحها. و مع ذلك فقد بقيت بها ذكرى بعض الوراقين من قلعة أيوب و سرقسطة، و اضطر هؤلاء الوراقين إلى الهجرة، من أمثال

---

[1] **خوليان ربيرا**، المرجع السابق، ص 83.
[2] **ابن خلدون**، العبر، المصدر السابق، ص 163.
[3] **خوليان ربيرا**، نفس المرجع، ص 84.
[4] نفسه، ص 185.
[5] **Hogendik Jan.P,** le roi géomètre al-Mu'taman ibn Hud et son livre de la perfection(Kitab al-Istikmal) premier colloque international d'Alger sur l'histoire des Mathématiques arabes 1-3 décembre 1986. Alger. La maison du livre, 1988, PP :53-66. A.**Djebbar, Ahmed**, La Contribution Mathématique d'al-mu'taman et son Influence au Maghreb, colloque maghrébin, de Bayt-Al Hikma sur patrimoine arabe, 1986, p. 22-49.
[6] عنان، المرجع السابق، ص 283.

عبد الله بن محمد بن سندور بن منتبل بن مروان التجيبي[1]، و يكنى: أبا محمد، و كان جماعا للكتب و الدواوين، و منهم من هاجر إلى بلنسية للإقامة فيها أسرة "سيداراي" و هناك أسست دكانها بعد هربها من قلعة أيوب، و إلى بلنسية ذهب الوراق[2] السرقسطي الشهير محمد بن عبد الله بن أبي يحي بن محمد بن مطروح التجيبي[3]، و انتقلت إليها أسرة ابن الصغير، و كان أحد أفراد هذه الأسرة و هو أحمد ابن الصغير أن يصبح نساخا ماهرا و كان جماعا للمخطوطات و الكتب، و قد عين فيما بعد للمكتبة الملكية في عهد الموحدين[4]، و من أسرة "سيداري"، برز الوراق محمد بن سليمان بن سيداري بن الكلابي أصله من قلعة أيوب، و يعرف بالقلعي، و يكنى: أبا عبد الله، فتح له دكانا يضم أروع الكتب، و اشتهر بجمع الكتب و القصص التاريخية إلى غير ذلك[5]. و ممن اشتهروا بانتقاء الكتب و الدواوين و الكراسات[6] سليمان بن عبد الملك بن روبيل بن إبراهيم بن عبد الله العبدري، و يكنى: أبا الوليد[7]. و كان المؤتمن يشجع حركة التأليف، و قد ألف له نصر بن عيسى بن نصر[8] كتابا في "العروض"، و كان هذا المؤلف بعلاقة مع علم الموسيقى[9]، كما كان ابن حسداي من كتابه العظماء[10].

و لا شك أن كتبا كثيرة قد فقدت بسبب الظروف السيئة، مثل ما حدث في عهد المنصور أبي عامر الذي أمر بحرق كتب ابن فتحون السرقسطي[11]، و بعض الكتب المتعلقة بالفلسفة و الكيمياء و المنطق[12]، و كان الأسبان يحرقون المخطوطات العربية طول عدة قرون، و كانوا يتخذون من ذلك احتفالا شعبيا عظيما، لمنع انتشار مذاهب خطيرة أو إلحادية تعارض معتقداتهم، خاصة لما توطدت أركان المذهب المالكي فيها،

---

[1] وافته المنية عام 500هـ 1106م
[2] **خوليان ريبيرا**؛ المكتبات و هواة الكتب، المرجع السابق، ص 84.
[3] توفي عام 606هـ 1209م
[4] **نفسه، ص** 84.
[5] **نفسه**، ص 84 85.
[6] **نفسه، ص** 86.
[7] توفي سنة 530هـ 1136م.
[8] لم نجد له ترجمة.
[9] **إحسان عباس**، المرجع السابق، ص 31.
[10] **المقري**، المصدر السابق، ص 663.
[11] **الجيوسي**، المرجع السابق، ص 1083.
[12] **الشقندي**، المصدر السابق، ص 10 11.

كما حدث مع ابن مسرة الفيلسوف، لما أصدر الفقهاء الحكم بأن تحرق كتبه و كان بدافع إرضاء الشعب و التقرب إلى الحكام[1]، كما نقلت إلى المغرب كتب إسبانية في عصور الاضطراب، فبعد الفتنة هرب الكثير من العلماء إلى فـاس، و حملوا عند عودتهم إلى أوطانهم ما كانوا قد جمعوه من كتب هامة[2].

و يذكر المستشرق خوليان ربيرا، أنه أجريت دراسات حديثة حول المكتبات التي كانت بحوزة أمراء سرقسطة لذلك العهد، و التي كانت كثيرة، و أجريت لها مقارنة بالمكتبات الموجودة خلال القرن التاسع عشر، فوصلوا إلى نتيجة مؤسفة بحيث أن معظمها اندثر و يشير أن عددها وصل إلى أربع مكتبات فقط[3].

و لعل السبب يرجع إلى اختراع المطبعة و الاستغناء على النسخ القديمة و الوراقين.

و قد لوحظ أن العلماء و السياسيين كانوا يلتجئون إلى الولايات الأكثر أمان كلما تقدمت حركة الاسترداد، و لذا كانت غرناطةGranada[4]، المكان الذي أقام فيه الكثير منهم، باعتبارها آخر إمارة تسقط بأيدي النصارى.

هـ تعدد المراكز الثقافية:

تعرضت الأندلس لفترة من التمزق السياسي، و ذلك بانقسامها إلى وحدات صغيرة[5]، و تعتبر هذه الفترة من أسوأ عهود الأندلس سياسيا، و لكنها على العكس من ذلك، كانت فترة ثقافية فكرية لم يشهد لها مثيل، و أصبح أمراء الطوائف يسعون لإظهار عواصمهم كمراكز حضارية، و ذلك بتشجيع الثقافة فيها[6].

فازدهرت في إشبيلية العلوم الأدبية خاصة الشعر على أيام المعتمد بن عباد، الذي اتخذ من وزرائه و كتابه من الشعراء[7]، و اشتهر مجاهد العامري بالعلوم الدينية

---

[1] **خوليان ربيرا**، المرجع السابق، ص 95.
[2] **نفسه**، ص 93.
[3] **نفسه**، ص 73.
[4]
[5] **ابن الخطيب**، المصدر السابق، ص 152- 157، **المقري**، المصدر السابق، ص438- 440.
[6] **ابن حزم، طوق** الحمامة، المصدر السابق، ص 15- 16.
[7] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 168.

و خاصة القراءات فبرز فيها أكبر القراء و هو أبو عمرو الداني[1]، أما في دولة بني الأفطس أمراء بطليوس، فكانت مملكتهم ملجأ للأدباء و البلغاء و النحويين، و المظفر منهم هو صاحب التأليف المشهور "بالمظفري"، في نحو الخمسين مجلدا[2].

و ازدهرت الحياة الأدبية و العلمية بسرقسطة، أيام بني هود، و لقد برز في تلك الفترة، عدد كبير من العلماء و الأدباء و الفقهاء و الشعراء، و كان الميل العقلي أغلب على بلاطهم، و كان أمرائها في حد ذاتهم شغوفين بالعلوم الرياضية و الفلسفية، أذكر منهم على سبيل المثال المقتدر بالله و ابنه المؤتمن بالله[3].

هذا فضلا عن عدة دويلات أخرى لا يسعنا ذكرها، و هو ما يفسر من أن هذا العهد ما كان إلا مرحلة من الازدهار الفكري، فتح فيها المجال لظهور العلوم المختلفة و التي لاقت رواجا كبيرا في بلاطاتهم.

و الرُّبط:

لقد استطاعت الرباطات[4]، أن تساهم في تنوير الحركة الفكرية بالأندلس، و كانت تقام عادة بأماكن بعيدة عن العمران، للدفاع عن الحدود[5]، و قد انتشرت منذ دخول المسلمين إليها، فإن أول رباط عسكري عرفته السواحل الأندلسية قصده المتطوعة، و الزهاد لحماية الثغور البحرية يعود إلى أيام النورمان[6]، و شاع أمرها في عهد الولاة، و الإشارة الأولى التي وردت عن الرباطات، ذكرها المقري، حيث أكد أنه لما ولّى عقبة بن حجاج السّلولي الأندلس خمسة أعوام، اتخذ هذا الوالي رباطا لتمركز عملياته الجهادية، و الذي كان على حدود أربونة، و لكن هذا لا يعني أن هذه الرباطات اتخذت أماكن للجهاد و الحماية، بل تذكر المصادر أنها كانت تستخدم للتعليم

---

[1] **الذهبي**، المصدر السابق، ص286، **عبد الحميد عيسى**، نفس المرجع، ص 289.
[2] **المقري**، المصدر السابق، ص 442.
[3] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 163، المقري، المصدر السابق، ص 441.
[4] **رباط** جمعها أربطة، و رباطات و ربط، و هي لفظة تعني في الأصل إعداد الخيل و ربطها و ملازمة ثغر العدو، و يقام عادة في نقطة معينة عن الحدود أو الثغور. أنظر: **محمد الأمين بلغيث**؛ الرُبط بالمغرب الإسلامي و دورها في عصر المرابطين و الموحدين، (رسالة ماجستير)، معهد التاريخ، الجزائر، **1406هـ 1407هـ/1886 1987م**، ص 34 37.
[5] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 279.
[6] إبن حيان، المصدر السابق، ص 24.

و تحفيظ القرآن الكريم[1]، لذا كان طابع هذه المؤسسة مزدوج أوله ديني و ثانيه عسكري[2]. و في عهد الخلافة الأموية انقسمت الأندلس إلى ثلاثة ثغور[3]، و هي: الثغر الأدنى بالجهة الغربية، و الثغر الأوسط بالجهة الشمالية، و الثغر الأعلى بالجهة الشمالية الشرقية بولاية سرقسطة[4]. كما وجدت هذه المؤسسات على عهد ملوك الطوائف، فيذكر ابن خاقان، أن المعتمد بن عباد كانت في عهده رباطات و ثغور[5]، و كما ذكرنا سابقا أن سرقسطة كانت قاعدة للثغر الأعلى[6]، و كان الأمراء الأمويون يعتمدون عليها لحماية ملكهم من خطر النصارى، كما كانت مقصد للعلماء و القضاة الذين فضلوا المرابطة و الجهاد في منطقة الثغر الأعلى و من هؤلاء القاضي فرج بن كنانة الذي كان قاضيا على قرطبة[7]، و كما دلت المصادر على وجود الرباطات في عهد المستعين بالله بن هود، و هذا ما أشار إليه ابن الخطيب بقوله: " و قام بأمر الثغور إلى هذا العهد المستعين بالله أحمد بن هود، و في سنة 489هـ نازل العدو مدينة وشقة من عمالة المستعين و ضيقوا بها، و حشد المستعين جيوشا من المسلمين و حملت إليها المسيرة و التقى الفريقان و وقعت الحروب[8]"، و كانت الرباطات أماكن جهادية و نشر للإسلام، لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[9].

كما كانت الأربطة منتشرة بسرقسطة أكثر من غيرها، باعتبارها قاعدة لانطلاق حملاتهم الحربية الجهادية[10]، و يعود انتشارها في هذه الفترة إلى تزايد حركة العدو

---

[1] **الفيومي**، المرجع السابق، ص 15.
[2] **محمد الأمين بلغيث**، المرجع السابق، ص 35.
[3] **الثغور** هو المكان الذي يُخاف منه هجوم العدو، ليكون الحد بين المتعادين، و ثَغَرَ عليهم أي سعد عليهم تلم الجبل، أنظر: المنجد في اللغة و الإعلام، ط.22، دار المشرق، بيروت، 1960، ص 70.
[4] **محمد الأمن بلغيث، المرجع السابق، ص 156- 161، أنظر: الخريطة رقم: 1.**
[5] **ابن خاقان**، المصدر السابق، ص 4.
[6] **الحميري**، المصدر السابق، ص 317.
[7] **الخشني، أبو عبد الله بن حارث؛** قضاة قرطبة و علماء إفريقية، د.ط، القاهرة، 1372هـ، ص 64.
[8] **ابن الخطيب**، المصدر السابق، ص 172.
[9] **سورة آل عمران**، آية رقم: 200.
[10] **السامرائي**، المرجع السابق، ص 158- 159.

للاستيلاء على المناطق الشمالية و الشرقية[1]، و يشير المقري، أن فكرة العزلة و التصوف الذي اتخذه بعض العلماء و الفقهاء كان نتيجة لما آلت إليه الأوضاع في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي و انغماس أمرائها بحياة الترف و البذخ، فالتجئوا إلى هذه الأماكن لنشر مبادئهم[2].

لذلك كان التعليم بهذه الأماكن بالشبه الديني التصوفي[3]، و من هؤلاء نجد الشاعر و الأديب عبد الرحمن بن شاطر، الذي فضل حياة الانزواء، و الانقباض بعيدا عن قصور الأمراء[4]، و ابن العسال الذي عارض حياة أمراء بني هود و فضل أن يعزل نفسه[5].

ي الـرحـلات:

يعتبر المشرق المنطلق الأول لقيام الحركة الفكرية بالأندلس[6]، فتذكر المصادر أنه لما سقط حكم الأمويين بالمشرق، و عقدت البيعة لبني العباس[7]، طرد الكثير من طبقات العلماء و الفقهاء و الأدباء الذين كانوا يؤيدون حكم بني أميّة، ففي عهد عبد الرحمن الداخل فتحت الأندلس أبوابها على مصراعيه أمام هؤلاء الفارين، بكل ما يحملونه من علوم و من حياة اجتماعية و مستوى ثقافي، وقد قدم هؤلاء زادا جديدا للثقافة و الحياة العلمية على أرضها[8]. و ضف إلى ذلك العامل السياسي، و المتمثل في النفور التقليدي للأمويين من العباسيين بالمشرق و الذين كانوا على المذهب الحنفي، هذا و كان الإمام مالك يميل للأمويين خاصة الإمام هشام بن عبد الرحمن، و على

---

[1] **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص 12- 13.

[2] **المقري، أحمد بن محمد**؛ أزهار الرياض في أخبار عياض، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكو و دولة الإمارات العربية المتحدة، الرباط، 1398هـ 1978م، ج.3، ص317.

[3] **ابن بشكوال**، الصلة، تحقيق:**إبراهيم الأبياري**، ج.2، ص 510- 511.

[4] **نفسه**، ص 510.

[5] **الحميري**، المصدر السابق، ص 90- 91.

[6] **ألبير حبيب مطلق**؛ الحركة اللغوية في الأندلس، (من الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف)، المكتبة العصرية، بيروت، 1967م، ص 261.

[7] **ابن الخطيب**، المصدر السابق، ص 7،8، **ابن القوطية**؛ تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق و تعليق: **إسماعيل العربي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 34- 37، **ابن عذارى المراكشي**، البيان المغرب العربي في أخبار المغرب، مكتبة صادر، بيروت، 1950م، ج.1، ص 70.

[8] **محمد عبد الحميد**، المرجع السابق، ص 77- 78.

العكس لم يكن راض على سياسة العباسيين. و هذا ما جعل الأمويون بالأندلس يقلدون المناصب الرسمية بالدولة لفقهاء المالكية[1].

و لما اضطرمت الفتنة في الأندلس عقب مصرع عبد الرحمن شنجول بن المنصور بن أبي عامر[2]، و ما ترتب على ذلك من انهيار الخلافة الأموية، و تفكك الوحدة السياسية في الأندلس، و بروز ممالك الطوائف[3]، توزع العلماء و الفقهاء بمختلف حواضرها، بما فيها سرقسطة، فتذكر المصادر أن أميرها المقتدر بالله، استطاع أن يجلب العديد منهم إلى بلاطه[4]، و تقدمت الدراسات على عهده تقدما كبيرا، و زادت الرحلات من المشرق من الذين أتموا تعليمهم الأولي في الأندلس، وكثر اتصال الأندلسيين بالمشارقة أثناء رحلاتهم للحج و طلب العلم و عاد هدا الاتصال عليهم بفوائد جمة فاتسعت معارفهم في الفقه و اللغة وسمعوا الدروس في حلقات يتحدث فيها كبار شيوخ المذاهب المشهورة و تأصلت العلاقات بين شيوخ الأندلس و شيوخ المشرق و كان الكثيرون منهم يقولون بمذاهب أكثر حرية من المذهب المالكي، و كذلك وفد على الأندلس من فقهاء المشرق و علماءه نفر تكلموا بين أهله في هذه الآراء[5]، و ظهرت في مجالس التعليم بالمشرق أسماء طلبة من سرقسطة في تلك الفترة، خرجوا أساسا للعلم و لأداء فريضة الحج، و هناك احتكوا بطبقات العلماء و كبار الفقهاء و المشايخ في المدن التي مروا بها، و لاتصالهم الحثيث بهذه الطبقات، نمت لديهم روح علمية واسعة، و استطاعوا تأليف كتب كثيرة، و أثناء عودتهم إلى مواطنهم يحملون معهم العلوم التي درسوها و تعلموها، و يجلبون معهم الكتب التي ألفوها و التي ألفها غيرهم من بلاد المشرق[6]. و من هؤلاء الوافدين على بلاط

---

[1] سيأتي الحديث بتفصيل عن المذهب المالكي في الفصل الأول.

[2] تلقب بالناصر لدين الله، و قيل: بالمأمون، و جرى على سنن أبيه المنصور في الملك، قتل بقرطبة عام 399هـ/1007م. أنظر: المقري، المصدر السابق، ص 424.

[3] **المقري**، المصدر السابق، ص 438، **أحمد أمين**، المرجع السابق، ص 129- 130.

[4] **البشري**، المرجع السابق، ص 136.

[5] بلنثيا، المرجع السابق، ص 324.

[6] **محمد عبد الحميد**، المرجع السابق، ص 79.

بني هود العالم الكرماني، و أبو الوليد الباجي الذي عاد من رحلته الطويلة، و التي دامت سنين عدّة، حاملا علوم دينية و فقهية[1].

ضف إلى ذلك وفود المشارقة إلى بلاد الأندلس، أمثال زرياب الذي أسس مدرسة الموسيقى[2]، و غيرهم من الذين كانوا يقتنون مختلف العلوم، فبعضهم قصد من رحلته الفقه و علوم القرآن و الحديث، و منهم من مارس علم الكلام و الفلسفة، و منهم من مال إلى الأدب و الشعر، و آخرون اهتموا بالأمور السياسية كأبي بكر الطرطوشي صاحب كتاب "سراج الملوك"[3].

و قد ساهمت الدولة و الخلفاء الأمويين، في الترحيب بالعلماء المشارقة الذين هاجروا إلى الأندلس، و ذلك منذ الفتح الإسلامي، كما سمحوا برحلات الأندلسيين إلى المشرق بالرغم من الأوضاع السياسية و الاجتماعية، و هذا ما يدل أن هؤلاء وجدوا التشجيع الكامل من طرف الحكام، و هذا ما شجع تكثيف الرحلات، التي زادت في بلورة الحياة العلمية بالأندلس على مدى السنين[4].

فيذكر ابن خلدون فضل الرحلة في طلب العلم و لقاء المشايخ يزيد من كمال في التعليم و رسوخه فمحاكاة المتعلمين بالمشايخ يزيد من إدراكهم كما يتعلمون من طرقهم المختلفة و تصحيح معارفهم و تقوية ملكاتهم[5] لذلك يقول:" فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرجال"[6].

و كل هذه العوامل لعبت دورا بارزا في التأثير على التأليف و التدوين، كما أثرت على العلماء في مختلف مجالات المعرفة بالأندلس، لما حملته في طياتها من صور و مظاهر عديدة و عبرت بشكل أو آخر عن تطور الحياة العلمية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

---

[1] **أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي**؛ ترتيب المدارك و تقريب الممالك لمعرفة أعلام مذهب مال، ضبطه و صححه: محمد سالم هشام، ط.1، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج.2، ص 348.

[2] **المقري**، المصدر السابق، ص 344.

[3] **عبد العزيز عتيق**، المرجع السابق، ص 153.

[4] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 207.

[5] **ابن خلدون**، المقدمة، ج.3، المصدر السابق، ص 226.

[6] نفسه، ص 226.

العلوم الدينية:

تعتبر الدراسات الدينية في الأندلس في ظل الحكم الإسلامي من المواضيع المهمة التي تستحق الالتفات إليها وذلك لأنها توضح الموقف العربي و الإسلامي اتجاه دينهم وقد منحت هذه الدراسات للفكر و العقل الإسلاميين فرصة لإبداع علوم جديدة ومن أهمها التفسير والقراءات والفقه و أصوله والحديث وعلم الكلام والتصوف هذه المظاهر كانت العلامة المميزة للحياة الفكرية في سرقسطة أيم أمراء بني هود بحيث كانت تعيش ازهي عصورها تعانق الكمال و تتناغم في ربوعها العطاءات الفكرية والدينية.

من هنا نستبين قيمة الثورة العلمية التي برزت بسرقسطة خلال القرن الخامس هجري الموافق للحادي عشر ميلادي والتي بلغت الذروة في بلاطهم.

علـم القـراءات:

يعتبر علم القراءات من العلوم التي تجلى فيها تفوق الأندلسيين و أحرزوا فيها تفوقا عظيما فاقوا بها غيرهم من الأمصار الإسلامية، لعل أول اتصال للأندلسيين بعلوم القراءات في المشرق ما تم في رحلة العلامة الغازي بن قيس[1]، الذي نسب إليه إدخال موطأ مالك إلى الأندلس وقراءة نافع بن أبي نعيم ومنهم من أرجح دخولها إلى الأندلس إلى أبو عمرو الطلمنكي[2]، الذي جلب هذا العلم في أواخر القرن 4هـ/10م وتعتبر جهود الغازي نشاطا بارعا في هذا الحقل من الدراسات القرآنية وحظيت القراءات في عصر الإمارة بمزيد من الاهتمام وكذلك في عهد المنصور بن أبي عامر وفي عصر ملوك الطوائف شهد هذا اللون من الدراسات القرآنية نشاطا كبيرا و تألق في هذه الفترة كبار علماء القراءات الأندلسيين[3]، و يأتي في مقدمتهم أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبي الداني[4] المعروف بالصيرفي من بلاط مجاهد العامري أمير دانية الذي خص مملكته للدراسات القرآنية، وكان الداني من مفاخر الأندلس فقد كان واسع المعرفة بالقراءات عارفا بدقائقها بارعا في فهم أسرارها، وكان حريصا على أن يكون علم القراءات[5]، و قواعده ميسور الأخذ فنظم في علم القراءات أرجوزة ليحفظها الطلبة[6]، ومن مؤلفاته جامع البيان في القراءات السبع، وهو من أعظم كتبه ويشتمل على ألف و خمسمائة رواية وطريقة، وله كتاب التجديد في معرفة التجويد

---

[1] هو **أبو محمد الغازي بن قيس الأموي القرطبي**، كان يقوم بالتعليم في قرطبة أيام الأمير عبد الرحمن الداخل، و قد رحل إلى المشرق حيث شهد تأليف مالك لكتابه الموطأ، كما لقي الإمام نافع المقرئ، و هو من أوائل من أدخل قراءة نافع للأندلس، توفي عام 195هـ/809م، أنظر الزبيدي، المصدر السابق، ص 276 277.

[2] أصله من طلمنكة و سكن قرطبة، فسمع من القلعي، و ابن عون الله و غيرهما و رحل إلى المشرق فلقي مشايخها الكبار، و غلب عليه القرآن و الحديث، له عدة مصنفات من أشهرها كتاب "الدليل في معرفة الجليل"، في مئة جزء، و كتابه في تفسير القرآن تقريبا في مئة جزء أيضا و غير ذلك. أقرأ الناس بقرطبة، ثم سكن المرية، ثم انتقل إلى مرسية، و انتهى به المطاف بسرقسطة، ثم رجع إلى بلده طلمنكة أين توفي عام 429هـ1083م انظر ابن فرحون ،الديباج ،ج.3،المصدر السابق، ص39.

[3] البشري، المرجع السابق، ص 266.

[4] هو **عثمان بن سعيد القرطبى بن الصرفي**، عالما بالقراءات، رحل إلى المشرق و هناك التقى بمجموعة من الحافظين و الفقهاء، و لما رجع إلى موطنه، أقرأ الناس و حفظهم القران و اشتغل في ذلك إلى أن وافته المنية بمسقط رأسه الدانية. انظر: الذهبي، المصدر السابق، ص 286؛ أنظر: الحميري، الروض المعطار، تح: ليفي بروفنسال، 76.

[5] **الحميري**، نفسه، ص 76.

[6] **البشري**، نفسه، 267 268.

والتلخيص للأصول قراءة نافع بن عبد الرحمن، والأرجوزة المنبهة على أسماء القراء و الرواة وأصول القراءات، و كان يعتمد هؤلاء في تلاوتهم أساسا على القراءات السبع[1]، كما ذكرنا في ذلك يقول المقري: "وقراءة بالسبع...عندهم رفيعة"[2]. وقد ساهم الفقيه مكي أبي طالب القيسي[3]، في تكوين مدرسة خاصة للقراءات، و التي أثرت في ازدهار هذا العلم خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[4].

و تذكر المصادر الأندلسية، أن شرق الأندلس في هذه الفترة، انتشرت فيه القراءات و كان القراء يتداولون هذه القراءات و رواياتها، و استطاعوا تدوين كتب فيها، لتصبح فيما بعد علم مستقل عن العلوم الدينية الأخرى[5]، و عرفت مملكة دانية DENIA بها خاصة في عهد أميرها مجاهد العامري[6]، الذي كان من المعتنين بهذا العلم، و أصبحت مملكته سوقا للقراءات[7]. كما برز في تلك الفترة أبو القاسم بن فيرة[8]، وقام بتلخيص كتاب "التيسيير" لأبي عمرو الداني، و دونه، حيث أصبح متداولا بين القراء، في مختلف الأمصار من المغرب و الأندلس.

---

[1] لما نزل الوحي على سيدنا محمد (صلع)، أقرأه جبريل عليه السلام له بسبع حروف، لأن القرآن نزل على سبع من اللغات العرب أي من لهجات مختلفة. أنظر: ابن خلدون، ج2، الصدر السابق، ص 361؛ Akroun Mohamed, la pensée arabe, 1ère Ed, p.u.f,1975, p10-11.

[2] **المقرى**، المصدر السابق، ص221.

[3] و إسمه الكامل مكي بن أبي طالب حموش بن حمود بن مختار القيسي من أعلام دولة بني جهور بقرطبة، **و** له عدة مصنفات في القراءات أشهرها "كتاب التبصيرة في القراءات السبع، و كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية، و كتاب التفسير إعراب القرآن"، و كان مكي قد وفد إلى الأندلس عام 393هـ/1003م، حيث رحب به الحاجب عبد المال بن منصور، و عينه لتدريس القرآن و علومه بجامعة الزهراء، و توفي عام، 474هـ/1081م. أنظر: مكي بن أبي طالب القيسي؛ الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها، تحقيق: محي الدين رمضان، ط.1، مؤسسة الرسالة، بيروت،1418هـ 1997 م،ج.1، ص 23 26؛ ابن فرحون، ج.3، المصدر السابق، ص 346؛ البشري، المرجع السابق، 286.

[4] **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص 62 و ما بعدها.

[5] **ابن خلدون**، المقدمة، ج.3، المصدر السابق، ص 362، **محمد عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 289

[6] حاكم دانية اخرجه منها المقتدر بالله سنة 447هـ 1055م انظر: **ابن عذرای المراكشی** ،المصدر السابق، ص 228

[7] **ابن خلدون**، المقدمة، ج.2، المصدر السابق، ص 362، **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 289.

[8] **القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبى الضرير**، استوطن مصر و كان أئمتها، حافظا للقرآن، وكانا رأسا في القراءات وكما جرت العادة في الأندلس أن العلماء كانوا يجمعون بين العلوم، فإلى كونه مقرءا كان في المحدثين الكبار و العارفين بإحكام و قواعد اللغة العربية. و توفي عام 590هـ/1193م، انظر: **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 293.

بالرغم من أن سرقسطة كانت من أبعد المراكز العلمية عن قرطبة، و أن أهلها المحاربين كانوا غير شغوفين بالعلوم، إلا أنها تعرضت في هذه الفترة لتأثيرات الحضارة الفكرية التي عمت الأندلس، كما كانت متأثرة بالقراءات التي برزت بشكل كبير على عهد أسرة بني هود التي وليت حكمها حتى أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، و يكفي الإشارة إلى القراء الذين ظهروا في تلك الحقبة، و التي أسهبت كتب التراجم في ذكرهم فمن قراء سرقسطة مثلا:

المقرئ محمد بن حكيم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي، من أهل سرقسطة، سكن غرناطة ثم مدينة فاس، و يكنى: أبا جعفر، و كان مقرئا، و مجودا عظيما[1]. و المقرئ محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير بن علي الأنصاري، أحد المقرئين المعظمين في عهد الأمير المستعين بالله، عارفا للقرآن و حافظا له، و كان من المتقنين للقراءات، أخذ القراءة على يد أبي عبد الله المغامي، كما كان المقرئ إبراهيم بن دخنيل، من مقرئي أحمد بن المستعين بن هود، تصدر للقراء بجامع سرقسطة، و كان من أهل الضبط و الإتقان و المعرفة بما يقرئ، و كان له نصيب أوفر في اللغة العربية، و أقرأ الناس إلى أن وافته المنية[2].

نجد فيها المقرئ الحافظ أبو علي الحسين بن محمد بن فيرة بن حيّون الصدفي، المعروف المشهور بابي علي الصدفي، من مدينة سرقسطة، وهو من المحدثين الكبار الذين عاصروا أواخر ملوك الطوائف، وفي عهد المرابطين، وكان القطب الثاني في الحديث في عصر الملثمين، بابن سكرة، ولد بسرقسطة عام 445هـ/1062م، و فيها أخذ القراءات عن أبي الوليد الباجي، و أبي محمد بن فورتش و ابن الصراف و ابن سماعة[3]، ثم انتقل إلى مرسية، و سكن فيها، و أخذ يطوف على شرق الأندلس خاصة بلنسية، ثم رحل إلى المشرق (481 490هـ/1088- 1096م)، و عاد إلى

---

[1] ابن بسام ،المصدر السابق،ص392 .

[2] **ابن بشكوال**، المصدر السابق، ج.1، ص 160.

[3] **أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبى**؛ الغنية، تحقيق: ماهر زهير جرار، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ 1982، ص 129، السيوطي، جلال الدين؛ طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت،1441هـ/1994م ص455.

الأندلس بعلم غزير[1]، و قد أخذ العلم هناك على يد كبار الأئمة و المحدثين أمثال الحبال و الخلعي و ابن المشرف و الطبري[2]، و أقام بسرقسطة و فيها أقرأ الناس، و هناك لقي رعاية من أمرائها، و كان قائما على علم الحديث و الفقه، ثم استقر بمرسيه و أقرأ الناس، و كان القاضي عياض يقول فيه: "كان عالما للقراءات حافظا للمتن الإسناد"[3]، و ذكر ابن عساكر عن ابن الآبار الذي قال فيه:

"و رفعته ملوم أوانه و شفعته في مطالب إخوانه، فأوسعته رعيا و حسنت فيه رأيا، و من أبنائهم من جعل يقصده لسماع مسنده"[4]، و لما عرض عليه والي مرسيه إبراهيم بن يوسف بن تاشفين أن يتولى القضاء فرفض فاشتعل فيه قليلا خوفا منه ثم فر بنفسه إلى المريةAlmeria[5]، و تبعه طلابه و من هؤلاء الطلبة عياض بن موسى، و لما عضي عنه رجع إلى مرسيه و جلس للقراء، و في هذه الأثناء سقطت سرقسطة في يد ألفونسو ملك آرغون، و كانت هذه المدينة مسقط رأس ابن سكرة، فأثار ذلك السقوط في نفسه، و قرر الخروج إلى الجهاد لإيقاف التقدم النصراني، و هو يناهز الستين أو أكثر، و لكن ذلك لم يصرفه عن القيام بواجبه، فخرج بعد أن جمع تلاميذه و أهل مرسيه و استنهض همم المرابطية و أميرها، فكونوا بذلك جيشا كبيرا و اتجهوا نحو الشمال، و كان في مقدمته أبوا علي الصدفي و بعض من أصحابه منهم أبو بكر بن العربي، و صحبهم العديد من المطوعة، لكن ألفونسو سمع بخروجهم فجهز جيشا عظيما، و التقى جيشان في معركة قتندة". و انتهت بهزيمة المرابطين[6].

---

[1] **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص 91.

[2] **أبو الفضل عياض**، المصدر السابق، ص129؛ **السيوطى**، المصدر السابق، ص 455.

[3] **عياض**، نفسه، نفس الصفحة.

[4] **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص 92.

[5] تقع على ساحل البحر و لها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران، بناها عبد الرحمن الناصر، و عظمت في دولة المنصور أبي عامر، و ولى عليها مولاه خيران، الذي نسبت إليه القلعة و تشتهر بمعدن الحديد و الرخام و صناعة الحرير، و صناعة الزجاج، و هي منطقة زراعية تشتهر بالفواكه و فيها بساتين جمة، و تشتهر بأبوابها الكثيرة، كباب العقاب، و بها قصور الملوك القديمة الغربية العجيبة. أنظر: المقري، المصدر السابق، ص 163.

[6] **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص 83 85.

و منهم المقرئ عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الفهمي، المعروف بأبي المطرف السرقسطي[1]، من أعلام مملكة بني هود، قرأ على المغامي، و أبي علي بن مبشر، و من شيوخه القاضي أبو الوليد الباجي، و غيرهم من المشايخ، و يقول القاضي عياض:"و حدثنا بجميع رواية القاضي عبد الوهاب و تصانيفه عن عبد الحق عنه، و بجميع تصانيف عبد الحق و روايته"[2]. ثم انتقل و سكن قرطبة بعد أن سقطت سرقسطة، و أقرأ بجامع قرطبة، و تولى الصلاة فيه، و أجاز للقاضي عياض جميع روايته. و من البارزين فيها المقرئ محمد بن عقال السرقسطي، و يكنى: أبا عبد الله، سمع من الباجي و العذري، و عندما رحل إلى المشرق التقى بمشايخها و مقرئيها الكبار و أخذ عليهم العلم[3]، ثم عاد إلى سرقسطة و أقرأ الناس بجامعها و ذلك في حدود عام 480هـ- 1087م[4]. و محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله، أصله من سرقسطة تصدر للإقراء[5] بجامع إشبيلية، و ممن أسهم في نشاطات علم القراءات في سرقسطة، المقرئ الفاضل إسماعيل بن خلف بن سعيد الأنصاري[6]، كان موصوفا بالإمامة في هذا العلم و كانت له تصانيف جيدة، منها كتاب "العنوان" في القراءات، و عرض فيه ما اختلف القراء السبعة فيه بإيجاز، و صنفه للراسخين في القراءات، أما المبتدئين فصنف لهم كتابا سماه "الاكتفاء" فيه ما يفهمه المتعلم المبتدئ، و قصد فيه الإيضاح بحيث لا يشكل على قارئه منه شيئا، و جعل الأول كالعنوان له، و قد شرحه[7] عبد الطاهر بن نشوان الجذامي المصري[8]، ثم نجد فيها المقرئ أبو الطاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري[9]، و يكنى: أبا عبد الله، أخذ القراءات عن أبي عمرو الداني و علي الألبيري

---

[1] توفي بقرطبة يوم الأربعاء، الخامس من صفر، سنة 522هـ/1128م.
[2] **القاضي عياض**، الغنية، المصدر السابق، ص 168.
[3] **أبو الفضل عياض**، المصدر السابق، ص 129.
[4] **ابن بشكوال**، الصلة، المصدر السابق، ج.3 ، ص836.
[5] **نفسه**، ص 821.
[6] من أعلام مملكة بني هود، توفي عام 544هـ/1083م.
[7] البشري، المصدر السابق، ص 272.
[8] توفي عام 649هـ/1251م.
[9] توفي عام 518هـ 1124م.

و أبو عمرو الطلمنكي[1]، و كان عارفا بالأصول و الفروع، حافظا للقرآن و مقرئا ماهرا، قال ابن بشكوال في وصفه: "أنه حسن الصوت، جميل العشرة، كامل الرجولة، فكان يجمع كل صفات الإمام"[2]، و هذا ما يدل أنه من الواجب أن يتمتع المقرئ بصفات خلقية عالية و مستوى علمي رفيع حتى يكون مركز ثقة الناس[3]، و نستبين ذلك بما قاله ابن الأخوة عن محتسب الأندلس، الذي كان لا يدع أحد يتولى هذا المنصب إلا إذا كان من أهل العلم في الأمور الشرعية و حافظا للقرآن و السنة و عارفا بأخبار الصالحين، و كان يمتحنهم في تلك المسائل[4]، و لكي نتبين الحساسية التي كان يعامل بها الأندلسيين أساتذة الإقراء، و عدم تساهلهم معهم حين يشكون في نقص علمه، ما ذكرته كتب التراجم عن بعض القراء الذين لقوا رفضا من مستمعيهم، من أمثال محمد بن المفرج بن إبراهيم البطليوسي، أنه كان يكذب فيما يعلمه للناس و قد لقي معارضة شديدة بين أوساط الطلبة[5]، و كانت البلاغة و النحو مراعى عندهم في القراءات، لشدة التحريف عما تقتضيه الأوضاع العربية[6]، و لعل السبب يرجع إلى مخالطتهم للعجم، بعد التزاوج الذي كان يتم بين العرب و البربر و النصارى[7].

و أيضا نجد المقرئ أبو محمد عبد الله بن إدريس بن سهل المقعد[8]، أخذ القراءات بسرقسطة على يد قرائها و منهم عبد الوهاب بن محمد بن حكم و أبي محمد بن سهل[9]. و المقرئ عبد الرحمن بن عبد الله بن منتيل، المعروف بالسرقسطي، و يكنى: أبا زيد، و كان يحفظ التلقين للقاضي أبي محمد بن عبد الوهاب، و كان من الراسخين في القراءات، حافظا للقرآن جيد التلقين، و يذكر لنا القاضي عياض

---

[1] **الضبي**، المصدر السابق، ص 250.
[2] **ابن بشكوال**، المصدر السابق، ص836- 837.
[3] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 289.
[4] **ابن الإخوة**، المصدر السابق، ص 179.
[5] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 291.
[6] **المقري**، المصدر السابق، ص 221- 222.
[7] **ابن خلدون**، المقدمة، ج.3 ، المصدر السابق، ص 234 و ما بعدها.
[8] توفي علم 515هـ/1121م.
[9] **أبو الفضل عياض**، المصدر السابق، ص157- 158.

قصيدة تنسب إليه، و فيها يظهر أن السرقسطي كرّس حياته للإقراء و التلقين حتى بلغ بها درجة الزهد في ذلك يقول:

سأقطع نفسي عن علائق جمــة و أشغـل بالتلقيــن نفســي و باليــا

و أجعله أنسي و شغلي و همتي و موضع سري و الحبيب المناجيا

و بعد سقوط سرقسطة انتقل ابن منتيل إلى بلنسية، فولى بها الخطبة و الصلاة، و يذكر القاضي عياض أنه أجازه جميع روايته[1].

كما وفد إلى سرقسطة في هذه الفترة، المقرئ أحمد بن سعيد بن عبد الله بن سراج الكسائي[2]، من أهل مدينة فرج، و يكنى: أبا جعفر، المعروف بالحجازي، أخذ القراءات عن أبي الحسن سعيد بن محمد بن قوطة، أقرأ الناس بجامع سرقسطة، و علم الناس اللغة العربية، و كان يعتمد في إقرائه على القراءات السبع[3].

و أخيرا فهؤلاء هم ابرز قراء عصر بني هود، وما من شك أنهم لعبوا دورا هاما في نشاط علم القراءات وازدهار دراساته. وهناك ملاحظة تلفت الأنظار من خلال سير هؤلاء القراء، وهي إن الكثير منهم تركز وجودهم في المناطق الشرقية للأندلس، وخاصة في إمارة دانية، و التي أصبحت تابعة لمملكة سرقسطة بعد استيلاء المقتدر بلله عليها.فمن دانية ظهر أبو عمرو الداني الذي سيبقى علامة مضيئة في تاريخ هذه الدراسات القرآنية. وهكذا يتبين لنا مدى إسهام أولئك العلماء في حركة التأليف في العلوم القرآنية، و أقيمت دراسات أخرى متعلقة بالقران كالتفسير.

---

[1] **أبو الفضل عياض**، المصدر السابق، ص 167.

[2] كانت وفاته في حدود 520هـ 1126م.

[3] **إبن الآبار**، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: **إبراهيم الأبيارى**، ط.1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة بيروت، 1410هـ/ 1949، ص55.

الفصل الثاني

علم التفسير:

التفسير لغة معناه الكشف و الظهور، و يقال أسفر الصبح إذا ظهر، و أسفرت المرأة عن وجهها إذا كشفته، و فسر الشيء بينه، و أما التفسير اصطلاحا فيعني:

فهم البديع العائد إلى المحسنات البديعية و المراد به: فهم أو شرح ماهية الكلام و هو العلم الذي يشرح به كلام الله.[1]

التفسير هو الشق الثاني من الدراسات القرآنية، و ينصب اهتمامه على توضيح معاني القرآن الكريم، وتبين في أسباب نزول بعض سوره، و آياته، وشرح الأحكام المتعلقة به[2]. و تعتبر جهود بقي بن مخلد[3]، في تفسير القرآن الكريم فاتحة النشاط العلمي في هذا الحقل، وصنف في ذلك تفسيره العظيم. و تبع" بقيا"عدد من العلماء الماهرين في التفسير، ومن أبرزهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي.[4]

و في عصر الطوائف ظهر عدد من العلماء الماهرين في التفسير ومن أبرزهم مكي بن أبي طالب الذي ألف في التفسير كتابه المشهور "الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القران الكريم و تفسيره و أنواع علومه"،و يقع في سبعين جزءا، و "المأثور عن مالك في أحكام القران و تفسيره " الإيجاز في ناسخ القران و منسوخه"، في نحو من عشرة أسفار، وله أيضا من التصانيف كتاب "الإيضاح لناسخ القران و منسوخه"، في ثلاثة أجزاء، و غيرها من المؤلفات التي صنفها[5]. و العلامة المفسر الزاهد عبد الله بن فرج اليحصبي المعروف بابن العسال[6]، الذي كانت له اهتمامات واسعة بعلوم الدين كالتصوف، و التفسير الذي برع فيه، و كان له مجلس حافل يقرأ عليه في التفسير فيأخذ في توضيح معالم القرآن، و شرح أحكامه[7].

---

[1] **قاسم القيسي**، تاريخ التفسير، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، 1966م، ص17؛ **البشري**، المرجع السابق، ص 275.

[2] البشري، نفسه.

[3] من المحدثين الكبار بالأندلس، رحل إلى المشرق، و كان من جملة الذي أتى به من علم الحديث إلى الأندلس مسند ابن أبي شيبة. أنظر: بلنثيا، المرجع السابق، ص 364- 365.

[4] هو منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم النفزيّ، و أصله من فحص البلوط، من عمل قلعة رباح، رحل إلى المشرق، و درس على شيوخه، سمع بمكة محمد بن منذر النيسابوري، و روى بمصر كتاب العين للخليل، و غيرهم، توفي عام 355هـ/366م، أنظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج.2، ص 144- 145؛ الزبيدي، المصدر السابق، ص 319.

[5] **البشري**، نفسه، ص 275- 276.

[6] سيأتي الحديث عنه أيضا في مبحث علم التصوف.

[7] **البشري**، المرجع السابق، 276.

ترجع نشأة علم التفسير إلى أوائل الدولة الإسلامية، و كان النبي- صلى الله عليه و سلم أول مفسر للقرآن، ثم تولى الصحابة بعد وفاته هذه المهمة و من ثم التابعين، و هكذا حتى أصبح لهذا العلم مفسرين مختصين أبدوا فيهم قدرتهم العظيمة على الاستنباط و التحليل[8]، و وقفوا على أسباب نزوله و ناسخه و منسوخه، و لكن واجهت بعضهم الصعوبات في إدراك معانيه نظرا لما من كلمات إعجازية فيه يصعب فهمها[9].

فاتجه المسلمون إلى اتجاهات مختلفة في تفسير القرآن، منهم من فسره و اقتصر على النقل و الأقوال لبعض المفسرين، مراعين في ذلك أسباب النزول، و وجوه البلاغة و الإعراب، و منهم من اعتمد على الاستنباط متخذا في ذلك الأدلة العقلية، دون الرجوع إلى أقوال السابقين، و تبرز في التفسير مدرستان، الأولى منهما هي مدرسة التفسير بالمأثور، و نظرية هذه المدرسة كانت تقوم على التفكير النقلي، و هو ما عرف عن الرسول –صلى الله عليه و سلم و كبار الصحابة، و الثانية هي مدرسة التفسير بالرأي، و نظرية هذه المدرسة كانت تقوم على التفكير العقلي أو الفلسفي، و أصحاب هذه المدرسة[10] أغلبهم من المعتزلة[11].

و قد نشأ التفسير في الأندلس في حدود القرن 3هـ/9م[12]، و كانت تعتمد في التفسير على كل ما يصلها من بلاد المشرق أو على الطلاب الوافدين إليها[13]، و المدرسة التي سادت في الأندلس هي مدرسة التفسير بالمأثور، و أشهر مفسريها ابن عباس و هو أول من وضع تفسير للقرآن الكريم، و رتبه حسب السور و الآيات.

و كانت المدرسة الثانية مرفوضة في تلك الفترة، لأن مفسروها يعتمدون على الفكر العقلي و الفلسفي[14]، و على ما يبدو أن سرقسطة برزت فيها مدرسة التفسير بالمأثور، بدليل معارضة أبو الوليد الباجي لأصحاب التفسير بالرأي، و قد عرف الباجي و هو من علماء المقتدر بالله، حيث قال: في رسالة في الحدود:"الرأي: اعتقاد إدراك صواب الحكم الذي لم ينص عليه، و الفرق بينه و بين الاجتهاد أن الاجتهاد معنى طلب الصواب، و

---

[8] **قاسم القيسي**، المصدر السابق، ص20.

[9] **محمد الفاضل بن عاشور**، التفسير و المفسرون، منشورات اللغات، دار الكتب الشرقية، تونس:1966، ص8 12.

[10] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص284.

[11] سيأتي تعريفها لاحقا.

[12] **مجموعة من الأساتذة**، الأندلس قرون من التقلبات والمعطاءات، (التاريخ وفلسفته)، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز العامة للأعمال المحكمة، 1417هـ 1996م، القسم الرابع، ص13.

[13] **خوليان ر يبرا**، المرجع السابق، ص284.

[14] نفسه، ص 284.

الرأي معنى إدراك الصواب، و الذي يقال: إن الرأي المصيب ما رأيت فلا يعبرون بذلك إلا من كمال الاجتهاد و إدراك المطلوب"[15]. لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى، و هي مأخوذة من الكتاب و السنة بالنص و الإجماع، و عليه النظر فيها أولا لتبيان ألفاظه.

و من المفسرين أيضا عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الخشني[16]، و يكنى: أبا محمد، و يعرف بابن جعفر، روى عن أبي الوليد الباجي، مفسر أندلسي من أهل مرسية، كان من أصحاب الفقه على مذهب مالك، و له دراية كبيرة بالفتوى داريا بالتفسير.[17]

و يظهر أن عدد المفسرين في سرقسطة قليل، حسبما وجدناه في كتب التراجم، و نستنتج منه أن علم التفسير لم يكن رائجا في تلك الفترة، و يمكن أن يكون هؤلاء المقرئين في آن واحد، ما دام ذلك ميزة العلماء في تلك الحقبة، أنهم يجمعون بين العلوم من قراءة و تفسير و حديث و فقه و حتى النحو و الشعر.

و هذا ما ترجم له ابن بشكوال للمقرئ و المفسر علي بن أبي قاسم بن عبد الله بن علي، من مدينة سرقسطة، يكنى: أبا الحسن، رحل إلى المشرق روى عن أبي ذر الهروى، و أبي الحسن بن صخر، و أبي القاسم السرقسطي، و أخذ عن القاضي الماوردي كتابه في تفسير القرآن، و لما عاد إلى وطنه سكن طليطلة، و أقرأ الناس بجامعها و أسمع الناس بها، و لم يكن أبو القاسم على دراية كبيرة بالحديث ففي هذا الشأن يقول صاحب الصلة: "و لم يكن له معرفة بالإسناد و الرّواة، كتب إلى شيخنا أبي محمد بن عتّاب بإجازة ما رواه، و أراني خطه و في تسمية بعض روايته و كتبه، فرأيت فيها تخليطا كثيرا و زيادة في الإسناد و نقصا، و لم يكن هذا الشأن يأبه"، و كان رجلا صالحا انقبض على نفسه في آخر أيام حياته، و كانت وفاته بقرطبة عام 472هـ 1079م.[18]

علم الفقه و أصوله:

---

[15] **محمد الأمين بلغيث**، المرجع السابق، ص 202 203.
[16] توفي عام 520هـ 1126م
[17] **ابن بشكوال**، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تصحيح: **سيد عزت العطار الحسيني**، المصدر السابق، ص294 295.
[18] **ابن بشكوال**، الصلة، ج2، المصدر السابق، ص209.

الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، بالوجوب و الحظر و الندب، و الكراهية و الإباحة، و هي متلقاه من الكتاب و السنة و ما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه، و أما أصول الفقه فهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تأخذ منها الأحكام و التكاليف، و الأدلة من غير النصوص المختلف فيها، و التي تعتمد أساسا على الكتاب و السنة ثم الإجماع و القياس.[19]

برزت خلال القرن 2هـ/8م مدرستين فقهيتين مختلفتين[20]، أولهما: مدرسة أهل الحديث بالحجاز التي تعتمد أساسا في استنباط الأحكام على الحديث، دون مراعاة صحته أو ضعفه، و تقديمه للرأي المستبعد من تفكيرهم[21]، و من أهم علمائها الإمام مالك بن أنس[22]، و الإمام عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي[23] ، و أحمد بن حنبل[24]، و ينتمي إلى هذه المدرسة محمد بن إدريس الشافعي[25]، و داوود علي الأصبهاني[26].

---

[19] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص295.

[20] **محمد أبو زهرة**، المذاهب الإسلامية في السياسة العقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص347.

[21] نفسه، ص 347، **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 295.

[22] هو أبو **عبد الله مالك بن أنس الأصبحي**، نسبة إلى بطن حمير يقال له إمام دار الهجرة، ولد سنة:94هـ 687م، سمع من نافع و الزهري وطبقتهما، وأخذ القراءة عوضا عن نافع إبن أبي أميم، وكان طويل القامة، عظيم الجسم بيض الرأس اللحية وقيل أن لحيته تبلغ صدره وهو أشقر، أزرق العينين، يلبس الثياب المدنية الرفيعة، وكان لا يركب في المدينة على بغل أو حمير رغم ضعفه وسنه الكبير، ويقول لا أركب في مدينة فيها جثة الرسول صلى الله عليه وسلم مدفونة، و توفي عام 179هـ/795م.
أنظر: اليافعي، مرآة الحبان وعبرة اليقظان لمعرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط.2، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1390هـ 1970م، ج.1، ص 373- 374.

[23] هو **أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي**، ولد بمدينة بعلبك بالشام سنة 88هـ 707م، أخذ العلم عن عطاء بن رياح والزهري وغيراهما، كما أخذ عنه سفيان التروي ومالك بن أنس، رحل إلى عدة بلدان ثم عاد واستقر ببيروت إلى أن وافته المنية ومن كتبه" كتاب السير"، و توفي عام 157هـ/774م، انظر: كارل برو كلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية:د.عبد الحليم النجار، ط.2، دار المعارف، 1979م، ص307 308.

[24] ولد عام 164هـ 780م ببغداد، ومن مصنفاته كتابة "المسند"، الذي يضم 30 ألف حديث، وكان في البداية من خواص أصحاب المذهب الشافعي ثم انحاز لوحده واستقل بمذهبه الخاص، و توفي عام 241هـ/858م.انظر:محمد أبو زهرة، المرجع السابق، 349.

[25] ولد بغزة عام 150هـ 767م، وقد هاجر إلى بغداد ثم إلى مصر، وهناك أخذ يعلم الناس بمسجدها عمرو بن العاص الفقه، ومن أهم مصفاته كتابة **"الأم"**، في الفقه والشريعة، توفي عام 204هـ/820م. انظر: **كارل برو كلمان**، المرجع السابق، ص348.

[26] ولد عام 202هـ 808م، ولقد تخرج في الفقه على تلاميذ الشافعي، وهو أول من أظهر القول بظاهرية الشريعة، وأخذ الأحكام من ظواهر النصوص، يمتاز بتعصبة للمأثور من كتاب وسنه وإبطاله للقياس والإجماع، وهكذا أخذا داوود ينتشر مذهبه في الاستنباط، وأخذت كتبة تنتشر والتي شملت سنن وأثار فيها الأدلة، كما ساهم تلاميذ ته في نشره من أمثال ابنه أبو بكر محمد بن داوود، وبسبب هذين الأمرين انتشر المذهب الظاهري في القريتين الثالث والرابع الهجريين، توفي عام 240هـ/883م.انظر: **محمد أبو زهرة**، المرجع السابق، ص 531 و ما بعدها.

أما المدرسة الثانية فهي مدرسة أهل الرأي، بالعراق، و قد تلاءمت بالبيئة العراقية و عقلية سكانها الواسعة[27]، و التي تعطي الأولوية للعقل، و تقل عندهم رواية الحديث و من أهم شخصياتها، مؤسسها أبو حنيفة النعمان بن ثابت[28] ، و حيث أنه ليس من غرضنا التأريخ للمذاهب الفقهية و أصحابها بالمشرق، و إنما إعطاء صورة لهذه المدارس، و التي كان لها أثر كبير على الأندلسيين.

كانت الأندلس في عهد الداخل على المذهب الأوزاعي، واعتمد القضاة في تلك الفترة في أحكامهم على مذهب عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ،بحكم الرابطة المتينة بين الأندلس، وبلاد الشام، ولتجدد الدولة الأموية في الأندلس، ولتوافق ما ذهب إليه هذا المذهب، و لاسيما في التشريعات الحربية، و أحكام الجهاد، مع ما كان يسود الأندلس في تلك الحقبة، من عدم الاستقرار. و أول من ادخل هذا المذهب إلى الأندلس هو القاضي الإلبيري أسد بن عبد الرحمن السبئ[29]، وانتشر على يد صعصعة بن سلام الشامي[30]. وهكذا انتشر المذهب الأوزاعي في الأندلس خلال القرن 2هـ/8م.

و استمر هذا المذهب إلى غاية بداية عصر الأمير هشام الأول الملقب بالرضا، و في هذه الأثناء نعمت الأندلس بقدر من الاستقرار و الهدوء و الأمن[31]، خاصة لما قضى الأمير هشام الرضا على معارضيه الذي كان في مقدمتهم أخوه سليمان بطليطلة الذي سانده الحزب الشامي[32]، و أخذ شيئا فشيئا يتخلص من التأثير الشامي، هذا فضلا عن التراث الشامي الذي أصبح لا يلاءم مقومات الحياة الفكرية الجديدة، فاتجهت أنظار الأندلسيون إلى الحجاز يستمدون منه قوام حياتهم الروحية و كانت آنذاك المدينة المنورة حاضرة دينية ممتازة في العلوم الدينية يقيم فيها الإمام مالك بن أنس، صاحب المذهب المالكي، و كان من الطبيعي أن

---

[27] **محمد أحمد أبو الفضل**، دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس، دار المعرفة الجامعية، للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1996م، ص115، محمد عبد الحميد عيسى، المرجع السابق، ص295.

[28] كان على المذهب الأوزاعي، من الفقهاء الكبار في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل ابنه هشام، وكان أصحاب مالك يكنون له الحقد، توفي عام 183هـ/799م. أنظر: ابن الفرضي، ج.2، المصدر السابق، ص 203.

انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص203.

[29] كان حيا سنة 150هـ/769م.

[30] توفي 192هـ/807م.

[31] **المقري**، المصدر السابق، ص334 338، **ابن الخطيب**، المصدر السابق، ص11 14

[32] **ابن القوطية، أبو بكر**، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق وتعليق: **إسماعيل العربي**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1989م، ص46، مجهول، أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص120 124.

يتجه الأندلسيون إلى مذهب إمام دار الهجرة[33]، لاسيّما أن الفكر الديني للإمام مالك بدت فيه سمات خاصة و بوادر معينة جعلته أقرب إلى تأييد بني أمية و معارضة العباسيين و الذين كانوا على المذهب الحنفي، و هذا ما جعل الأمويين بالأندلس يقلدون المناصب الرسمية بالدولة لفقهاء المالكية[34]، و أخذ الأندلسيون الفقه المالكي عن كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، نقله العلمان الجليلان تلميذا مالك أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن القرطبي المعروف بشبطون[35]، و أبو محمد الغازي بن قيس الأموي القرطبي، ثم شاعت رواية يحيى بن يحيى الليثي القرطبي[36]، وممن ساهم في نشر الموطأ برواية يحيى بن يحيى أبو عيسى بن دينار القرطبي[37]. ثم جاءت المدونة للإمام سحنون بن سعيد[38]. ثم ظهر إنتاج أهل الأندلس في الفقه المالكي. فكانت" الواضحة" لأبي مروان عبد الملك بن حبيب القرطبي[39]. وتتابع فقهاء المالكية بعد هؤلاء،وكان منهم من تخرج على أيديهم وزاد على ذلك بالأخذ عن المشارقة في رحلاتهم، وكان منهم من لقي الإمام مالك نفسه كمحمد بن احمد بن عبد العزيز العتبي[40]، الذي ألف كتابه المشهور سماه" المستخرجة من الأسمعة المسموعة غالبا من مالك"، وهو المعروف باسم" العتبية"[41]. ثم نجد بعد هؤلاء جمهرة من الفقهاء المالكيين سايروا الدولة

---

[33] **محمد أحمد أبو الفضل**، المرجع السابق، ص115.

[34] **المقدسي**، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه. د.**محمد مخزوم**، إحياء الثلاث العربي، بيروت لبنان، د.ت، ص195 ،196.

[35] هو من فقهاء الأندلس، سمع الموطأ من مالك، و لع عنه كتاب في الفتوى معروف بـ"سماع الزيات"، روى عن الليث بن سعد و غيرهم، و هو من أوائل من أدخل الموطأ، و عنه أخذ يحي بن يحي الليثي، توفي عام 212هـ/827م. أنظر ابن الفرضي، ج.1، المصدر السابق، ص 154.

[36] هو أبو محمد يحي بن يحي بن كثير الليثي القرطبي ، رئيس علماء الأندلس، سمع الموطأ أولا من شبطون، ثم سمعه من مالك، و أصله من البربر، من قبيلة مصمودة بالمغرب، توفي عام 234هـ/848م، أنظر ابن الفرضي، ج.2، المصدر السابق، ص 179- 180؛ أبو المطرف، المصدر السابق،ص29.

[37] كان إماما في الفقه على المذهب المالكي،تفقه على يد عبد الرحمان بن القاسم العتقي، وله تأليف سماه"الهداية".انظر ..ابن حزم ،فضائل المصدر السابق، ص12.

[38] اشتغل قاضيا بالقيروان عام 234هـ 848م، وقد باشر في أن واحد القضاء والحسبة، وكان ابن سحنون يؤدب الناس على الإيمان التي لا تجوز من الطلاق و العتاق، حتى لا يحلفوا بغير الله، و يؤدبهم على سوء الحالة في لباسهم وما نهى عنه، و يأمرهم بحسن السيرة، وهو أول = من نظر في الحسبة من القضاة و أمر بتغيير المنكر. انظر: النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، تاريخ قضاة الأندلس كتاب المواقتة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا، ط.5،دار الأفاق الجديد، بيروت، 1983م، ص 28- 29.

[39] رحل إلى المشرق، و لقي جماعة من أهل المذهب المالكي كابن الماجشون، الذي توفي عام 212هـ/ 827م، وغيرهم، وله من الكتب أيضا "مكارم الأخلاق"، و "أصول الفرائض"، و "كتاب الورع". أنظر الزبيدي، المصدر السابق، ص 283.

[40] هو أبو عبد الله محمد العتبي بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة القرطبي، سمع من يحي بن يحي بالأنداس، ثم رحل إلى المشرق، فتفقه بالمذهب المالكي، توفي عام 255هـ/869م، أنظر أبو المطرف، المصدر السابق، ص 29- 30.

[41] نفسه، ص 30.

الأموية بالأندلس حتى سقوطها، وقد تابع هؤلاء نشر وتعليم المذهب المالكي أيام دولة المنصور بن أبي عامر. نكتفي بذكر المشاهير منهم و على سبيل المثال محمد بن يبقى بن زرب[42]، الذي ألف كتابه المشهور" الخصال"، الذي عارض به كتاب "الخصال" لمحمد بن علي بن كابس الحنفي[43]. و"اختصار المدونة" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين[44]. فكان الطلبة يتدارسون هذه الكتب الفقهية الأندلسية، بالإضافة إلى كتاب "الموطأ"، و" المدونة" اللذين يعتبران من أمهات الكتب للمذهب المالكي آنذاك[45]. و أصبح لرجال المذهب المالكي مكانة سامية في الدولة،كما أصبح المذهب المنبع الأساسي الذي يقوم عليه القضاة والإفتاء والعبادات، حتى غدت الأندلس لا تقوم إلا به لهذا كانت لهم الأولوية في تزكية ولاة الخطط الدينية لاسيما خطة الحسبة، فقد دخل فقهها دخولا أوليا في فقه المعاملات بالمذهب المالكي[46]. في ذلك يقول المقدسي:

"و هم يقولون لا نعرف إلا كتاب الله و موطأ مالك فإن ظهر على حنفيّ أو شافعيّ نفوه و أن عثروا على معتزلي أو شيعي و نحوهما، ربما قتلوه"[47]، و قد أيده المقري حين قال: "و الفقه رونق و وجاهته، و لا مذهب لهم إلا مذهب مالك"[48].

إلى جانب المذهب المالكي الأكثر انتشارا في الأندلس، فقد عرفت مذاهب أخرى، منها المذهب الشافعي، و يعزى دخول هذا المذهب إلى الأندلس إلى قاص بن محمد بن سيار[49]، و من أشهر فقهائهم بقي بن مخلد، الذي اعتنى بنشر الفقه الشافعي[50]، و على هؤلاء تتلمذ نفر كبير من الفقهاء.

---

[42] قاضي الجماعة بقرطبة، سمع من قاسم بن أصبغ، و قد اعتنى بالفقه المالكي، و كانت له مؤلفات كثيرة. أنظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 94- 97.

[43] أبو المطرف، المصدر السابق، ص 30.

[44] كان من هو أول من ألف في فن التوثيق فغي المذهب المالكي بالأندلس، توفي عام 399هـ/1009م، أنظر: بلنثيا، المرجع السابق، ص 402.

[45] أبو المطرف ، نفسه، نفس الصفحة.

[46] **الفاسي عبد الرحمن؛** خطة الحسبة في النظر و التطبيق و التدوين، ط.1، مطبعة النجاح الجديدة، 1984م، ص 63- 65.

[47] **المقدسي**، المصدر السابق، ص195.

[48] **المقري**، المصدر السابق، ص221.

[49] يكنى: أبو محمد، من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق، أواسط القرن 3هـ/9م، و درس على كبار شيوخ الشافعية، فلما عاد إلى الأندلس انصرف نشر المذهب الشافعي، عن طريق التدريس و التأليف، و له فيه تواليف منها، كتاب "الإيضاح" في الرد على المقلد، توفي عام 276هـ/890م. أنظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص 355- 356.

[50] حسين مؤنس، شيوخ العصر، المرجع السابق، ص 46.

أما المذهب الظاهري فكان أول من نشر مبادئه في الأندلس عبد الله بن محمد ابن قاسم بن هلال[51]، و ممن ظهر عليه التفقه بالمذهب الظاهري، و الأخد به قاضي الجماعة بقرطبة منذر بن سعيد البلوطي[52]. و في مقدمة هؤلاء أيضا العلامة الفقيه أبو محمد علي بن حزم، و قد كان آية عصره في نضوج المذهب، و دقة البحث، و عمق التفكير، و قد ألف في الفقه كتابه المشهور "المحلّى"، و هو موسوعة فقهية ضمت فروع المذهب الظاهري، و هو يستدل على كل مسألة فقهية بما يناسبها من آيات القرآن، و أحاديث الرسول(صلع)[53].

أما المذهب الحنبلي فلم يكن له أثر يذكر في الأندلس بسبب عدم اعتناقه من طرف علمائها، حتى ما ذكر عن بقي بن مخلد أنه لقي ابن حنبل، و أخذ عنه مذهبه، إلا أنه لم ينشره في الأندلس[54].

و نستبين أن انتشار هذه المذاهب بسرقسطة لم تعرف انتشارا واسعا، كغيرها من الحواضر الأندلسية. إلا أن المذهب المالكي بلغ أوجه في عهد بني هود، و قد انتشر المذهب المالكي بسرقسطة، عن طريق الفقهاء الذين رحلوا إليها، و ذلك قبل عهد بني هود، بدليل ما ذكرته كتب التراجم عن هؤلاء الفقهاء الذين كانوا على المذهب المالكي، من أمثال الفقيه يحي إبراهيم بن محارب السرقسطي[55]، فقد كان ممن لقي مالك بن أنس، و شيوخه و تلاميذه لا يحصون عددا لكثرتهم، و قد قضى معظم عمره في التأليف و إسماع العلم للناس، و كانت له مصنفات كثيرة و من أشهرها كتابه المسمى "صفة الجنة"[56]، و كان إبراهيم بن سهل[57]، ممن تتلمذ على تلاميذه الإمام مالك بالمشرق[58]، و كان محمد بن أسامة بن صخر[59]، عالما أيضا يفقه مالك[60]. أما عن هؤلاء الفقهاء المالكيين في عهد بني هود فهم كثر، نكتفي بذكر بعض المشاهير منهم، و لكن قبل أن نعرضهم، نطرح

---

[51] أخذ عن صاحبه أبو سليمان داود القياسي الظاهري، و عندما دخل إلى الأندلس أدخل معه كتب أستاذه. أنظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 144- 145؛ الزبيدي، المصدر السابق، ص 319.

[52] أبو المطرف، المصدر السابق، ص 30.

[53] نفسه، ص 30- 31.

[54] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 45.

[55] توفي سنة 414هـ/1023م.

[56] **البغدادي**، المصدر السابق، ص518.

[57] توفي سنة 296هـ 829م

[58] **الضبي**، المصدر السابق، ص211.

[59] توفي سنة 287هـ/822م.

[60] نفسه، ص51.

سؤال: كيف كانت وضعيتهم في هذه الفترة؟. كانت وضعية الفقهاء في أواخر القرن الرابع الهجري متقهقرة، لاسيّما في عهد المنصور بن أبي عامر، بعد أن دبّر هذا الأخير مكيدة لهم حتى يزول سلطانهم، الذي طالما عرف النبوغ في عهد الخلافة الأموية، و هذا ما أثر على مركزهم في أواخر القرن 4هـ/9م[61]، و بزوال الدولة العامرية، بدأ عهد جديد مصحوبا معه بالأوضاع المضطربة و هو عصر الدويلات الصغيرة، الذي عرفت فيه البلاد التهديد الخارجي، و كان السكان محرومين من أي نوع من الأمان و الاستقرار، فقد تلاشت إطارات النظام الداخلي[62]، لاسيّما بعد أن غلب على الحكام و الأمراء حياة الترف و البذخ[63]، في حين تسابق نفر من الفقهاء للفوز بنصيب من الغنيمة، و مشاركة الملوك في عبتهم و طغيانهم، في حين انساق بعضهم و اختاروا حياة العبادة و الابتعاد عن تلك الفتن الأمور الدنيوية الأخرى، و أقبلوا على علمهم و عبادتهم، مواصلين رسالة أهل العلم الصادقين من أسلافهم، منصرفين إلى الدرس و التلقين أن هذه الأزمة ستزول كما زالت غيرها من المحن، من أمثال الطلمنكي و يوسف بن عبد الله بن محمد بن مغيث، و غيرهم من أعاد العلم و الجاه بالأندلس خلال القرن 5هـ/11م، و كانت تقاليد العلم و الدروس القائمة في نطاق ضيق بسبب الأوضاع الجديدة المضطربة، و من حسن الحظ أن هذا النفر من الفقهاء استطاعوا مقاومة إغراء الوظائف و المكاسب، و كانوا من خيرة أهل العلم في تاريخ الأندلس كله، عرفوا كيف يكونوا جيلا صالحا من العلماء من بعدهم[64]، لهذا نجد الفقهاء و الشيوخ الذين ظهروا في هذا القرن حملوا على عاتقهم مسؤولية إنقاذ الأمة الإسلامية لما آلت إليه من تدهور و انحراف، خوفا من زوال أشرافها و انحراف العقيدة[65]، فتفرقت شمولهم فمنهم من شغلته السياسة و خاض غمار الفتنة، و أخذوا العبرة منها، كالقاضي محمد بن إسماعيل بن عبادة في إشبيلية، و منهم من حاول إصلاح أحوال الأمراء، و من اللذين برزوا في عهد بني هود، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، و كان من أئمة

---

[61] **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص84 86.

[62] Clément, (Français), Pouvoir et légitimité en es pagne musulmane à l'époque des taifas (ve-xie siècle), préface : pierre Guichard, éditions L'hrmattan, Paris, 1997, p99, 100.

[63] **ابن حزم**، المصدر السابق، ص14 15.

[64] **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص80 82.

[65] **ابن حزم**، المصدر السابق، ص261، **حسين مؤنس**، نفس المرجع، ص48. أنظر:

المذهب المالكي، ولد ببلطليوس..... عام 403هـ 1013م، رحل إلى المشرق، درس الفقه ببغداد على يد أبي الفضل بن عمروس و أبي الطيب الطبري و إسحاق طاهر بن عبد الله الشيرازي، ثم انتقل إلى الموصل و درس الفقه على يد أئمتها الكبار منهم السمناني الذي علمه أصول الفقه، و لما عاد إلى الأندلس شغل نفسه في إصلاح الرؤساء و أخذ يدعو أمراء سرقسطة بالإصلاح و الاعتبار[66]، و تفقهت على يده مجموعة من العلماء و الفقهاء و منهم الطرطوسي و ابنه أبو القاسم، و ترك الباجي مصنفات عديدة في الفقه و أصوله و من أشرها:"شرح الموطأ" و هو نسختان: إحداهما " الاستيفاء"، و هو كتاب مفيد، كثير العلم، ثم انتقى منها فوائد سماها "المنتقى"، و قد طبع في سبع مجلدات على نفقة السلطان عبد الحفيظ سلطان المغرب الأقصى سنة 1331م. و له "الإملاء" و هو مختصر لـ"المنتقى"، قد ربعه، و " مختصر المختصر في مسائل المدونة"[67]، و غيرها....

و يذكر القاضي أبو الفضل عياض، أن الوليد كان كثير التردد على بلاط الأمراء بمختلف الحواضر الأندلسية الأخرى خاصة دانية و بلنسية[68]، إلا أنه لقى معارضة على يد أمرائها، الذين استبردوا نزعته، لذلك نجده قد انصرف إلى القضاء و التدريس و التأليف، و قد انتقده الكثير من العلماء و قيل أنه كان يصحب الرؤساء و يقبل جوائزهم، فكثر القائلون فيه من أجل ذلك، و هذا ما أثر في ضعف مكانته و بسبب ذلك اشتغل في مواضع الأندلس قليلة الشأن[69]، و من خصومه أبو الحزم الطاهري، فتذكر المصادر أنه جرت بينهما مناظرة بجزيرة ميورقةMENORCA[70]، أضعفت من شأن مذهبه[71] يذكر أبو المطرف عبد الرحمن أنه عندما ينتصر الباجي يكبره الناس و يهللوه[72].

و نتيجة للوضعية التي أصبح فيها الفقهاء، أقبل الشعراء في ذمهم بالرياء، لأنهم أصبحوا يجزون لهم الدنيا متسترين وراء المظهر الديني[73]، و يمكن مقارنة هؤلاء الفقهاء

---

[66] **أبو الفضل، عياض بن موسي اليحصبي**، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه و صححه: محمد سالم هشام، ط.1، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج.2، ص 348.

[67] **القاضي عياض**، ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص350، أبو المطرف، المصدر السابق، ص 32 33.

[68] **ابن خاقان**، نفس: المصدر السابق، ص197.

[69] **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص86 87.

[70] و في البحر الشامي جزيرتا ميورقة و منورقة، و جزيرة ميورقة مدينة حسنة ، و تدخلها ساقية جارية على الدوام. أنظر: المقري، المصدر السابق، ص 169

[71] **البشري**، المرجع السابق، ص241 243.

[72] **أبو المطرف عبد الرحمن**، المصدر السابق، ص33.

[73] السعيد الورقي، في الأدب الأندلسي،الدار المصرية، الإسكندرية،د .ت، ص60

الذين شغلتهم الوظائف و المناصب و المكاسب، بوضعية البابوات الذي برزوا في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر للميلاد؛ و كانت مكانتهم ضعيفة نتيجة تفشي العيوب في الجهاز الكنسي و من أهمها انتخاب البابوات و بيع الوظائف الكنسية و انتشار الرشوة ما يسمى في التاريخ الأوروبي بالتقليد العلماني[74]. و لهذا كان ابن حزم غير راض عن ملوك الطوائف، فهو يقول في مفتتح إحدى رسائله:

"اللهم إنّا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم، و بعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة في معادهم و دار قرارهم، و بجمع الأموال ربما كانت سببا إلى انقراض أعمارهم و عونا لأعدائهم عن حياطة ملتهم التي عزوا في عاجلتهم و بها يرجون الفوز في آجلتهم..."[75] ، و من كلام ابن حزم هذا يظهر بوضوح نقد لاذع للفقهاء المنتسبين للفقه حسب تعبيره، و هم اللذين ما لأوا و كانوا لهم أكبر عضد في تبرير ظلمهم و طغيانهم، و قد كانوا يأكلون على كل مائدة و يتقبلون في خدمات كل قصر ليحرزوا النفوذ و المال[76]. و يذكر التليلي نقلا عن أبا مروان بن حيان، مؤرخ عصر الطوائف أن يظهر هذا التآلف بين الفقهاء و الأمراء بقوله: "و لم تزل آفة الناس من خلقوا في صنفين كالملح، فيهم الأمراء و الفقهاء، فلما تتنافر أشكالهم بصلاحهم يصلحون، و بفسادهم يفسدون، و قد خص الله تعالى، هذا القرآن الذي نحن فيه اعوجاج صنفيهم لدينا بما لا كفاية له و لا مخلص منه.

فالأمراء القاسطون، قد نكبوا بهم عن نهج الطريق ذيادًا عن الجماعة، وحريا إلى الفرقة، و الفقهاء دائمتهم صوت عندهم صدق كما أكده الله عليهم من التبيين لهم قد أصبحوا بين آكل من حلوائهم، و خابط في أهوائهم و بين مستشعر مخافتهم آخذ بالتقية في صدقهم فما القول في أرض فسد ملحها، الذي هو المصلح لجميع أغذيتها و هل هي إلا مشفية على بوارها و استئصالها"[77].

---

[74] عبد الفتاح العشور، أروبا العصور الوسطى،"التاريخ السياسي"، مكتبة آنجلو المصرية، القاهرة، 1972م، ج.1، ص513- 520، جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية و حصاتها،ط.2، دار النهضة العربية، بيروت، 1987م، ص163- 164

[75] **ابن حزم**، رسالة ابن حزم في التاريخ، المصدر السابق، ص18- 19.

[76] **التليلي**، المصدر السابق، ص 29.

[77] **التليلي**، المصدر السابق، ص 29.

و لكن هذا لا يعني أن مكانة الفقهاء الفقهية ضعفت إلى درجة كبيرة، و إنّما بقوا يحظون بقي يحظى بالاحترام رغم كل شيء، بدليل تواجدهم في مناصب الدولة و الخطط الدينية كالقضاء و الحسبة و غيرها.[78]

هذا ناهيك أن عصر ملوك الطوائف عرف موجة من النبوغ الفكري و الازدهار الثقافي، و قد أثر هذا في تنافس الأمراء على من يملك أكبر قدر من العلماء و الفقهاء في بلاطه[79].

لذلك نجد في سرقسطة انتشار الفقه و الفقهاء و كان أمرائها من المشجعين لها[80] فبرزت مجوعة من الفقهاء في عهدهم، من أمثال أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، أخذ العلم على يد أئمة كبار ببلاد المشرق و المغرب، و كان من تلاميذ الفقيه أبو الوليد الباجي، و كان إماما عالما، زاهدا[81].

و كان الفقيه الرافع بن غربيب[82]، من أهل سرقسطة، و يكنى: أبا الحسن[83]، و كان الفقيه أحمد بن أبي جعفر الزهري المعروف بالأشيري، قد رحل إلى المشرق، و هو الذي اختصر كتاب أبي محمد بن أبي زيد في المدونة[84] و يقول ابن خلدون فيه:"أنه فقيها عالما حافظا"[85].

و برز في سرقسطة في هذا العلم المقرئ و الفقيه الحسين بن محمد بن فيرة، فقيها حافظا، و كان يعيب من الفقهاء الذين يزيفوا القول، و ينمقون الكلام بالكذب في ذلك يقول:

أيعاب الذين هم حفظوا الدين من الترهات و التمويه
و إلى قولهم و ما قد رووه رابع كل عالم و فقيه.[86]

و كان فيها الفقيه السرقسطي سليمان بن حارث بن هارون الفهمي، و يكنى: أبا الربيع، كان من الذين تتلمذوا عل يد الفقيه عبد الحق، ثم رحل إلى المشرق أيام الأمير يوسف بن أحمد، و هناك أدى فريضته في الحج، و لما عاد إلى سرقسطة، أخذ يعلم الناس

---

[78] **المقري**، المصدر السابق، ص، 221، **عبد الرحمن الفاسي**، المرجع السابق، ص20.
[79] **ابن حزم**، طوق الحمامة، المصدر السابق، ص15، 16، **ابن حزم**، فضائل الأندلس، المصدر السابق، ص31
[80] انظر: Clément, François, op.cit, p.p, 90
[81] **ابن سعيد المغربي**، المصدر السابق، ص 424.
[82] توفي عام 435هـ 1043م.
[83] **ابن بشكوال**، الصلة، ج.، تحقيق:1 **إبراهيم الأبياري**، المصدر السابق، ص296.
[84] نفسه، ص158.
[85] **ابن فرحون**، الديباج، المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق و دراسة: **مأمون بن محي الدين الجنان**، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ 1996، ص137.
[86] **ابن بشكوال**، المصدر السابق، ص236 237.

الدروس في الفقه و قواعده و مسائله[87]. و ممن اشتهر في هذا العلم، الفقيه الأجل أحمد بن عبد الله بن عيسى الأموي[88]، يكنى: أبا جعفر، اشتغل قاضيا على مدينة سالم، بعد أن ولاه المقتدر بالله عليها[89]، و من الفقهاء الصالحين العلامة الفقيه الشهير وضاح بن محمد بن عبد الله بن مطرف بن عباد الرُّعيني، و يكنى: أبا محمد، و لد عام 381هـ 991م، سمع من الطلمنكي، و أخذ عن عبد الله بن الحذاء، و أبي بكر بن زهر منهم من أمثال أبو عمران الفاسي، و أبو القاسم عبد الجبار بن أحمد بن عمر بن الحسن الطّرسوسي.[90]

و من مشاهير هؤلاء الفقهاء أيضا: أحمد بن محمد بن سعيد[91]، يكنى: أبا جعفر، المعروف بابن الإقليين، كان فقيها عالما حافظا للفقه المالكي، مقدما في الشورى، و بقي فقيها في سرقسطة[92]، حتى سقطت في يد ألفونسو ملك آرغون، فخرج منها و سكن مدينة بلنسية، و دفن بمقبرة ببطالة[93]. و منهم أيضا الفقيه عبد العزيز بن على بن الإمام الأنصاري، الذي انتقل إلى غرناطة بعد سقوط سرقسطة، و كان من أكابر الطلبة و الفقهاء، و من أهل الأدب و الكتابة[94]، و نجد فيها الفقيه أبو عبد الله السرقسطي[95]، كان مفتيا في الفقه، كما اشتغل في القضاء، و هو محمد بن إسماعيل بن محمد بن فورتش[96]، و برز فيها الأخوان يحي و أحمد بن محمد بن عجلان[97]، فكان الأول فقيها و رياضيا اشتغل في علم الفرائض و الحساب و أما الثاني فكان فقيها عالما بأصوله. و من أهل قلعة أيوب و التي كانت من إحدى مدن الثغر عبد الله بن أيّوب الأنصاري[98]، و يكنى:

---

[87] **ابن بشكوال**، المصدر السابق، ص320.
[88] توفي عام 482هـ 1089م.
[89] نفسه، ص119.
[90] **ابن بشكوال**، الصلة، ج.3، المصدر السابق، ص929.
[91] توفي 525هـ 1131م.
[92] **المقري**، إزهار الرياض، ج.3، المصدر السابق، ص317.
[93] **ابن الآبار**، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: **إبراهيم الأبياري**، ط.1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة بيروت،1410هـ 1949م، ص7.
[94] **ابن الزبير، أبو جعفر أحمد**، صلة الصلة، تحقيق:**عبد السلام الهراس و الشيخ سعيد أعراب**، مطبعة فضالة، المغرب، 1413هـ 1993م، القسم الثالث، ص 250.
[95] توفي سنة 468هـ 1075م.
[96] **المقري**، المصدر السابق، ص317، **القاضي عياض**، المصدر السابق، ص339؛ **الضبي**، المصدر السابق، ص134.
[97] **ابن فرحون**، المصدر السابق، ص96.
[98] توفي 562 هـ 1167م.

أبا محمد، و يعرف بابن خيروج، كان فقيها من أعيان المذهب المالكي، ألف كتاب في الفقه سماه "المنوطة"، و بعد سقوط المدينة انتقل إلى غرناطة.[99]

هذه هي حالة سرقسطة مع الفقه، و التي يتبين لنا من خلالها أنها كانت بالفعل دار فقه كما كانت دار للعلوم الدينية الأخرى من الحديث و الكلام، و كان مسار دار الفقه هذه على المذهب المالكي، الذي كان المذهب الرسمي للبلاد و لأهلها، و استطاع أهل هذا المذهب أن يضيقوا الخناق على باقي المذاهب الأخرى، إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور بعد المذاهب الأخرى و لكن كان ذلك بصورة قليلة، و ظلت بعيدة نوعا ما عن المكانة التي وصلها المذهب المالكي.و قد ترتب على ذلك و قد ترتب على ذلك أن عظمت خطة القضاء، و ارتفعت مكانة القضاة بين الناس، و أصبحوا يتدخلون في الحياة السياسية، و أصبحوا أمل في تحقيق استقلالهم، فثاروا على الأوضاع القائمة في الأندلس خلال فترات الضعف، فنكب بعضهم، و نجح البعض الآخر، و هكذا اتسعت دائرة البحث و الدراسة في هذا العلم، و تفرعت منه علوم أخرى تهتم بأقوال و أفعال الرسول (صلع) و هو علم الحديث.

علم الحديث:

الحديث لفظه معناه الإبلاغ أو الرواية، و قد أطلقت على مجموع الأحاديث لفظ "السنة"، و معناه الطريق الذي يتبعه المؤمنين مقتدين بآثار الرسول (صلع)، و الصحابة و التابعين[100]. و الحديث هو كل ما ورد عن رسول الله، من قول أو فعل أو تقرير. و هو يأتي في الأهمية بعد القرآن الكريم، و ذلك أن كثيرا من الآيات جاءت مجملة أو مطلقة أو عامة، فبيّنها الرسول[101]. و الحديث يتكون من قسمين: الإسناد و المتن، فالأول يعني الأساس الذي يؤيد صحة صدور الحديث أو نقد الإسناد، للتأكد من صحة الراوي[102]، و ذلك حسب شروط معينة، و يسمى "الحديث صحيحا" إذا اكتملت له أسباب الصحة أما الذي يشك في إسناده يسمى حديثا ضعيفا[103]. و من هذه الشروط:

---

[99] **ابن الزبير**، المصدر السابق، ص108.
[100] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص393.
[101] **عبد الحميد عسى**، المرجع السابق، ص300.
[102] **خوليان ريبيرا**، المرجع السابق، ص49.
[103] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص301.

- النظر التام بدقة في الناسخ و المنسوخ.
- النظر في الأسانيد و معرفة شروطها.
- معرفة رواة الحديث.
- التمييز في الألفاظ و الصحيح و الحسن و الضعيف و المرسل و المنقطع ولغريب.
- النظر في الخلافات بين الأئمة و معرفة كيفية أخذ الرواة بعضهم عن بعض القراءة أو الكتابة[104].

و بهذه الشروط وصل أهل السنة إلى جمع الأحاديث في مجاميع منذ القرن الثالث الهجري و اتفقوا على ستة منها:

- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- مسانيد و سنن أبي داوود.
- سنن النسائي.
- سنن الترمذي.
- سنن ابن ماجة.[105]

و لعل أقدم الأحاديث المدونة التي وصلت إلينا هي التي جمعت على يد الفقيه مالك ابن أنس في كتابه المسمى الموطأ[106]، و انتقل علم الحديث إلى الأندلس عن طريق علماء و مشايخ منذ القرن الثالث الهجري، الذي واكب مرحلة الاستقرار السياسي خاصة لما تولى الحكم محمد بن الحكم الإمارة و كان محبا للعلم مؤثرا لأهل الحديث[107]، و في عهد ما ازدهر الحديث ببلاد المشرق، برز محدثون كبار أمثال أحمد بن حنبل و أبي بكر بن أبي شيبة، و اتجه هؤلاء إلى دراسة الحديث دون الانقياد بالمسانيد و المصنفات

---

[104] **بشار قويدر**، المرجع السابق، ص68 69.

[105] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 303.

[106] هو كتاب فقصي تشريعي، يستند على أحديث الرسول، و الاستشهاد بها، و الموطأ يعتمد عليه الفقهاء في حل معضلاتهم سوء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، من بلاد المشرق و المغرب و الأندلس. انظر: **بشار قويدر**، المصدر السابق، ص69.

[107] **ابن القوطية**، المصدر السابق، ص66 69، مجهول، أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص141 145، **الضبي**، المصدر السابق، ص16 17.

المتداولة، و عملوا على نقدها و إعطاء أرائهم في رجالها و محتواها[108]، و خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري تعرض الحديث إلى مضايقات عديدة خاصة من الفقهاء الملتزمين بالمذهب المالكي، و لاسيّما أن الدولة كانت تؤيدهم، كما قلنا سابقا.

و لكن هذا لا يعني أن الأندلس قد خلت من المحدثين، بل مضى البعض منهم في دراسة الأحاديث بمختلفها دراسة مستقلة و من هؤلاء داوود بن جعفر و حبيب ابن الوليد[109]، و بسقوط الدولة العباسية، ظهرت من جديد مدرسة الحديث و تطور نشاطها، لاسيّما بعد أن استغنى أمراء بني أمية من تأييد الفقهاء[110] و ظهرت في الأندلس طبقة جديدة من الشيوخ، يمتاز رجالها بالعلم الواسع و الخلق العظيم[111]، و يرجع الفضل إلى بقي بن مخلد، في إدخال مدرسة الحديث إلى الأندلس، و قد دعا الأندلسيين إلى دراسة الحديث، كما بين لهم فضل الرجوع إلى الآثار عوضا من الاكتفاء بتقليد رأي مالك، و أخذ يقرأ عليهم مسند أبي شيبة، و قد أقبل الناس على دروسه، بعد أن تبين لهم التطور في حياتهم الفكرية، و لكن الفقهاء المالكيين لم يستسلموا للوضع الجديد[112]، و سارعوا إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن، يخوفونه من هذه الطبقة من رجال الحديث، و حرضوا عليه العامة باعتباره خارج عن تعاليم العقيدة المالكية، في حين سارع مجموعة من الفقهاء إلى الأمير محمد، و تحدثوا عن بقي بن مخلد و ما يدعو إليه، و منهم محمد بن الحارث[113] ، و يحي بن يحي الليثي[114] ، و بعد ذلك أرسل الأمير في طلب بقي، و لما حضر إليه عرض له ما كان يدعوا إليه، و ناوله مسند ابن أبي شيبة، و بعد أن قرأه

---

[108] **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص39 40.

[109] هو حبيب بن وليد المعروف بدحون، أمير من الأسرة المالكة، رحل إلى المشرق و حج، و لقي أهل الحديث فكتب عنهم، و أصبح بعلم كثير، و هناك التقى بجارية سوداء من رقيق المدينة، تعرف بإسم "عابدة" تروي عن مالك بن انس و غيره من المشايخ 10 ألاف حديث، فأعجب بذكائها، فاتخذها زوجة له. أ نظر: المقري أحمد بن محمد؛ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ 1968م، ج.2، ص 504.

[110] حسين مؤنس، المرجع السابق،ص41 44.

[111] نفسه، ص36 37.

[112] نفسه، ص 76.

[113] هو **محمد بن الحارث بن أبي سعيد**، ويكني: **أبا عبد الله القرطبي**، تولى أحكام الشرطة المغربي في عهد عبد الرحمن بن الحكم، و تولى خطة السوق في عهد الحكم.انظر: **ابن الفرضي**، المصدر السابق، ص8.

[114] سمع من مالك، و لما عاد على وطنه الأندلس جلب معه علم غزير، وكان فقيها من أحد رواة الموطأ. انظر: **المقري**، نفح الطيب، المصدر السابق، ص339 342.

الأمير أمر بنسخه، و سمح لبقي مواصلة ما كان عليه، و هكذا باشر تدريسه و تحفيظ الناس، و ألف في الحديث، كما وضع تفسيرا متقنا و وضع مسندا.[115]

و في عهد الأمير عبد الله بن محمد، استمر الوضع العلمي بالرغم من الاضطرابات التي عرفتها فترته[116]، إلا أن ذلك لم يمنع من مواصلة المحدثين أعمالهم، وقد بلغ علم الحديث بسرقسطة ذرون من التقدم، و برزت مجموعة من المحدثين، من أمثال المحدث قاسم بن ثابت "ابن حزم"، بن عبد الرحمن بن مطرف بن سليمان العوفي السرقسطي، كانت له رحلة إلى المشرق، و قد لقي أحمد بن سعيد النسائي و سمع منه، و أحمد بن عمرو، و البزّار، و بمكة سمع من عبد الله بن علي الجازولي و محمد بن علي الجوهري، و كان من المعتنين بجمع الحديث، و ألف كتاب سماه "الدلائل"[117]، و يقول فيه الحميري: "و من سرقسطة قاسم بن ثابت[118] صاحب "الدلائل"، بلغ فيه الغاية من الاتقان"[119]، و لم يكمل كتابه، فأكمله أبوه ثابت بعده[120]، و كان قاسم ورعا فاضلا، و يقال أنه مستجاب الدعوة، فيروى أنه دعا لنفسه بالموت فمات.[121]

و في عهد الخلافة الأموية، ظهرت مجموعة من المعتنين بالحديث بسرقسطة، و منهم الوليد بن بكر الغمري السرقسطي[122]، كان عالما و إماما في الفقه الحديث، مهتما باللغة العربية و قواعدها، و كان شاعرا ماهرا، رحل إلى المشرق، ليأخذ العلم من أئمتها و فقهائها، تاركا ورائه مصنفا عديدة في مختلف العلوم خاصة الحديث.[123]

---

[115] **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص47 48.
[116] **ابن الخطيب**، المصدر السابق، ص26، 28، **ابن القوطية**، المصدر السابق، ص83 87.
[117] **القفطي، أبو الحسن على بن يوسف**، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ط.1، دار الكتب المصرية، القاهرة،1369هـ 1950م، ج.1، ص262، **الذهبي، شمس الدين**، تهذيب سير أعلام النبلاء، تحقيق: **شعيب**، ط.2، دار مؤسسة الرسالة، بيروت، ج.2، ص58، السيوطي، جلال الدين؛ طبقات الحفاظ، ط.2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1594هـ، ص357.
[118] توفي 302هـ/924م.
[119] **الحميري**، المصدر السابق، ص317.
[120] **القفطي**، المصدر السابق، ص262.
[121] **الحميري**، المصدر السابق، ص317.
[122] توفي بالدينور 392هـ 1002م.
[123] **الحنبلي، ابن عمار**، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.3، المجلد الثاني، ص141.

و بزوال الخلافة استمرت دراسات الحديث بسرقسطة، و بظهور الأسر الجديدة التي دعمت حكمها بالأسس الدينية المستنبطة من القرآن و السنة، و من البارزين أبو محمد يحي بن إبراهيم بن محارب السرقسطي.[124]

و الجدير بالذكر أن علماء الحديث تناولوا كتب الصحاح و السنن المشهورة: فهذا العلامة الفقيه و المتحدث محمد بن هاشم الهاشمي، من أهل سرقسطة، أحفظ الناس الحديث، و كان يقرأ عليهم من صحيح البخاري و السند، كان دقيق في سرده، و المحدث عبد الله بن عيسى الشيباني[125]، و يكنى: أبا محمد، كان من الحافظين و المتقنين لصحيح البخاري، شديد العناية في شرحه و توضيحه، و بيان غموضه، و كان بارعا في اللغة، توفي في مدينة بلنسية، التي كانت في تلك الفترة مشهورة بدراسات علم الحديث.[126]

و كان هشام بن سعيد الخير بن فتحون، من أهل وشقة، المعروف بأبي الوليد، من المتحدثين الأجلاء، سمع الحديث بالأندلس، فمن شيوخه القاضي أبو الحزم خلف بن عيسى بن سعيد الخير الوشقي و أبو مهدي عبد الله بن أحمد بن بترى، و لما رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، و بالقيروان سمع من أبو عمران بن موسى بن عيسى أبي حاج الفاسي، و أبو إسحاق إبراهيم بن قاسم المكناسي، و عتيق بن إبراهيم و أبو سعيد خلف بن محمد الخرقي، و أبو عبد الله محمد بن عباس الأنصاري، المعروف بابن الخواص، و بمصر سمع من عبد الجبار بن عمر بن أحمد المورئ، و أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن بن منير، و أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحي الإشبيلي، و بمكة سمع من أبو محمد الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن فراس الأطروش، أبو بكر محمد بن أبي سعيد بن سختوبة الإسفريني، و أبو العباس أحمد بن الحسن بن بندار الرّازي، و أبو الحسن علي بم محمد مكي بن عيسون، و أبو عبد الله محمد بن سهلان الواسطي.

---

[124] **البغدادي**، المصدر السابق، ص518

[125] توفي عام 530هـ 1135م.

[126] **ابن بشكوال**، الصلة، ج.2، المصدر السابق، ص447.

و كان أبو الوليد أستاذا جليلا بأكمله، و كانت طريقته في الحديث جميلة، منقطعا إلى الخير[127].

و في أيام المقتدر بالله، اشتهر المحدث القاسم بن الفتح بن أحمد[128]، من أهل سرقسطة، كان بارعا في الحديث، ترك تصانيف فيه، و من أهمها كتابه، "الاستيعاب"، الذي جمع فيه الحديث و علومه، و لكن لم يتمه، و لعل السبب الذي أدى به إلى ذلك وفاته، و هو يناهز الستين أو ثلاثة و الستين من عمره[129]، و من هؤلاء أيضا المحدث العلامة يوسف بن محمد السرقسطي[130]، و كان حافظا للحديث، عارفا بمتنه و مسنده، بارعا في قراءة كتبه[131].

و في أيام عبد الملك بن أحمد، اشتهر المحدث محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير بن علي الأنصاري، يكنى: أبا عبد الله، سمع من الوافدين على سرقسطة، من أمثال أبا الوليد الباجي، و أبو محمد بن فرتش، و الدلائي، و ابن سعدون، و غيرهم بدراسة الحديث و معرفته حق المعرفة[132]. و ألف أحمد بن الطاهر بن علي الخزرجي كتابا في الحديث معتمدا فيه على صحيح مسلم[133]، و في أواخر دولة بني هود برز المحدث أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري، و يكنى: أبا الحسن، ألف فيه كتابه المشهور "تجريد الصحاح الستة و أخبار مكة و المدينة و فضلهما"، و هو كتاب يضم فيه كل ما جاء في مسلم و البخاري و الموطأ و سنن النسائي و سنن الترميذي و أبي داوود، و قد نال إعجاب الكثير من العلماء و الفقهاء من بلاد المشرق و المغرب، و أثناء رحلته إلى المشرق[134]، و السنة التي توفي فيها الأمير عبد الملك الملقب بـ"عماد الدولة". و كان القاضي حسين بن محمد بن فيرة بن حيون المعروف بابن سكرة، المشهور بأبي علي الصدفي، من مدينة سرقسطة، من المحدثين الذين

---

[127] الحميدي أبو عبد محمد بن أبي نصر؛ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1410هـ 1989، ج.2، ص583.

[128] ت 451هـ 1059م.

[129] البشري، المرجع السابق، ص262.

[130] (ت 470هـ 1077م).

[131] الضبي، المصدر السابق، ص473

[132] القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص88 89.

[133] البشري، المرجع السابق، ص254.

[134] الضبي، المصدر السابق، ص278.

عاصروا أواخر عصر الطوائف و عهد المرابطين[135]، بحيث كان القطب الثاني في الحديث في عصر الملثمين، و كان مقرئا و محدثا جليلا، و مكانته عظيمة عند الناس، و كان أهل ثقة، سمع الحديث من أبي العباس العذري و أبي عبد الله بن المرابط، رحل إلى المشرق، و التقى بمحدثها الكبير الطبري، و لما زار مصر التقى بشيخها أبي بكر الشاشي، و أبي بكر الطرطوشي، و لما عاد إلى وطنه وجد سرقسطة قد سقطت في يد العدو، فانتقل إلى مرسية، و أقرأ الناس الحديث بجامعها، كان حافظا لمصنفات الحديث بالمتن و الإسناد، و قد مات شهيدا في إحدى المعارك بثغره سبق و ذكرناه.[136]

و يعتبر صحيح البخاري بخط الحافظ أبي علي الصدفي، المخطوطة الوحيدة الموجودة في العالم، و توجد بالخزانة بفاس تحت اسم النسخة الشيخية، التي نقلوها عن ابن سعادة الأندلسي المحدث[137]. و يقول ابن بشكوال عنه: "و أقبل عن نشر العلم و بثه... و استشهد القاضي أبو علي رحمه الله، في وقعة قتندة بثغر الأندلس يوم الخميس ستين بقين من ربيع الأول من سنة أربع عشرة و خمسمائة".[138]

و أبو عبد الله محمد بن الفرج، رحل إلى المشرق فسمع في العراق و الشام من جماعة منهم أبو الحسين الطيوري و ابن البطر و أبو الفضل بن خيرون و غيرهم، و قد أجازوه جميع رواياتهم في الحديث، و لما عاد إلى وطنه أسمع الناس علمه. و كتب القاضي عياض يجيزه جميع روايته عنهم و عن غيرهم.[139]

كما لجأ إلى بلاط بني هود الفقيه و المحدث أبا الوليد الباجي، و صنف له كتاب في الحديث سماه التعديل و التجريح و آخر "سجلات القضاة" و كتاب "الوثائق" و كلها شرحها و ضبطها و وضحها وضوحا كاملا.[140]

و نستنتج من خلال هذا، أن مستوى الذي حدده بقي بن مخلد، حقيقة مستمرة في تاريخ علم الحديث بالأندلس، بحيث أصبح هناك مستوى رفيع خاص لعلماء الحديث، يختلف

---

[135] **القاضي عياض**، المصدر السابق، ص194

[136] **نفسه**، ص194- 195.

[137] **محمد الأمين بلغيث**، الحياة الفكرية في الأندلس في عصر المرابطين، (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة)، جامعة الجزائر، الجزائر، 1423- 1423هـ/2002- 2003م، المجلد الأول، ص 237.

[138] **ابن بشكوال**، الصلة، ج.1، ص236- 237.

[139] **القاضي عياض**، المصدر السابق، ص89.

[140] **البغدادي، إسماعيل باشا**، هدية العارفين، دار إحياء التراث، العربي، بيروت، 1991م، المجلد السادس، ص64.

عن المستوى الذي كان من قبل، و أصبح المحدثين لهم ثقة، كما امتازوا بقوة الذاكرة و حفظ للأحاديث و أسانيدها، و أصبحوا يجمعون بين العلوم الدينية من فقه و حديث مع معرفة كبيرة باللغة العربية، و امتازوا بالزهد و بساطة العيش و الأصل[141]، لذلك نجد في أغلب تراجمهم المقولة التالية:"... كان فقيها محدثا زاهدا ورعا..."، و هذا ما يدل على أن صفة الورع و الاعتزال كانت الأغلب عليهم، و معظم عمر هؤلاء يفوق السبعين، و مع الزمن تنمو حولهم هالة من القداسة، فيقال فلان مجاب الدعوة، فمثلا يذكر ابن بشكوال في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن منتبيل السرقسطي فيقول: "كان رحمه الله يُتبرك بلقائه، و كانت دعوته مستجابة"[142].

و عن هؤلاء انتقلت الرسالة إلى جيل آخر من أهل العلم و الورع، و الانصراف إلى خدمة الوطن من أمثال ابن الصدفي، و هذا ما جعل الناس يلتفون حولهم و يستمعون لهم[143]. و يتجلى هذا في سيرة رجل مثل عبد الله بن موسى بن سليمان بن علي بن اشكرته الأزدي، المعروف بابن برطلة، و كان تلميذ أبي علي الصدفي المعروف بابن سكرة، و زوج ابنته، رحل إلى المشرق، و قد قضى عمره كله يقرأ الحديث في مرسية.[144]

علم الكلام:

يحتل علم الكلام مكانة مرموقة عند المسلمين، و يعد من أهم العلوم الأصلية النشأة و المنبت، الذي وقف في وجه التشوش الإلحادي و مقارعة أهل البدع و الأهواء[145]، و الزنادقة[146]، بالحجة و الدفاع عن الإسلام بالبرهان العقلي الذي يكتشف عن التوحيد و البحث في ماهية الأشياء و المسببات[147].

---

[141] حسين مؤنس، المرجع السابق، 45 46.

[142] **ابن بشكوال**، الصلة، ج.2، المصدر السابق، ص510 511.

[143] **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص 58.

[144] **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص100.

[145] **محمد بنيعيش**، علم الكلام بين الأصالة و موضوعية المواقف، (مجلة دعوة الحق)،العدد:313، مطبعة فضالة، المغرب، جمادى الأول، جمادى الثانية، 1416هـ أكتوبر1995م، ص46

[146] **الزندقي** في رأي مالك بن أنس هو المرتد عن الإسلام سرا و المظهر إيمانه علنا، وجزاءه ضرب عنقه مثله مثل الذي يجهز بالردة غير أن مالكا يفتى بإعطاءه فرصة أخرى للرجوع إلى دينه، وهذه أوصافه: **كالنفاق** و **إخفاء الإيمان**، و هذا المبدأ الذي وضعه مالك اتبعه المغاربة الأندلسيون.انظر:**الجيوسي** ،المرجع السابق، ص1248

[147] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص328.

و الكلام لغة: هو القول أو اللفظ الدال على معنى يحسن السكوت عليه، و مفرد الكلام، كلمة، و هي اللفظ الذي يتألف من أصوات منطوقة على هيئة حروف و تشير إلى دلالة المعنى.[148] أما اصطلاحا: فيعرفه ابن خلدون: "هو علم يتضمن الحجج على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و عقائد أهل السنة، و سر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد"[149]. و يعرفه صاحب كشف الظنون فيقول:"هو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجيج عليها"[150]. و يتضح لنا من خلال التعريفات، أنه المتكلم يبدأ من مسلمات عقائده، يضعها بنفسه، و دوره الدفاع عن هذه المسلمات بإيتائه الأدلة العقلية الكاملة[151].

و في القرون الأولى من الإسلام، قام السلف بقراءة القرآن الكريم و آمنوا بآياته كما هي، و لم يتعرضوا لمعناها ببحث أو تأويل، و لكن عندما كثرت العلوم، و تطورت الصنائع، و ولع الناس بالتدوين، و البحث في سائر أقطار العالم، حدثت بدعة المعتزلة[152] أما عن نشأة علم الكلام فقد مر بمرحلتين: الأولى: مرحلة الإيمان القلبي و الثانية: مرحلة النظر العقلي[153]، و نتساءل هنا: كيف أصبح علم الكلام من العلوم الإسلامية؟

و للإجابة عن هذا السؤال نعطي مثال، لكي نهاجم الفلاسفة يجب علينا أن نتفلسف، و لكي تنهى عن الخوض في علم الكلام لا بد أن تكون متكلما، و خاصة أن المسلمين الأوائل كانوا يخافون من أهل البدع[154]، لقوله تعالى:

---

[148] **محمد علي أبو ريان**، "تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام"، (المقدمات علم الفلسفة الإسلامية)، ط.2، دار النهضة العربية، د.ت، نن ص131

[149] **ابن خلدون**، المرجع السابق، ص328.

[150] **حاجي خليفة**، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون،(1017هـ-1067هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ 1992م، المجلد الثاني، ص1503.

[151] **أحمد محمود صبحي**: في علم الكلام، (دراسة فلسفة لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين 1- المعتزلة)، ط.5، دار النهضة للطباعة و النشر، بيروت، 1405هـ 1985م، ص21 22.

[152] و هي فرقة انتسب إليها واصل بن عطاء الغزال (80 131هـ/700 741م)، الذي اعتزل أستاذه الحسن البصري الصوفي، و يسمون أصحاب العدل و التوحيد، و يلقبون بالقدرية، و العدلية، و يعتمدون في استدلال على العقل. أنظر: الشهرستاني؛ الملل و النحل، ط.2، دار المعرفة، بيروت، 1975م، المجلد الأول، ص 43.

[153] نفسه، ص22.

[154] **أحمد محمود صبحي**، المرجع السابق، ص23.

"فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَهُ"[155]، و لكنهم أرادوا أن يكون حسب ما جاء في قوله تعالى:

"وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ، كُلٌ مِنْ عِنْدِ رَبنا و ما يذكر إلا أولوا الألباب"[156].

و كانت بوادر ظهور علم الكلام في ذلك الاختلاف حول القضايا التي تركها القرآن الكريم للاجتهاد و المسائل الغامضة فيه، و من بين هذه القضايا في ذات الله و صفاته، ثم قضية الإمامة[157]. و كان المعتزلة، من أوائل المتكلمين، و قالوا بخلق القرآن، و ساندهم بعض الخلفاء العباسيين في المشرق، و تولى الأشعرية[158]، الرد عليهم حتى تمكنوا من القضاء عليهم[159].

و كانت الأندلس متأثرة بالمذهب المالكي، فقد كان حكامها يبدون الاهتمام للفقهاء الذين كانوا من أكابر علماء المالكية، إذ لم يرض الفقهاء أن يروا في مجالس أهل الكلام دفاعا عن حرمة الدين الإسلامي.[160]

و في عهد الخلافة الأموية يبدو أن الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، قام بتأديب أهل البدع و الأهواء[161]، و المقصود منهم عند مالك هم أهل الكلام فكل متكلم أشعريا كان أو غير أشعري، لا تقبل له شهادة في الإسلام، و لا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء[162] و كان المحتسب في هذه الفترة يتعقب الشيعة و الذين وصفوهم بمردة الهواء و أنهم يدعون الملة[163]، و يظهر أن الظروف التي كانت تعيشها الأندلس حينها هي التي دفعت بالخلفاء إلى أن يضيفوا للمحتسبين الاختصاصات، و ذلك بسبب انتشار العقائد الجديدة و علم الكلام و كتب الشيعة.

---

[155] **سورة آل عمران**، آية7.
[156] **سورة آل عمران**، آية7.
[157] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص306 307.
[158] وهو مذهب **أبي الحسن الأشعري** (سنة 295هـ 906م)، وكان معتزلي، ثم أصبح يحاربهم، أثبت الصفات المعنوية و قصر التنزيه على ما قصره عليه السلف، فأثبت الصفات الأربع المعنوية السمع و البصر و الكلام القائم بالنفس بطريق النقل و العقل، ورد على المبتدعة في ذلك، وقد عرف علم الكلام تطورا منهجيا على يد أبي الحسن وقد استقطب بذلك الناس إليه. انظر: **محمد بنيعيش**، المرجع السابق، ص50 51.
[159] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص307.
[160] **نفسه**، ص 307.
[161] **ابن خلدون**، العبر، المصدر السابق، ص147.
[162] **القلقشذي**، المصدر السابق، ص9 10.
[163] نفسه، ص10 11.

و هذا الأمر شبيه بما حصل في الدولة العباسية حين أصبح على المحتسب مطاردة الزنادقة لاستفحال أمرهم بالبلاد، و أود أن أؤكد أن الدراسات الكلامية لم تنتشر في الأندلس كغيرها من العلوم. و السؤال المطروح هنا: هل نبغ علم الكلام في بلاط بني هود؟

تذكر الجيوسي أن علم الكلام لم يلق رواجا كبيرا في سرقسطة[164]، لأن علم الكلام في هذه الفترة تميّز بمخالطة كتب الفلسفة، مما أدى إلى فقدان استقلاليته، بل طابعه الأصولي الواضح في علله و غاياته[165]، و لكن هذا لا ينفي وجود متكلمين، ففي إحدى رسائل أبي الفضل حسداي وزير المؤتمن بن هود، و التي تضم أفكار الإسماعيلية، كالدجال و القائم المنتظر و الدابة و غيرها، و تبين لنا أن سرقسطة حفلت بأفكار المشارقة و آرائهم[166]، و قد جلب إليها العالم الفيلسوف الكرماني، رسائل إخوان الصفا[167].

و من المتكلمين محمد بن حكيم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي، و يكنى: أبا جعفر، من أهل سرقسطة، كان محققا بعلم الكلام، انتقل إلى غرناطة ثم رحل إلى فاس، و قد روى عن أبي الأصح، بن سهل، و أبو الحسن الحضرمي، و ابن ساق، و أبي جعفر بن جرّاح و غيرهم، و كان ابن باق الجذامي مقرئا و عارفا بأصول الفقه، و من المتقنين للنحو و اللغة، و له عدة مصنفات منها كتابه المسمى "إيضاح الفارسي"، و كان من الكتب القيمة، و ضف في الجدل مصنفين أحدهما كبير و الآخر صغير الحجم[168]. و في وصية الباجي نجد تعبيرا صادقا عن موقف أهل الأندلس من علم الكلام، حيث جاء فيها لولديه فقال: "و إياكما و قراءة شيء من المنطق و كلام الفلاسفة، فإن ذلك مبني على الكفر و الإلحاد و البعد عن الشريعة و الإبعاد"[169].و من أشهرهم أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير، كان من المشتغلين بعلم الكلام على المذهب الأشعري، رحل إلى

---

[164] **الجيوسي**، المرجع السابق، ص 1196

[165] **محمد محمود، عبد الله، بن بيّة**، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار الأندلس الخضراء دار ابن حزم، جدة، د.ت، ص117، **محمد بنيعيش**، المرجع السابق، ص 51.

[166] **الجيوسي**، المرجع السابق: ص1308، 1309.

[167] **صاعد الأندلسي**، المصدر السابق، ص 172.

[168] **ابن الخطيب**، لسان الدين؛ **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: **محمد الله عنان**، ط.1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1395هـ 1975م، المجلد الثالث، ص72- 73.

[169] **الباجي أبو الوليد**، وصية الإمام الحافظ أبي الوليد الباجي رحمهم الله أجمعين، تحقيق: **جلال علي الجهاني**، مؤسسة الريان للطباعة ونشر و التوزيع، بيروت، 1416هـ 1996م، ص38.

المغرب و سكن مدينة سبتة ،ثم عاد إلى الأندلس. القاضي عياض، المصدر السابق، ص266

.

و إذا أردنا أن نقرب الصورة عن موقف بعض العلماء من علم الكلام، فهناك قصة لمحدث و فقيه و هو أحمد بن محمد بن سعدي أبو عمر، الذي قام بزيارة بغداد، فأتيحت له الفرصة أن يحضر بعض المجالس العلمية فيها، و لما عاد إلى موطنه الأندلس حكا لأبي محمد بن أبي زيد القيرواني و وصف له المجالس التي كان يحضرها المتكلمين، و كانت تعقد بينهم مناظرات علمية، وبالخروج عن الملة، و لم يحضرها بعد ذلك قط .[170]

فالبرغم من اتجاهات العلماء و الفقهاء الرافضة لعلم الكلام، إلا أن فضل المتكلمين في ازدهار الفكر الإنساني كبير، بحيث خاضوا في الحديث عن الجواهر و تحدثوا عن النهاية و اللانهاية، فهل ترفض هذه العطاءات بمجرد أن نلتزم بالدعوة السلفية؟ فالمتكلمين لم يعارضوا التوحيد بل على العكس من ذلك فقد عملوا على تبيان ما يستدل عن ذلك عقليا و حفظوا على سمّو العقيدة.[171]

علم التصوف:

يعرف اليافعي التصوف فيقول: "التصوف هو ملازمة الكتاب و السنة، و ترك الأهواء و البدع، و تحريم حرمات المشايخ، و رؤية أعذار الخلق، و المداومة على الأوراد، و ترك ارتكاب الرخص و التأويلات"[172]. و يقول فيه ابن عبد ربه: "و التصوف هو الزهد و الاعتزال و الورع. قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الزهد في الدنيا؟ قال: أما إنه ما هو بتحريم الحلال و الإضافة المال، و لكن الزهد في الدنيا أن تكون بما في يد الله أغنى منك بما في يدك.

و قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: من أزهد الناس في الدنيا؟ قال: من لم ينس المقابر و البلى و آثر ما يبقى على ما يفنى و عد نفسه مع الموتى"[173].

---

[170] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص307 308.

[171] **محمد بنيعيش**، المرجع السابق، ص 56 57.

[172] **اليافعي**، أو **محمد عبد الله**، مرآة الجنان و عبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط2، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1390هـ،1970، ج2، ص 388.

[173] **ابن عبد ربه الأندلسي، شهاب الدين أحمد**، العقد الفريد، تقديم: **خليل شرف الدين**، ط2، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1990م، ج2، ص 259.

و نستنتج من التعريفات أن التصوف هو التخلي عن الحياة و المال و الانقطاع إلى العبادة و الدراسة. و حاول المختصين في التصوف الفرق بين الفقه و التصوف، فكانت النتيجة واضحة، فالعلم المستنبط هو علم التصوف أي مستنبطات من القرآن و السنة، أما الفقه يتناول حياة الناس من جميع النواحي و الإيمان أول واجبات المسلم، و علم الأحكام نما قبل العقائد و استطاع أن يحتل مكانة عظيمة بين المسلمين لأنه يعتبر عندهم من الأسس الهامة للتربية الصالحة[174]. و يقوم الفقه على الرواية، أما التصوف قائم على الدراية و المقصود الأعضاء الباطنية، إلا أنهما يجتمعان في مسألة انتمائهما إلى علم الشريعة الإسلامية[175].

أما عن ظاهرة الزهد، و هي التي تهمنا في هذا البحث، قد يتم الزهد في الحياة نتيجة لعدم انسجام الشخص مع المحيط، أو نتيجة لأزمات وجودية أو ما ورائية تنتاب المرء من حين لآخر. و يكون حينها الزهاد أفراد قليلين، أما إذا أصبح الزهد ظاهرة اجتماعية فينطوي تحت لوائها جم كبير منهم. فإن هذا دليل على أن هناك ضربا من الاختلال في المجتمع، و هذا ينطبق على المجتمع الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فقد انتشرت الفرق الصوفية المعروفة بالمريدين في شرقي البلاد و وسطها و غربها.

و رغم أن هذه الحركة نظريا كان منطلقها واحد هو التخلي عن الحياة و المال و الانقطاع للعبادة، إلا أنها كانت عمليا مختلفة النوايا و الأهداف، و متعددة المواقف.[176]

و كانت الحركة الصوفية بالأندلس تقوم على خمسة مبادئ:

المبدأ الأول: هو الزهد في الدنيا مالا و جاها، فمن انشغل فكره بالدنيا و مناصبها و لو بدرت منه خوارق و ظهرت على يديه كرامات فليس من أولياء الله في شيء. و ليس من علماء أو فقهاء الدين في شيء لأنه خان الأمانة و تخلى عن الرسالة و اختار الزهو في الدنيا.

---

[174] **دي بور**، تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله إلى العربية و علق عليه: **محمد عبد الهادي أبو ريدة**، دار النهضة العربية، بيروت القاهرة، 1374، 1954، ص50.

[175] **محمد جلال شرف**، دراسات في التصرف الإسلامي، (الشخصيات و المذاهب)، دار النهضة العربية، بيروت، 1404هـ 1984، ص 17 20.

[176] **جمعية شيخة**، التصوف الأندلسي بين الدين و السياسة خلال النصف الأول من القرن 12/6، (محلية دراسات أندلسية)، العدد21، المطبعة المغاربية للطباعة و النشر و الإشهار، تونس، رمضان 1419هـ/جانفي 1999، ص 68.

المبدأ الثاني: هو المسالمة و تجنّب العنف قولا و فعلا. قال ابن العريف[177] في إحدى رسائله إلى المريدين:"فلا يكوننّ شيء، أحب إليك من تعلم المسالمة".

المبدأ الثالث: مبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر[178]، قال الغزالي:"فإن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، و هو المهم الذي أبتعت الله له النبيين أجمعين"[179].

لقد دلت الآيات القرآنية بوجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لقوله تعالى: "و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و ألئك هم المفلحون"[180]، و قوله تعالى:" **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله**"[181]، و هو ما يدل على أن الله شرط الانتماء لهذه الأمة، بالاحتساب و الإيمان به، و بما أن الانتماء واجب عيني فإن تلك الصفات عينية أيضا[182].

و قد جعل الله مبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، الوسيلة المتاحة للأمة الإسلامية لتقوم بتصحيح المسار الاجتماعي و السياسي[183]، و تقويم كل اعوجاج يظهر في مجتمعاتها، لقوله تعالى:"لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس"[184]، و على العموم كان المتصوفة و الزهاد ينتقدون الأمراء و الحكام في تلك الفترة، لاسيّما بعد اشتداد التكالب النصراني على المدن الأندلسية، و انتشار ظاهرة المجون التي كانت وليدة الشعور بأن الحياة ما هي إلا إشباع الرغبات و الاستمتاع بالملذات، و لنا في الشعر الأندلسي في هذه الفترة، و خاصة دواوين الشعراء، نماذج من هذا السلوك[185].

المبدأ الرابع: رفضه استعمال القوة في الإنكار على الحكم من أجل تغيير الحاكم.

---

[177] هو شيخ المتصوفة بالمرية، و كان معاصرا لفترة أواخر ملوك الطوائف، من أصل الزهد في الدنيا يقصده الناس من كل أنحاء البلاد. أنظر: **جمعية شيخة**، نفس المرجع، ص 70.

[178] نفسه، ص 73.

[179] **أبو حامد الغزالي**، المصدر السابق، ص 9.

[180] **سورة آل عمران**، آية 104.

[181] **سورة آل عمران**، آية 110.

[182] **فضل إلهي**، الحبسة تعريفها و مشروعيتها و وجوبها، ط.2، مطبعة السفير، الرياض، 1993م، ص 76.

[183] **وليد عبد الله عبد العزيز المنيس**، المرجع السابق، ص32 33.

[184] **سورة النساء**، آية رقم: 114.

[185] **ابن حزم**، المصدر السابق، ص 13 16.

المبدأ الخامس: هو مبدأ رفض القول بالمهدي المنتظر، قال ابن العريف في رسالة له إلى ابن المنذر ردا على تساؤله عن المهدي: "و القدح في الدول و انتظار مهدي يصلح به، لا يعتقده حصيف و لا يظنّ مثله بمسلم إلا ضعيف".

المبدأ السادس: هو مبدأ الاعتماد على القلب ذلك أن النفس بريائها أمارة بالسوء و العقل بدهائه مؤد إلى المزالق[186]. و انغمس الأمراء في أجواء المتعة و اللذة، فاتجه العديد من الفقهاء إلى انزواء و الزهد هروبا من الواقع المرير الذي حط بالأندلس[187].

و السؤال المطروح: هل انتشر التصوف في سرقسطة؟ كانت سرقسطة كغيرها من الحواضر الأندلسية الأخرى، تعاني من تقهقر في سياستها الداخلية و الخارجية، و أمام هذه الأجواء برزت طائفة من العلماء الصالحين الذين سلكوا في حياتهم مسلك أسلافهم الذين حافظوا على العقيدة، و سرقسطة قبل مجيء بنو هود كانت زاخرة بالمتصوفين و الزهاد أمثال أبو محمد لب بن عبد الله، كان متناهيا في الفضل و الدين منقطعا إلى الخير، توفي في صدر أيام الأمير عبد الله بن محمد[188]. و الزاهد الحكم بن محمد بن إسماعيل بن داوود القيسي السالمي، يكنى: أبا العاص، رحل إلى المشرق و التقى بكبار علمائها و زهادها، و سمع منهم، و لما عاد إلى وطنه استقر بسرقسطة. و هو من الشخصيات الكبيرة في علم التصوف، و قد تولى الصلاة بمسجدها[189]. و منهم أيضا الزاهد يحي بن إبراهيم بن محارب[190] من مدينة سرقسطة، يكنى: أبا محمد، رحل إلى المشرق و أدى فريضة الحج، كان رجلا فاضلا زاهدا[191]. و من وشق برز العالم الورع سعيد بن سعيد بن كثير المرادي[192]، و يكنى: أبا عثمان، سمع بقرطبة من محمد بن يوسف بن مطروح، و أبي زيد عبد الرحمن بن إبراهيم، و ابن مزين، رحل إلى المشرق و في القيروان سمع من يحي بن عمرو[193].

---

[186] **جمعية شيخة**، المرجع السابق، ص 75.
[187] **المقري**، أزهار الرياض، المصدر السابق، ص 317.
[188] **الضبي**، المصدر السابق، ص 439.
[189] **ابن بشكوال**، الصلة، ج1، المصدر السابق، ص 138.
[190] (ت414هـ 1023م).
[191] **ابن بشكوال**، الصلة، ج3، المصدر السابق، ص 955.
[192] (ت 306هـ 918م).
[193] **أبو محمد الرشاطبي و ابن الخراط**، المصدر السابق، ص 93.

و نستبين من خلال هذا أن المتصوفة في تلك الفترة أي أواخر الخلافة الأموية و ظهور الأسر بالثغر الأعلى كان عددهم كبير لا يسعنا ذكرهم كلّهم، و ربما يرجع ذلك إلى السياسة التي انتهجتها الأسر العربية إبان حكمها للثغر، حيث أنها دخلت في مصاهرات مع الأسر النصرانية من الآراغون و النافار و هذا ما أثر سخط هؤلاء، و فضلوا العزلة و الزهد من أن يرضخوا لأعدائهم. و في عهد أمراء بني هود، انتشر علم التصوف انتشارا واسعا، بدليل ما ذكرته كتب التراجم عن هؤلاء المتصوفة الورعين الذين ساهموا في تنوير الساحة الفكرية و من أشهرهم: عبد الرحمن بن موسى بن عقبة الكلبي[194]، و يكنى: أبا زيد، كان عالما كبيرا في التصوف و الزهد، جامعا للفقه عارفا بأحكامه و أصوله، و يذكر ابن بشكوال أن المقتدر بالله عرض عليه بعض المناصب في الحكم، إلا أبا زيد رفض ذلك[195]. و إن دل شيء فإنه يدل أن مكانة المتصوفة في ذلك العهد كانت تحظ بالاحترام لدى أمراء بني هود، بدليل عرض عليهم مناصب دولة، ولكن يذكر ابن عذارى المراكشي قصة لرجل صالح التجأ إلى المقتدر بالله ناصحا له، و كان من العابدين بقرية بالثغر الأعلى، و قصده بشأن الجزية التي كان يدفعها أمراء الطوائف للنصارى، و نصحه و وعضه بما جاء في الشرع، فغضب ابن هود لما قاله الرجل الصالح، و اعتبر قوله مذلة له، و إحاطة من شأنه، فأمر الجنود بقتل الرجل الصالح، و استمر أمر دفع الجزية، و يقال أن الرجل دعا لابن هود فأصيب بعلة كانت سبب موته[196]. و نلاحظ خلال هذه القصة أن المتصوفة كانوا أقل شأن من طبقة الفقهاء و المشايخ. و لعله أن الفقهاء كانوا يسندون الأمراء و يبررون طغيانهم و يضعون فتاوى فقهية مؤيدة للظلم و الجور و الاستغلال و يبيحون المنكر و الدس و يحللون الاستعانة بالنصارى[197].

و كان أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير من أعيان التصوف في سرقسطة، ثم انتقل إلى مراكش، كان يلبس اللباس الخشن من الصوف فيقول فيه ابن الزيات: "حدثني عبد الله بن موسى قال: حدثني محمد بن الزاهد قال: أدركت أبا الحجاج الضرير

---

[194] (ت 468هـ 1075م).
[195] **ابن بشكوال**، الصلة، ج2، المصدر السابق، ص 510.
[196] **ابن عذارى المراكشي**، المصدر السابق، ص 229.
[197] **التليلي**، المصدر السابق، ص 29 30

بمراكش و شاهدته جميل الصورة، يلبس عباءة صوف، و كان عالما متصوفا زاهدا"[198]، و من دانية برز أبو العباس أحمد بن معد بن عيسى، المعروف بابن الإقليشي كان عالما زاهدا، و له عدة مصنفات منها كتابه المسمى "النجم من كلام السيد العرب و العجم" و من خلال هذا المصنف عارض به شهاب القضاعي المعروف بعزوفه عن الدنيا و أهله و إقباله على العبادة[199]. و من سرقسطة نجد الزاهد عبد الرحمن بن عبد الله بن منتبل السرقسطي الشيخ الصالح، يكنى: أبا زيد، خطيب بلده و إمام جامعه، و يذكر ابن بشكوال أنه كان مستجاب الدعوة، و لما سقطت سرقسطة انتقل إلى بلنسية و ولى الخطبة الصلاة بجامعها[200]. و من الذين اختاروا العزلة و الانزواء السرقسطي عبد الرحمن بن شاطر، يكنى: أبا زيد، و كان شاعرا بارعا في الأدب، إلا أنه انقبض و استقل بنفسه.

و ينسب إلى سرقسطة أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوسي[201]، رحل إلى المشرق و زار العراق و الشام و مصر ثم استقر بالأسكندرية[202]، صحب أبا الوليد الباجي، و كان من الأئمة الزهاد و هذه مقاطع من قصيدته في التصوف:

إن الله عبـــادا فطنـــا طلّقوا الدنيا و خافوا الفتنا
فكووا فيها فلما علموا أنهـــا ليست لحيّ وطنـــا
جعلوها لجة و اتخذوا صالح الأعمال فيها سُفُنـا[203]

من سرقسطة برز أبو عبد الله محمد بن محمد السرقسطي، العالم الزاهد، العارف بما جاء في القرآن الكريم[204]، و من بربشتر ينتسب الفقيه الزاهد ابن العسال[205]، و عندما سقطت المدينة بيد العدو و استوطنوها و جعلوها تحت حكمهم[206]، أنشد ابن العسال قصيدة يقول فيها:

و لقد رمانا المشتركون بأسهم لم تحظ لكن شأنها الإصماءُ

---

[198] **ابن زيات، أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي؛** التشوق إلى رجال التصّوف و أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: **أحمد التوفيق،** ط2، منشورات كلية الآداب الإنسانية بالرباط، الرباط، 1997م، ص105.
[199] **بلنثيا،** المرجع السابق، ص9.
[200] **ابن بشكوال،** المصدر السابق، ص511، القاضي عياض، الغنية، المصدر السابق، ص 167.
[201] (ت 520هـ 1126م)
[202] **ابن بشكوال،** نفس المصدر، ص 510.
[203] **ابن سعيد المغربي،** المصدر السابق، ص 424.
[204] **المقري،** المصدر السابق، ص 317.
[205] **الحميري،** المصدر السابق، ص 90.
[206] **ابن الكردبوس،** المصدر السابق، ص 110.

هتكوا بخيلهم قصور حريمهالم يبق لا جبل و لا بطحاء
جاسوا خلال ديارهم فلهم بهافي كل يوم غارة شعواء[207]

و نستنتج أن أمراء ملوك الطوائف كانوا منبذين من طرف الزهاد و المتصوفين، لاسيّما أن عهدهم عهد الحروب و الفتن و مرحلة من مراحل الضعف و التدهور السياسي، فتح فيها مجال لتدخل النصارى في شؤونهم، خاصة بعد أن اعتصم بهم بعض الملوك الضعاف استنجادا بهم من بعضهم البعض، راضين بدفع الجزية للنصارى، و الخضوع لهم، على الاستسلام لأبناء جلدتهم. و هذا ما فتح المجال في عهد المرابطين لظهور انقلاب حركة التصوف إلى حركة التمرد، و الدعوة إلى السياسة الثورية. و كان ابن قيسي رأس المتصوفة في الأندلس، لتحقيق مطامعهم للوصول إلى الحكم.[208]

[207] **الحميري**، نفس المصدر، ص 90 91.
[208] **جمعة شيخة**، المرجع السابق، ص 70.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: علــوم اللغة العربية و آدابــهــا:

لقد اهتم الأندلسيون كثيرا بالعلوم اللسانية، و حاولوا تطويرها ليسهل أداؤها. و في مقدمة هذه العلوم اللغة العربية، و التي كانت عندهم في قمة العلوم كلها، و ذلك لكونها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، و كذا لغة السنة، لذلك لا بد من أهل الشريعة و الدين أن يعرفوها أحق المعرفة.

كان لهذا الاهتمام ظهور علوم خاصة بالعربية مختصرة في أربعة أركان:

علم النحو: الذي يضع قواعد اللغة العربية، و به تقاس سائر أنواع الكلام.

و النثر و الشعر: و كلاهما يسميان بالأدب، و العلم الذي يبحث عن دلالات المعاني و ينقسم إلى ثلاثة أصناف: علم البلاغة و علم البديع و علم البيان.

و فيها قال ابن خلدون: "علوم اللسان العربي أربعة أركان و هي: اللغة و النحو و البيان و الأدب، و معرفتها ضرورية على أهل الشريعة".

و قد نقلت المصادر الأندلسية كما سبق و أن ذكرنا صورة مميزة عن مسيرة تطور هذه العلوم بالأندلس طيلة الحقبة التي تواجد فيها المسلمين، و خاصة خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

علم اللغة:

اللغة هي ألفاظ يعبر كل قوم بها عن حاجياتهم، و هي من وضع البشرية[1]، و تميزت اللغة العربية بخصائص و قبليات جعلتها تنفرد عن غيرها من اللغات بثروتها الكبرى من المفردات، و ذلك عن طريق الاشتقاق و توليد المفردات المختلفة و تجلى ذلك في دقتها سواء في الأداء و التعبير أو الإجاز[2].

و موضوع هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية، و يهدف إلى حفظ الموضوعات من الفساد بالكتابة و التدوين، لاسيّما عندما اختلطت شعوب العرب بأمم أخرى كالنصارى و اليهود، و نتج عن هذه المخالطة فساد ملكة اللسان العربي، لذلك قام كثير من علماء اللسان

---

[1] **أحمد الهاشمي الطرطوشي**؛ جواهر الأدب في أدبيات لغة العرب، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت، د،ت، ج.2، ص3.

[2] **طه باقر**؛ موجز في تارخ العلوم و المعارف في الحضارات القديمة و الحضارة الإسلامية، ط1، د.ط، القاهرة، 2004م، ص 157.

ببذل قصور جهدهم في حفظ ملكتهم، فألفوا كتب كثيرة و قاموا بإملاء الدواوين، و ما قد يترتب على ذلك من الجهل بالقرآن و الحديث[3].

و كان الخليل بن أحمد الفراهيدي[4] من الأوائل في ذلك[5]، فألف كتاب في اللغة سماه كتاب العين، فحصر فيه حروف المعجم كلّها من الثنائي و الثلاثي و الرباعي و الخماسي، و هذا غالبا ما ينتهي إليه التركيب في اللسان العربي[6]، و لقد دخل هذا الكتاب إلى الأندلس على يد ثابت بن عبد العزيز السرقسطي[7] و ابنه قاسم[8]، و يعتبر كتابهما الدلائل في الحديث سبق و أن ذكرناه، و هو كتاب مفيد ذكر فيه من اللغة ما لم يورد أحد من أهل عصره[9]، و السؤال المطروح: إذا كانت اللغة من العلوم البارزة في الأندلس. فمن أين استمدت موضوعاتها؟ و إذا كانت استمدتها من المشرق. ففي أي إطار تبرز جهودهم في إثراء اللغة بأراضي إسبانيا الإسلامية؟ و لنوضح ذلك بتقييم الحياة اللغوية في الأندلس. فتجمع المصادر أنها كانت متأخرة مقارنة بالحياة اللغوية بالمشرق التي ازدهرت في القرن الثاني الهجري، في حين عرفت خمولا بالأندلس بنتيجة الظروف السياسية الغير المستقرة التي عاشتها البلاد بعد الفتح، لم تسمح لهذا العلم بالظهور جليا[10]، و بقيام الدولة الأموية سنة 138هـ 756م، تطورت اللغة تطورا عظيما، لاسيّما في عهد الأمير هشام الأول بن عبد الرحمان الداخل، لكونه جعل اللغة العربية معممة حتى بين المسحيين، و أصبحت لغة التدريس في جميع المعاهد، و أنشأ الحكم مدرسة في قرطبة جاءها الطلبة المسلمون و المسيحيون من أسبانيا و أقسام أخرى من أوروبا و أفريقيا و آسيا، و استدعى أساتذة من المشرق، و هكذا انتشرت اللغة العربية انتشارا واسعا بين الأسبان المعيشيين للعرب، و لم يكن قد مضى على الفتح العربي نصف قرن من الزمن، حتى أصبحت بالأندلس

---

[3] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 547.

[4] واضع علم العروض،ووضع فيه كتابه "العين"، وكان في أواخر أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد، توفي عام170هـ/786م. انظر: السيوطي، المصدر السابق، ص 7 8م.

[5] نفسه، ص 547؛ أنظر: ARKOUN, Mohamed,OP,CIT, P28.

[6] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 310.

[7] (ت 352هـ 970م).

[8] **عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني**؛ إشارة التعيين في تراجم النحاة و اللغويين، تحقيق: عبد المجيد دياب، ط.1، مثيل الروضة، القاهرة، 1405هـ 1985م، ص 71، الذهبي، المصدر السابق، ص 466، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، المصدر السابق، ص 213.

[9] **الضبي**، المصدر السابق، ص 238.

[10] **البير حبيب مطلق**، المرجع السابق، ص 10 11.

ازدواجية لغوية عربية و رومانية بين عامة الشعب الأندلسي و أصبحت العربية الفصحى لغة الثقافة للأسبانيين[11]، بدليل وجود جميع المخطوطات عند المسحيين المستعربين بقشتالة و جنوب الأندلس و وسطه، كلها باللغة العربية حتى أن الكتاب المقدس ترجم إلى العربية[12]. كما ألف مفكروهم عددا كبيرا باللغة العربية كابن جبيرول، الذي كتب كتابه ينبوع الحياة، و نظم قصيدة عبرية صاغها في بحر الرجز العربي[13]. و مروان بن جناح النحوي اليهودي الذي كان عالما باللغة العربية و مآثرهم بأسلوبهم[14]، و ابن حسداي، و صدرت عنه في ذلك الوقت كتب ظهر إعجازها، و بهرا اقتضائها و إيجازها.[15]

إضافة إلى أن هؤلاء النصارى و اليهود الذين تعلموا العربية أصبحوا يمثلون المناصب المهمة في الدولة و أطلق عليهم إسم المستعربون[16]، و المولدون و هم نتاج تزاوج المسلمين بالاسبانيات، و قد تأثروا بهواية جمع الكتب، و قد استخدم هؤلاء المولدون في القصر لخدمة السلطان، و لما كان هؤلاء يصلون إلى قرطبة و هم أطفال، سواء كان ذلك عن طريق الشراء أم كهدايا من الحكام الأوروبيين، كانت توجه إليهم عناية فائقة لتربيتهم تربية تؤهلهم لكي ينضموا فيما بعد إلى زمرة الأدباء، فيزيدوا من عددهم، و كانوا ينظمون الشعر و يكتبون أدبا باللغة العربية، و ينشئون المكتبات[17].

ولقد قام علماء الأندلس برحلة إلى المشرق للدراسة و لإحضار الكتب الرئيسية من هناك، فبرز من علمائها جماعة وقفت مؤلفاتهم على قدم المساواة مع مؤلفات المشرقية، من أمثال الزبيدي و بن قطبة و ابن السيدة[18]، كما وفد إليها مجموعة من العلماء

---

[11] **محمود الحاج قاسم محمود؛** انتقال الطب العربي إلى الغرب، (مجلة المورد)، العدد 2، وزارة الثقافة و الإعلام، 1983م، 1983، المجلد 12، ص 4.

[12] **BERNARD, Lewis,** Les Arabes dans l'Histoire, traduit de l'Anglais par Annie Mesritz, La Baconnié reneuchatel, suisse, 1958, p :113.

[13] **مسعود كواتي،** اليهود في المغرب الإسلامي منذ الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، (رسالة الماجستير)، إشراف: **عبد الحميد حاجيات،** الجزائر، 1990، ص بلنثيا، المرجع السابق، ص 493، 494.

[14] **مسعود كواتي،** نفس المرجع، ص 161.

[15] **المقري،** المصدر السابق، ص641.

[16] أنظر: Clot, André, op.cit.p.235,236

[17] **خوليان ريبيرا،** المكتبات و هواة الكتب، المرجع السابق، ص70.

[18] **ابن خاقان، محمد بن عبد الله؛** مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ط.1، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1302هـ، ص 60.

اللغويين و النحويين كأبي علي القالي[19]، الذي أدخل معه كتاب المسمى البارع في اللغة، و هو في خمسة آلاف ورقة، و ألف كتابه المشهور بقرطبة الألماني، وله كتاب آخر المقصور و الممدود[20]، و هكذا كان القالي من الأوائل واضعي أساس الثقافة المشرقية بالأندلس في اللغة[21].

و تطورت ضده المادة تطورا كبيرا في القرن الرابع الهجري، و أصبح المستوى اللغوي للأندلس رفيعا، و قد حددت ملامح الازدهارها كالتالي:

- ظهور العالم اللغوي المتخصص، و نبوغه إلى درجة يماثل بها علماء المشرق، مثل أبي بكر بن الزبيدي، و تلامذة القالي.
- استغناء طلاب الأندلسيين عن الرحلة إلى المشرق، لأن بيئتهم أصبحت مركزا من مراكز العلم.
- نشاط حركة التأليف بين أوساط العلماء اللغويين[22].

و لقد بقي فن العربية مزدهرا في الأندلس في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، رغم انحطاط بعض العلوم الأخرى، و عرف نبوغا في سرقسطة البيضاء، فظهر فيها مجموعة من اللغويين في أيام الأمير المستعين بالله الثاني، من أمثال سليمان بن أحمد بن محمد السرقسطي[23]، و يكنى: أبو الربيع، رحل إلى المشرق، سمع عن أبي بكر بن علي بن ثابت الخطيب[24]، و منهم اللغوي الشهير أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي المازني السرقسطي[25]، و يكنى: أبا طاهر، المعروف بلأشتركوني، كان من المعتنين باللغة[26] فألف كتاب سماه المسلسل في غريب لغة العرب، و هو كتاب مشهور يحتوي على خمسين

---

[19] و **القالي** منسوب إلى قالة، و هي بلدة بخوزستان، و إسمه الكامل أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، ولد عام 280هـ - 893م، دعاه الخليفة الناصر لدين الله و عمره ست و سبعون سنة، و دخل إليها عام 330هـ- 942 م. توفي 356هـ- 967م، أنظر: **اليافعي**، مرآة الجنان و عبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط.2، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1390هـ 1970م، ج3، ص57، ابن عماد الحنبلي؛ المصدر السابق، ص 18، **الذهبي**، المصدر السابق، ص 145، المقري، المصدر السابق، ص 386.

[20] **ابن عماد الحنبلي**، نفس المصدر، ص 18.

[21] **عبد العزيز، عتيق**، المرجع السابق، ص 150.

[22] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 312.

[23] (ت489هـ 1096م).

[24] **القفطي**، المصدر السابق، ص 24 26.

[25] توفي بقرطبة، في جمادى الأولى من سنة 538هـ/1143م.

[26] **البغدادي**، المصدر السابق، ص 89.

بابا، ليس لها عناوين و أتبع في ذلك طريقة المطراز[27] في كتابها لمُداخل، بحيث عنوانها بعدد الأبواب، و افتتح كل باب بشاهد شعري كما اختتمها بنفس الطريقة، و كان يأخذ من الشاهد الأول الكلمة التي يجعلها أساسا للتسلسل و يكون الشاهد الأخير استشهادا على معنى الكلمة الأخيرة في الباب[28]. وقد قام بمراجعة كتاب المسلسل محمد عبد الجواد، و إبراهيم الدسوقي البساطي، و هو موجود بالمكتبات. و هذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على براعة التميمي و إتقانه في عرض المفردات و اشتقاقها.

و برز في هذا العلم المحدث عبد الله بن عيسى الشيباني، كان بارعا في اللغة[29]، و يحي بن همام ابن الأزرق[30]، الشهير بالسرقسطي، و قد نال شهرة عظيمة في براعة الخط، كتب للمستعين بن أبي جعفر، و في العهدة المرابطية كتب ليوسف بن تاشفين. [31]

علم النحو:

لقد عني المسلمون عناية فائقة بعلم النحو لإدراكهم لمنفعته لملكة اللسان العربي، إذا حظي بمكانة صامتة في عهد بن أبي طالب- رضي الله عنه و تجلى ذلك من التأليف الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي[32]، و الذي صور لنا بالدقة أبعاد و قوانين معينة للغة العربية، و التي أصبحت القاعدة الأساسية لتلك الملكة، و جعلوها علما خاصا لهم، و اصطلحوا على تسميتها بعلم النحو[33]. فاجتهد المسلمون بعده فيه، و ألفت كتب كثيرة تحمل بين طياتها تفصيلا دقيقا عن معاني الكلام و دلالته و تغير هذه الحركات، اشتهرت فيه مدرستين اثنتين و هما: مدرسة البصرة[34]، و كان من أهم رجالها الخليل بن أحمد الفراهيدي، و عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه، ثم أبو سعيد عبد الملك الأصمعي، و محمد بن الحسن بن دريد[35].

---

[27] المطراز هو محمد بن عبد الواحد البغدادي،من ائمة اللغة،وهو استاذ ابي الطيب اللغوي المتوفي سنة351هـ.962م.انظر **أبو الطاهر، محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي؛** المسلسل في غريب لغة العرب، تحقيق و مراجعة: محمد عبد الجواد و **ابراهيم الدسوقي البساطيُّ**، وزارة الثقافة و الارشاد، د.ت، ص 4.

[28] **نفسه، ص 4 5**؛ عبد الباقي اليماني، المصدر السابق، ص 344.

[29] **ابن بشكوال**، المصدر السابق، ص 447.

[30] (ت 537هـ 1141م).

[31] **العباس بن إبراهيم السملالي**؛ الإعلام بمن حلّ مراكش و أغمات من العلام، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1403هـ 1983م، ج10، ص 197، 198؛ ابن دراج القسطلي، المصدر السابق، ص 53.

[32] (ت 369هـ 688م).

[33] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 549.

[34] مؤسسها أبو **الأسود الدؤلي** ، و قد برز فيها مجموعة من اللغويين و النحويين. أنظر: **السيوطي**، المصدر السابق، ص7.

[35] نفس المصدر، ص 7 و ما بعدها.

أما المدرسة الثانية فهي مدرسة الكوفة، و من أهم رجالها يحي بن زياد الكوفي[36]، تتلمذ عن كسائي، و محمد بن حسن بن أبي سارة الرؤاسي توفي في أيام الخليفة الرشيد[37].

ولقد كان لهاتين المدرستين أثر كبير على الدراسات النحوية في الأندلس، من دخول إنتاجهما إليها، و لقد بذل الأندلسيون جهودا مضاعفة في هذا العلم، و يبدو أن سبب كثرة كتب النحو بالأندلس يرجع أساسا إلى مخالطتهم إلى العناصر البربرية و العجم، فحملت إليها كتب المشارقة في النحو، و الذي كان عن طريق الجودي بن عثمان الذي أدخل كتاب الكسائي كذلك أحضرت كتب سيبوية وكان أول من أدخله الأفشنيق[38] وبدأ الأندلسيون أنفسهم في التأليف في علم النحو، ويذكر الزبيدي أن لجودي تأليف في النحو[39]، كما أدخل ثابت بن حزم وابنه قاسم من أهل سرقسطة كتاب "العين" أيام الأمير عبد الله[40].

و يبدو أن الأندلسيين كانوا يخلطون بين النحو اللغة، حتى ورد أبو عبد الله محمد بن يحي الرباعي[41] عليهم و علمهم الطرق الصحيحة و السهلة في تعليم العربية[42].

و تطورت دراسات النحو في الأندلس تطورا عظيما، حتى ارتفع شأن النحو فيها و كثر علمائها، و في ذلك يقول المقري: "و النحو عندهم في نهاية علو الطبقة، حتى أنهم في هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل سيبويه و هم كثيرو البحث فيه و حفظ مذاهبه كمذاهب الفقه"[43].

و ازدهرت الدراسات النحوية في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، فبرزت قرائح من النحويين فيه، و ألفت مصنفات عديدة في علم النحو، و كانت سرقسطة في هذه الفترة من أهم المراكز العلمية و الأدبية، و كان بنو هود من حماة العلوم و

---

[36] (ت207هـ 813م).
[37] أنشأها **على بن حمزو الكسائي** (ت سنة: 182هـ 798م). أنظر: **السيوطي**، نفس المصدر، ص 8 و ما بعدها.
[38] **الزبيدي**، المصدر السابق، ص 278.
[39] نفسه، ص 278.
[40] **الذهبي**، المصدر السابق، ص 466.
[41] (ت 358هـ 968م).
[42] **الزبيدي**، المصدر السابق، ص 336- 337.
[43] **المقري**، المصدر السابق، ص 221.

الآداب، و قد نبغ بعضهم في ميدان التفكير، و لاسيّما أبو جعفر المقتدر، و ولده يوسف المؤتمن[44].

و قد كان من أهم النحاة السرقسطيين في عهد بني هود إسماعيل بن خلف، الذي كان أحد أعلام النحو أيام الأمير المقتدر بالله، كما كان إسماعيل فصيح الكلام[45].

و كان أحمد بن كوثر[46]، يكنى: أبا عامر، من الفصحاء و المشاركين في علم النحو و الإعراب، فأخذ عنه الكثير من العلماء و اللغويين، و اشتغل في الأوقاف بسرقسطة و مدائنها[47].

و من المشاهير في عهد الأمير عبد الملك بن أحمد، علي بن عبد الله بن موسى بن طاهر الغفاري السرقسطي[48]، كان له علم واسع بالنحو و حظ وافر من اللغة و الأدب، درس في وادي آش Guadix، و كان بارع في الخط.[49]

و كان من أئمة النحو في عهد الملك بن أحمد الشهير الدروقي، أبو محمد بن عبد الله بن حوش[50]، من أهل دورقة[51] ، و كان أعلم أهل عصره بعلم النحو، قال فيه ياقوت الحموي:"... كان آية في النحو"، عالما بالقراءات، و كان له شعر جميل[52].

كما اشتغل اليهود في هذا العلم من أمثال ابن جبيرول، الذي كتب في النحو، و كانت له قصيدة صاغها في بحر الربز العربي، و من خلالها صور حسرته على إخوانه اليهود الذين انصرفوا في الدين من أهل سرقسطة تاركين لغتهم العبرية، و قد سماهم بالجماعة العمياء.[53]

---

[44] **عبد الله عنان**، المرجع السابق، ص 294، 295.

[45] **حسن ابراهيم حسن**، المرجع السابق، ص 447.

[46] (ت 440هـ- 1048م).

[47] **الضبي**، المصدر السابق، ص 477، ابن بشكوال، ج3، المصدر السابق، ص 978.

[48] (ت 535هـ- 1140م).

[49] **يحي وهبي الجبوري**؛ الكتاب في الحضارة الإسلامية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 120، 121.

[50] **ياقوت الحموي**؛ معجم البلدان، ط.1، يونين، بيروت، 1995م، ج2، ص 484.

[51] مدينة بالأندلس من عمل قلعة أيوب، و هي مدينة صغيرة متحضرة، كثيرة البساتين و الكروم، و بينها و بين سرقسطة خمسون ميلا، أنظر: **الحميري**، المصدر السابق، ص 235.

[52] **ياقوت الحموي**، المصدر السابق، ص 484.

[53] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 493-494.

و في هذه الساحة برز النحوي أحمد بن مضاء السرقسطي، المعروف بان إسماعيل، و يكنى: أبا الطاهر، رحل إلى المشرق فلقي العديد من علماء اللغة و النحو، و كانت له تصانيف كثيرة، كان شاعرا عظيما من أهل عصره، و كانت وفاته بمصر رحمه الله[54].

من خلال هذا الاهتمام الكبير بالنحو نذهب إلى أن الأندلس في هذا العهد لم تتبع مدرسة نحوية معينة، و إنما جمعت بينهما، و هذا على العموم.

و على ما يبدو أن سرقسطة سارت على نهج المدرسة البصرية، بدليل إدخال ثابت و ابنه قاسم كتاب "العين" للخليل بن أحمد، لكن نحويي تلك الفترة لم يقلدوا في ذلك بغداد، و إنما ساروا على نهجهم من تلقاء أنفسهم، و كان الاجتهاد في النحو مفتوحا أمام المدرستين و هذا ما أكده الأفغاني بقوله: "إن الدراسات الحديثة بينت أن الأندلسيين كانوا في أرائهم النحوية كالمشارقة حتى عهد الموحدين"[55].

و يبدو أن الأندلسيين كانوا يعلمون أولادهم في المراحل الأولى من التعليم بعض كتب النحو البسيطة أو المختصرة، و يتركون الكتب الكبيرة إلى مرحلة متقدمة من التعليم[56]، و يصف المقري دراسة علم النحو في الأندلس على النحو التالي:"...و كل عالم في أي علم لا يكون متمكنا من علم النحو –بحيث لا تخضى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتمييز، و لا سالم من الازدراء".[57]

و الحقيقة أن الناس في الأندلس كانوا يقومون بهذه الدراسات، بصورة كثيفة، و لكن هذا لا يعني أنهم كانوا في حياتهم اليومية يتحدثون باللغة العربية الفصحى، و إنما كانوا يتحدثون باللغة العامية. و هذا ما أشار إليه المقري بقوله:"مع أن كلام أهل الأندلس الشائع في الخواص و العوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية، حتى لو أن شخصا من العرب سمع كلام الشلوبيني أبي علي[58] المشار إليه بعلم النحو في عصرنا الذي غرّبت تصانيفه و شرّقت و هو يقرئ درسه لضحك بملء فيه من شدة التعريف الذي في

---

[54] **ابن الآبار**، المصدر السابق، ص 44.

[55] **سعيد الأفغاني**؛ هل في النحو مذهب أندلسي، (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد)، المجلد7، 1959م، ص 77، 78.

[56] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 316.

[57] **المقري**، المصدر السابق، ص 221.

[58] هو **عمر بن محمد بن عبد الله الأزدي النحوي** المعروف **بالشلوبيني**. أنظر: **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 318.

لسانه؛ و الخاص منهم إذا تكلم بإعراب و أخذ يجري على قوانين النحو استقلوه و استبردوه، و لكن ذلك مراعي عندهم في القراءات والمخاطبات بالرسائل".[59]

علم البيان:

عرف ابن خلدون هذا العلم بقوله:"فاشتمل هذا العلم بالبيانات على البحث عن هذه الدلالات التي للهيأت و الأحوال و المقامات"[60]. و يقصد بذلك أنه علم يتعلق بالألفاظ و ما تفيده، بالدلالة عليها من معاني[61].

و ينقسم البيان إلى ثلاثة أصناف و هي:

علم البلاغة[62]: يبحث فيه عن هذه الهيئات، و الأحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال.

علم البيان: يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي و ملزومة، و هي الاستعارة و الكناية.

علم البديع: و هو النظر في تزيين الكلام و تحسينه بنوع من التنميق، إما بالسجع أو التجنيس أو الترصيع[63].

و قد كان المشارقة من المؤسسين لهذا العلم، و برع فيه العلماء اللغويين، من أمثال جعفر بن يحي بن خالد البرمكي، و عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، و يكنى: أبو عثمان، المعروف بالجاحظ، و قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، و يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، و يكنى: أبو يعقوب، و قد ألف كتابا في النحو و التصريف و البيان، و سماه مفتاح العلوم[64]، و منهم استمد المغاربة هذا العلم، فبرز فيها مثلا ابن رشيق القيرواني و ألف كتابه المعروف في البلاغة العمدة[65]. ثم انتقل علم البيان إلى الأندلس، و ذاع في ربوعه ذيوعا كبيرا، و ترك أصحابها إنتاجا ضخما،

---

[59] **المقري**، المصدر السابق، ص 221 222.
[60] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 550.
[61] **محمد عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص318.
[62] **علم البلاغة**:"**أداء المعنى بكامله في أحسن صورة من اللفظ**"، سئل المقفع ما البلاغة؟، فقال: "الايجاز من عبر عجز و الإطناب في غير خطل". أنظر: العاملي: **محمد بهاء الدين**؛ الكشكول، ط.1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1403هـ 1983م، ج2، ص 193.
[63] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 551 552.
[64] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 551 552.
[65] نفسه، ص553.

و كان الأمراء لا ينضب تشجيعهم للعلم و العلماء، و لم يكن ملوك الطوائف وحدهم الذين شجعوا العلماء و ازدهرت في عهدهم بل حدث أيضا في عهد الإمارة و الخلافة[66]، كما من لا يتوفر فيه الأدب من علمائهم فهم مشتغل عندهم[67].

و في هذا المجال يكفي الاستدلال ببعض الرموز المعرفية الذين أنجبتهم الأندلس و شهد الغرب على نباهتهم و براعتهم في ميادين علمية عديدة، و نذكر خاصة: أبو قاسم الزهراوي، و هو صاحب كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف[68].

ففي سرقسطة نجد أبو عمرو الباجي الذي استحسن إليه أميرها المقتدر بالله، فقد كان من أمة النحو و اللغة و له معرفة تامة بالكلام على معاني الشعر، في ذلك يقول ابن خاقان :"ولا يباري في بلاغة,براعة ولسان يقصر كل بحر عن مداه"[69].ولما رحل الناجي عن سرقسطة، فحن إليهم فقال يخاطبهم:

سلام على صفحات الكرم على العزم الفرحات الغمم
على الهمم الفارعات النجوم على الألمن الغامرات الديم
سلام شبح الانقلاب المزار نوى غربة على حوار أمم[70].

و منهم أيضا الوزير الكاتب أبو المطرق بن دباغ، من أهل سرقسطة، كان من المشهورين بالبلاغة، فألف للمعتمد بن عباد، ثم كثر عليها البغض و الحسد في بلاطه فانتقل إلى المتوكل بالله، ثم عاد إلى سرقسطة، و كان كثيرا ما يتشكى في كتبه ما يدل على ضيق صدره، فمن ذلك رقعة كتبها إلى ابن جسداي وزير المؤتمن بالله يقول فيها:"كتابي و أنا كلما تضر به غرض الأيام ترميه، ولكن غير شاك من ألامها, لأن قلبي في أغشية من سهامها,فالنصل على مثله يقع والتألم بهذه الحالة قد ارتفع وكذلك التفريع إلى تتابع هان

---

[66] **نور الدين الصغير**:الأندلس النظرية الحضارية لفلسفة السلم و التعايش و الجوار، (قراءة في تجليات الحضارة الإسلامية و إبداعات المسلمين في الأندلس)،(مجلة دراسات أندلسية)،العدد 34، المطبعة المغاربية للطباعة النشر و الابتهار، تونس، جمادى الأولى/شوال 1426هـ جويلية 2005م، ص 32- 33.

[67] **المقري**، المصدر السابق، ص222.

[68] **نور الدين الصغير**، المرجع السابق، ص 34.

[69] **ابن خاقان**،المصدر السابق، ص 106.

[70] نفسه، 106- 107، للاطلاع أكثر عن قصائده أنظر صفحة 106 و ما بعدها.

والخطب إذا اشتدادها وتزايدت على أمادها"[71]. ونلاحظ خلال ضده السطور بديع كثير خاصة الجناس والسجع.

أردت أن أخص بالذكر في هذا الجانب اليهود و مساهمتهم في هذا العلم.

و يعتبر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي العصر الذهبي لليهود إذ ازدهر الفكر اليهودي الأدبي و الفلسفي نتيجة مخالطتهم للعرب، و تطورت اللغة العبرية و أصبح لها أعماقا جديدة من خلال علاقتها باللغة العربية، و العصر هو عصر كبار اليهود في سرقسطة و غيرها من المدن الأندلسية، فإن هذه الفترة قد هيأت الأمن و الاستقرار و التطلع إلى مكانة سامية في الثقافة العربية الإسلامية، و من أمثال الذين جاءوا أو درسوا في عصرهم، نذكر: أبا الفضل بن حسداي، كان من علماء البلاغة[72] المذكور أنفا، و قد نظم أبو الفضل في النثر و الشعر ما لا يحصى[73]، و فيه يقول ابن خاقان:"...و أحرز من البلاغة ما أحرز و سوى في ميدانها إلى أبعد أمد، و بني أغواضها بالصفاح و العمد، فغير وجوه سوابقها"[74]، و يقول فيه ابن سعيد: "... قد قصر الله عليه الإبداع طورا في الندى ببراعة خطيب و بلاغة كاتب..."[75].

و هذه شهادات لأعظم مؤرخي الفترة، و التي لا يمكن الاستغناء عنها.

و هذه قصيدة كتبها، و يظهر من خلالها أسلوبه البلاغي و الأدبي لصاحبها:

توريد خدّك للأحداث لذات عليه من عنبر الأصداع ألمات
نيران هجرك العشاق نارلطى لكن وصالك إن واصلت جبنات
كأنّما الرّاح و الرحات تحملها بدور تم و أيدي الشرب هالات[76].

و كان لهذه القصيدة ذيوعا كبيرا بين أوساط الأدباء و اللغويين لسلالة ألفاظها و معانيها[77].

---

[71] **ابن خاقان**، المصدر السابق، ص110- 111.
[72] **ابن سعيد المغربي**، المصدر السابق، ص441.
[73] **المقري**، المصدر السابق، ص641.
[74] **ابن ابن خاقان**، المصدر السابق، ص191.
[75] **ابن سعيد**، المصدر السابق، ص441.
[76] **ابن خاقان**، المصدر السابق، ص192، ابن دحية، المصدر السابق، ص196.

الأدب:

يكاد كل حديث عن تاريخ الدب الأندلسي قبل الفتح الإسلامي يكون ضربا من الغموض و الجهل، فلمّا فتح العرب إسبانيا حملوا معهم لغتهم و أدابهم، و ظل أهل الأندلس يعتمدون على كتب المشارقة في هذا العلم[78]، و كانوا يطلبون أعمال الأدباء المشرقيين و أشعارهم بمجرد ظهورها هناك، و في ذلك قصة الحكم المستنصر، التي أوردها المقري في كتابه، حين أرسل في كتاب "الأغاني" إلى مصنفه أبي الفرج الأصفهاني و بعث إليه فيه بألف دينار من الذهب الخالص، فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرجه إلى العراق[79]، و كانت أصول الأدب عندهم تتكون من أربعة أركان هي:

- أدب الكاتب لابن قتيبة[80]، و قد قام أبو محمد عبد الله بن السّيد البطليوسي، الذي انتقل إلى سرقسطة أيام المستعين بالله، بشرحه، و كان كثير التنقل بين ممالك الطوائف[81]، و الكامل للمبرد، و البيان و التبيين للجاحظ، و النوادر لأبي علي القالي[82].

و علوم الأدب عبارة أطلقها الأقدمون من الباحثين عن مجالات التفكير العربي، على مجموعة من المعارف التي تتكون منها الثقافة العربية، و قد أحصاها بعضهم إثني عشر علما و هي: الصرف، و النحو، و العروض، و القوافي، و الشعر و اللغة، و الأشياء، و الخط و البيان، و المعاني، و المحاضرة، و الاشتقاق، و رأوها واجبة لتخريج الأديب[83].

و يقسم علماء الأدب المحدثين هذا العلم إلى قسمين هما: الأدب النثري و الشعر و كلاهما قد ازدهر في الأندلس[84]، أما عن الأدب في عصر ملوك الطوائف فسيرة أبو عبيد الله البكري، مرآة تعكس الأحوال خلال هذه الفترة، من خلال في الجانب الوهاج المتمثل في الآداب و رقيه و وصوله إلى غاية الكمال[85].

---

[77] **ابن دحيه**، نفس المصدر، ص196.
[78] **عبد العزيز عتيق**، المرجع السابق، ص5.
[79] **المقري**، المصدر السابق، ص386، **ابن الابار**، الحلة السيراء، المصدر السابق، ص101 102.
[80] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص319.
[81] **المقري**، المصدر السابق، ص643.
[82] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص319.
[83] **بدوي طبانة**: البيان العربي:(دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب و مناهجها و مصادرها الكبرى)، طبعة 7، دار الرياض دار المنارة للنشر و التوزيع دار الرفاعي للنشر و الطباعة و التوزيع، جدة،1408هـ 1988م، ص15.
[84] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، 320.
[85] **عبد الله يوسف الغنيم**، مصادر الكبرى و منهجه الجغرافي:ط.1، ط.2، ذات السلاسل للطباعة و النشر و التوزيع، الكويت،1974 م 1996 م ص21.

و أما ما يخص تطور الأدب في بلاط بني هود فقد عرف ازدهارا كبيرا، و كان المقتدر بالله و ابنه يوسف يشجعان الأدباء و الشعراء[86]، عصرهم عرف نبوغا فكريا و ازدهار ثقافيا، و قد أثر التنافس بين هذه الدويلات لإظهار عواصمهم كمراكز حضارية في تشجيع الثقافة[87].

و يجدر بنا أن نشير إلى تأثير مسلمي الأندلس في الأدب الأوروبي الذي لا يستهان به و قد جاء هذا النقل الفني للأسلوب و المحتوى من مخالطة النصارى للمسلمين كما ساعد في ذلك حركة النقل من العربية إلى اللاتينية، و كان التأثير بينا في الشكل و المضمون إلى يومنا هذا من خلال الكتب التي ترجمت عن اللغة العربية[88].

أ النثر:

ارتقى فن النثر في المشرق ارتقاء كبيرا، و مفادُ هذه الحقيقة، أن العربي بذوقه الفطري يميل إلى السجع في الكلام، حتى أن النثر أو الشعر في عهد الجاهلي لا يدخلون من أنواع البديع، و التي كانت تأتي بطريقة تلقائية، و تطور النثر في العصر العباسي، فظهرت مدرسة شعراء البديع و على رأسهم "أبي تمام"، فأغرقوا الشعر بالبديع، و بمجيء ابن العميد إلى الساحة الأدبية ختم النثر بالسجع الملتزم، و قد تبعه العديد من الأدباء بعده من أمثال القاضي الفاضل و مدرسته.

لقد استطاع الأندلسيون تطوير النثر، فأضافوا إليه طابعهم المميز، و الذي كان وليد أهوائهم و أمزجتهم و ثقافتهم، كما كانت الأوضاع الاجتماعية أثر في ذلك[89]، و أصبح النثر عندهم متنوع ما بين رسالة[90]، و خطبة، و مقامة، و كان النثر في عصر الطوائف يتميز عن غيره بالصيغة الشكلية و المقصود بها نظام السجع و ما يتصل به من فنون الزخرفة اللفظية، و كانت مكانة الكاتب في هذه الفترة يحسد عليها[91].

---

[86] **ابن سعيد المغربي**، المصدر السابق، ص437.
[87] **ابن حزم**، طوق الحمامة،المصدر السابق، ص15 16.
[88] **نور الدين الصغير**، المرجع السابق، ص35.
[89] **عبد العزيز عتيق**، المرجع السابق، ص430 431.
[90] ما نقصده بالرسائل هنا، هي رسائل البيانية، أي الرسائل التي تكون غايتها إظهار البراعة الأسلوبية، و هذا يستبعد الرسائل الفكرية التي تتناول موضوعا فكريا معينا. و من هذه الرسائل الفكرية رسائل ابن باجة السرقسطي و رسائل الحدائق لابن السيد البطليوسي و رسائل ابن حزم في الرد على مخالفيه: للإطلاع أكثر، انظر: السعيد الورقي، المرجع **السابق**، ص 69 و ما بعدها.
[91] **المقري**، المصدر السابق، ص 217.

و كانت سرقسطة في تلك الحقبة رائدة في هذا الفن، و لست أجد دليلا على هذا أكثر من الإشارة إلى الرسائل النثرية التي كتبها أبي الفضل بن حسداي إلى ابن رزين:"كنت أرتاح إذا ومض من أفقه ابتسام بارق، أو ذرّ من سمته الوضاح سنا شارق، فأقتصر من تلقائه، على استنشاق نسيم، و أنّى لي من عرار نجد بشميم، حتى ورد ما أمتع بوابل بعد طلّ، و سقى نهلا، و والي بعل، و بهرا بسحرى حرام و حلّ"[92]، و يظهر التقليد عند بعض المفكرين اليهود و النصارى؛ و أحسن من مثل هذا التقليد و نقل الأفكار العربية على الأندلس، أبو الفضل السرقسطي، حيث تأثر بابن زيدون في الرسالة الهزلية التي أرسلها إلى غريمه، بحيث كتب أبو الفضل رسائل كثيرة و فيها صبّ كل ما لديه من ثقافة و إطلاع في شتى ميادين المعرفة التي كانت متداولة إبان القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[93]، و من أعلام النثر في سرقسطة الكاتب الوزير الفاضل، أبو عمرو بن القلاس[94]، و يذكر ابن بسام أنه كان جيد الكتابة.

و قد مر النشر العربي منذ نشأته بمراحل عديدة[95]، ليتكامل فيما بعد النثر العربي الأصيل، و الحقيقة أن فن النثر قد تطور في الأندلس في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، و كان النثر من العلوم الأدبية النبيلة، و هذا ما أشار إليه المقري بقوله: "و

---

[92] **ابن سعيد المقري**، المصدر السابق، ص 441.

[93] **محمد الآمين بلغيث**، الحياة الفكرية، المجلد الثاني، ص 565.

[94] **بنو القلاس** من أهل بطليوس بالأندلس، و قال أبو عمرو بن القلاس يمدح بطليوس:

بطليوسُ لا أنساك ما اتّصل البعدُ فللّه غَورٌ في جنابك أو نجد

و لله دوحاتٌ تحفُّك بينها تفجَّرَ واديها كما سُقَّقَ البردُ،

أنظر: **المقري**، المصدر السابق، ص 168.

[95] **المرحلة الأولى**: تتمثل في صدر الاسلام و الدولة الأموية، و هي خطب و أقوال الخلفاء الراشدين، حيث تراوح فيها أسلوب بين السجع و المزاوخة و الترسل، و ميزتها أنها تقتبس الحمل من القرآن الكريم. أما **المرحلة الثانية**: بدأت بظهور عبد الحميد بن يحي أواخر الدولة الأموية، و تميز أسلوبها بالاطناب ما أدى بها إلى تطويل الرسائل. و في **المرحلة الثالثة**: ساد فيه أسلوب ابن المقفع في الكتابة، و نعني تبسيط المعاني و توكيدها و تكرير الجمل المتقاربة في معناها مع العناية بالتحليل النفسي و التجارب الأخلاقية، أما **المرحلة الرابعة** فتقترن باسم الجاحظ و تتميز الكتابة فيها على الجمل القصيرة و الفقرات المتقابلة. و في **المرحلة الخامسة**: التي ظهرت في القرن الرابع الهجري على يد أبي الفضل محمد بن الحسين العميد (ت سنة 360هـ 971م)، و تتميز بتوخي السجع القصير، و الاقتباس من القرآن، و أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم ، و الإكثار من أنواع البديع و أعجب بها بديع الزمان الهمذاني. و أما **المرحلة السادسة** تمثلت في طريقة القاضي أبو علي عبد الرحيم البيساني (ت سنة: 596هـ 1200م)، التي تميزت بالتزام السجع الطويل المنمق و التشبيه و الاستعارة و الجناس، و الإكثار من أنواع البديع، و هذا الأسلوب أكسب الكتابة العربية أسلوبا جميلا. أنظر: **عبد العزيز عتيق**، المرجع السابق، ص 430 و ما بعدها.

علم الأدب المنثور من حفظ التاريخ و النظم و النثر و مستطرفات الحكايات أنبل علم عندهم، و به يتقرب من مجالس ملوكهم و أعلامهم".[96]

و كان النشر الأندلسي لا يختلف عن النثر المشرقي، و يتجلى ذلك في المكاتبات التي تصدر عن الأمراء، و التي كانت مطابقة للمكتبات التي كانت بالمشرق، و على سبيل المثال نذكر كتابات ابن زيدون في رسالته الهزلية التي يسخر فيها من ابن عبدوس منافسه في حب ولادة بنت المستكفي بالله، و يتبين من خلالها أسلوبه المشابه لأسلوب الجاحظ في الهزل، و بعد ذلك رحب الأندلسيون بكتابات ابن "العميد" و مدرسته و طريقته[97]، و إذا تصفحنا ما صدر عنهم من كتب التاريخ و التراجم خلال القرنين الخامس و السادس الهجريين، نلاحظ تشابه في كتاباتهم، من مثل المقتبس لابن حيان، و القلائد لابن خاقان و الذخيرة لابن بسام، و على ما يبدو أن منهجهم في الكتابة يسير على طريقة واحدة[98].

و عندما انتقلت إليهم رسائل الهمذاني، تأثروا بها و حاولوا تقليده في المقامات التي صنعها[99]، و السؤال المطروح: و إذا كان الأندلسيون يقلدون المشارقة في كتاباتهم، فهل اختلف النثر الأندلسي على النثر المشرقي؟

و كان متصدرا بسرقسطة، لإقراء الأدب و ولى الكتابة عند بني هود، خلف وراءه رسائل كثيرة تتميز بإنشائها الطويل و أدبها الغريز[100]، و كان متحققا بالنحو، وصل إلى منزلة كبيرة، و كان يشبه به بأبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي[101] و من المولعين بهذا الفن ابن ازراق السرقسطي، و كان من كتاب المستعين بالله الثاني، و قد خلفه ابنه همام بن يحي، و تركه يشتغل في النثر، و كانت وفاته خارج بلده سرقسطة، نتيجة سقوط هذه الأخيرة بيد النصارى[102].

و كان الكاتب أبو المطرف عبد الرحمن بن فاخر المعروف بابن الدباغ من كتاب المقتدر بالله، و لكن لم يلبث عنده إلا قليلا بسبب الخلافات التي كانت بينه و بين آمير بني

---

[96] **المقري**، المصدر السابق، ص 222.
[97] **عبد العزيز عتيق**، المرجع السابق، ص 436.
[98] نفسه، ص437.
[99] **السعيد الورقي**، المرجع السابق، ص 68.
[100] **ابن بسام، الشنتريني**؛ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1398هـ 1978م، القسم الأول، المجلد الثاني، ص 267.
[101] **المقري**، المصدر السابق، ص 186.
[102] **السمداي**، المصدر السابق، ص 197- 198.

هود، فانتقل إلى بلاط بني عباد بإشبيلية، ثم فر إلى بني الأفطس ببطليوس، و كان له أعداء كثيرون، و في نهاية المطاف رجع إلى بلدته سرقسطة، و تذكر المصادر الأندلسية أنه توفي بإحدى حدائقها في حدود سنة 480هـ 1087م.

و كان ابن الدباغ كاتبا و أديبا، و تتميز كتاباته بالنشر الجميل، و معظم رسائله إخوانية، تكاد تكون مواضيعها محصورة في الشكوى عن الدهر، و في إحدى الرسائل ذكر سبب خروجه من سرقسطة[103]. و قد تميزت سرقسطة بمقاماتها، و كان الكتاب يعتمدون بالدرجة الأولى على مقامات الحريري[104]، و تأثروا بها و أصبحوا ينسجون على منوالها، من أمثال الكاتب الفقيه ابن القصير، أبو جعفر عبد الرحمن بن أحمد الأزدي[105]، و ألف محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي السرقسطي، يكنى: أبا الطاهر، مقامات كثيرة بقرطبة، المعروفة بالمقامات اللزومية السرقسطية[106]، و كانت كتاباته تشبه مقامات الحريري في كل تفاصيل فنه[107]، فقد ألف على غراره خمسين مقامة تنصب على مواضيع مختلفة، منها قصة الشحاذة و الكديّة و الحيلة، و يضع الكاتب بطلاها من خياله فينسجها على السياق التالي الراوي و المكدّي، و قد قيّم الأستاذ الدكتور إكناثيوقيراندوا مقامات أبا الطاهر، بمقارنته للمقامات التي أنشأها الأدباء الآخرين، فميز على وجه العموم أن هؤلاء لم يفرقوا بين فن المقامة الأصلي و فن الرسالة، إذ استعملوا قوالب المقامة الشكلية دون مميزتها القصصية من أبطال أحداث و لذلك لأغراض عديدة تكاد تكون بعيدة كل بعد عن أغراض المقامة الأصلية[108]، و تظهر براعة السرقسطي في إنشاءه مقامات استطاع أن يعارض بها مقامات الحريري[109]. و هنا نطرح سؤال: لماذا سميت مقامات السرقسطي بالمقامات اللزومية؟ و يتجلى من خلال

---

[103] **عمر فروخ**؛ تاريخ الأدب العربي، (الأدب في المغرب و الأندلس من الفتح الإسلامي) آخر عمر ملوك الطوائف، أواخر القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد)، ط.3، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م، القسم الرابع، ص 659 و ما بعدها.

[104] هو **أبو محمد الحريري بن علي بن محمد بن ثمان البصري** (ت سنة 446هـ 1064م)، إمام في النحو و اللغة، له مصنفات كثيرة، صاحب المقامات المشهورة بمقامات الحريري، و ذكر ابن الوردي عن ذهبي أنه:**"فارس النظم و النثري"**، و له ولدين أحدهما فقيها و الثاني هو عبد الله من رواة المقامات، و من أشهر تصانيفه **"درّة الغواص في أوهام الخواص"** و له **"دوان الرسائل"**، وضف ملحمة مشهورة المسماة **"تحفة الأحباب من ملحمة الأعراب"**. أنظر: **ابن وردي، زين الدين عمر بن مظفر**؛ تاريخ ابن الوردي، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1417هـ، 1996م،ج2، ص28.

[105] **ابن بشكوال**، الصلة، ج3، المصدر السابق، ص 853، بلنثيا، المرجع السابق، ص 181.

[106] **ابن الآبار**، الحلة السيراء، المصدر السابق، ص 204،205، **المقري**، المصدر السابق، 291.

[107] **حاجي خليفة**، المرجع السابق، ص 1785.

[108] **إكناثيوفيراندو**؛ المقامات اللزومية لأبي الطاهر السرقسطي، (مجلة الدراسات أندلسية)، العدد 27. المطبعة المغاربية للنشر و الاشهار، تونس، شوال 1422هـ/جانفي 2002م، ص58.

[109] **السعيد الورقي**، المرجع السابق، ص72.

إسمها "اللزومية" أن الكاتب التزم بلزوم فائق في كتاباته، و هذا ما لم يلتزم به من جاء قبله كأبي العلاء المعري في لزومياته، و هذه طريقة خاصة تبنى فيها القافية على لزوم حرف زائد على الأقل قبل حرف الروي[110].

و خلال قراءة مقاماته تظهر براعة أسلوبه، فيعرض في مقامه القدرة على مدح الشيء ثم دمه و هي عادة مقامة لوصف العاشق، و اتبع السرقسطي في بنائه لمقاماته طريقة خاصة في السجع[111]، و هذا نموذج للمقامة السادسة من خلالها يصور روح المغامرة التي كانت بحوزة المجتمعين بميناء "عدن" يقول:"أذكرهم بتلك البخور الزاخرة، و السفن الماخرة، و البحر العياج، و الماء الثجاج، و بالأعراف الجون، و الغيابات و الدجون، و العفرات المظلمة، و الأهوال المطلة، و برنة القواصف، و أنه للعواصف...[112]"، فالبرغم من التكلّف الزائد في السجع فإنها تنعدم للتكرار.

و قد أورد النقاد القدامى ضعف أسلوبه و هذا ما أثبته المعاصرون، و لكن هذا لا ينفي انتشار مقامات السرقسطي في جميع أنحاء العالم، و لعل هذا السبب هو الذي أدي إلى شيوعها و شهرتها بين أوساط البلغاء و الأدباء، و دليل ذلك وجود مخطوطات لها بمختلف الدول الأجنبية كإيطاليا و ألمانيا و فرنسا، ولاسيّما بدون المغرب.

و قد قصرت كتب التراجم و الطبقات في ذكره، كان بشكوال و ابن الآبار و غيرهم كثير، و كانت إشارتهم له قليلة لا تكفي بالغرض و لا حتى في ترجمة هذه الشخصية العظيمة رغم مكانته الكبيرة التي حظي بها في تلك الفترة.

و لكن الدراسات الحديثة، لم تهمل هذه العبقرية التي أصبحت شائعة في البحوث الأدبية المتعلقة بالنثر الفني العربي، و لكن لم يتناول أحد تحقيق هذه المقامات اللزومية و التي بقيت شبه مجهولة بين ثنايا المخطوطات و في عام 1982 قام الدكتور أحمد ضيف بإصدار تحقيق كامل لها، و عمل الدكتور حسن الواركلي بنشر التحقيق سنة 1955م، كما قام الدكتور إحسان عباس بتخصيص عدّة صفحات للمقامات اللزومية السرقسطية، و صدرت المقالة المهمة للسرقسطي بقلم الهادي الطرابلسي.

---

[110] **إكناثيوفيراندو**، المرجع السابق، ص 61.
[111] **السعيد الورقي**، المرجع السابق، ص 72.
[112] **نفسه**، المرجع السابق، ص73-72.

أما في الغرب قام مجموعة من الأدباء بترجمتها إلى اللغة الاسبانية.

و الأستاذ الأمريكي المعروف بجيمس مونر فقد كتب مقالين فالأول و قام فيه بدراسة دقيقة لحياة السرقسطي و مؤلفاته أما في الثانية ترجم فيها ثلاث مقامات و هي التاسعة عشر و العشرون و الثامنة و العشرون. و في أواسط عام 1999م أصدر الدكتور إكناثيوفيراندو الترجمة الاسبانية الكاملة[113].

و السؤال المطروح: كيف كانت مكانة الكاتب في هذه الفترة؟ و هذا ما حاول أن يجيب عليه الدكتور يوسف فرحات، من خلال تعليقه لديوان ابن زيدون شاعر فترة ملوك الطوائف، فتوصل إلى أنة الكاتب كان يحظى بمكانة عظيمة لدى الأمراء و تعطي لهم مكافاءات كثيرة، و كانوا يخدمون ملوكهم و الطبقة الغنية، و أصبح من المستلزم حضورهم في مجالس الأمراء[114].

و نستبين من الخلاف الذي جرى بين ابن الدباغ و الأمير المقتدر بالله، أن الكاتب في تلك الفترة، كان له حرية خاصة بدليل مخالفته للحاكم في بعض الآراء.

و برز في بلاطهم الكاتب هشام بن سعيد الخير بن فتحون، المنبوذ بالحمار[115]، و قد ألف بن الحداد كتاب في العروض سماه الامتعاض للخليل، و رد فيه على سعيد السرقسطي، و نقض كلامه فيما تكلم عليه من الأشطار[116]، مما يؤكد على وجود روح العلم و انتشر النثر و أصبح علما يحمل في طياته الأدب العربي الفصيح و ازدهر في تلك الفترة و أصبح له نقاد و اتسع نطاق التجديد بين أوساط الكتاب و الأدباء و النقاد المتخصصين في النثر العربي بالأندلس في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. و نظرا لمكانة الكاتب الرفيعة بين الأدباء، جعلها الأمراء و الحكام من الخطط الأندلسية، و اعتبروها نوعا من أنواع وظائف الدولة، و قد ذهب الأندلسيون إلى تسميتها بخطة الكتابة، و هي على نوعين: أعلاهما كاتب الرسائل، و قد دلت المصادر على أن مكانته ظلت مرموقة في قلوب الناس، و أشرف أسمائه الكاتب، و كان هذا الأخير محل انتقاد كبير من طرف أهلها، و الكاتب الآخر هو كاتب الزمام، و يكون صاحبه من عظماء الناس و أخيارهم و يعرف عندهم بكاتب الجهبذة[117]. و كانت خطة الكتابة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي قد عرفت تطورا ملحوظا إلى جانب الخطط الدينية الأخرى كالحسبة و و القضاء و الشرطة و ولاية المظالم و غيرها من الخطط التشريعية بالأندلس[118].

---

[113] **إكناثيوفيراندو**، المرجع السابق، ص 61 63.
[114] **ابن زيدون**، المصدر السابق، ص 10 12.
[115] **ابن بسام**، المصدر السابق، ص 691.
[116] نفسه، ص692، إحسان عباس، بحوث و دراسات في الأدب و التاريخ، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص299.
[117] **المقري**، المصدر السابق، ص219.
[118] **النباهي**، المصدر السابق، ص5.

على كل فإن الكاتب أصبح له صيغة قانونية و نظرا لفساحة مجالات اختصاصه جعله يرتبط بأجهزة الدولة، و انطلاقا من المكانة التي حظيت بها الكتابة بين الخطط الدينية في الدولة الإسلامية، فإنه يتضح جليا أن صلتها بهذه الخطط صلة قوية

الشعر:

لقد عرفت بلاد الأندلس فن الشعر، و بلغ بها مبلغا محمودا، فقد ساهمت الظروف السياسية و الدينية و الاجتماعية في بلورة هذا الفن بالمنطقة[1]، و كان الأندلسيون مولعين بالشعر الجاهلي كما تأثروا بموجاته، إلا أن بعضهم كانوا يرون فيه شيئا قديما، و حتى أنضم لم يتأثروا بشعر المحدثين، مما بعله يظهر بشكل مغاير عما كان عليه في باقي البلاد العربية[2].

و ميزه الأندلسيون أن شعراء هم يملكون قابلية فطرية شعرية، بالرغم من أن أغلبهم لم يكن عن الدار بين للشعر و لا للأدب، و كانت بيئة الأندلس آنذاك جوا ملائما لتدفق خيالهم و إبداعاتهم[3]، و بالتالي كان الشعر بها غنيا على العكس مما ذكره، غارثيا غومث" حين قال: "أن الشعر الأندلسي فقيرا من الناحية الذهنية التفكيرية"[4]، و مفاد القول أن الشعر الأندلسي عامة مقيد بالقوالب الشكلية الجامدة، و من ثم لم يستطيعوا أن يغيروا شعرهم ماعدا بعض العاني، مثلهم قي ذلك مثل الشعراء بالمشرق الذين حاولوا إعطاء لهذه المعاني صورا جديدة عن طريق صياغتها مراعين في ذلك الناحية البلاغية[5]، و من دلائل ذلك أن الناحية التي تأثروا بها من المتنبي[6] كانت ناحية البراعة لا ناحية التفكير، و بهذا الاعتبار كان الكثير من صناعة هذا الفن الأدبي يرون أن نظم المتبني و المعري[7] ليس من الشعر في شيء، لأنهما لم يجريا على أساليب العرب فيه[8]، و هذا ما أشار إليه ابن خلدون حين عرّفه فقال: "الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة و الأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الرزن و الروي، مستقل كل جزء منهما في غرضه و مقصده عما قبله و بعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة"[9] . فيقصد بالكلام البليغ، كالجنس، و قوله المبني على

---

[1] **مونتغمري وات**، المرجع السابق، ص 80 81.
[2] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 42.
[3] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 321 322.
[4] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 42.
[5] **ابن خلدون**: تح: عبد السلام الشدادي، المصدر السابق، ج.3، ص 284.
[6] متنبي أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي (303 354هـ/915 965م)، شاعر عربي شهير، مدح سيف الدولة، و هو من جملة الشعراء الذين أثروا بصفة حاسمة على مصير الثغر العربي، أنظر ابن خلدون، نفس المصدر، ص 442.
[7] **معري أبو العلاء أحمد بن عبد الله** (363 449هـ/973 1058م)، شاعر و كاتب شهير في العصر العباسي، أنظر: ابن خلدون، نفسه، ص 451.
[8] نفسه، ص 284.
[9] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 284.

الاستعارة أي الخال منها لم يعتبر شعرا، و قوله مفصل بأجزاء متفقة الوزن و الروي، و هذا أساس يفرق بين النشر و المعروفة و إلا أصيح كلاما منظوما لأن الشعر له أساليب تخصه لا تكون للمنثور[10].

و في الحقيقة إذا أمعنا جيدا في الشعر الذي استوطن إسبانيا الإسلامية ، لوجدناه فرعا من فروع الشعر المشرقي، فكان الأدب الأندلسي عامة يتطور بفضل لقاحات جديدة تصله من المشرق[11].

و على ما يبدو أن الشعراء في عهد الدولة الأموية فقد لقيوا حظا وافرا من أمرائهم و حكامهم: ففي عهد عبد الرحمن ابن الحكيم، بعث إلى الملك القسطنطينية توفلس (Theophilus). شاعره يحي الغزال كسفير له[12]؛ و هذا إن دل على شيء فإنه دل على مكانه الشعراء في تلك الفترة و في ذلك يقول المقري :

و الشعر عندهم أهل الأندلس له حظ عظيم، و الشعراء من ملوكهم وجاهة، ولهم عليهم و وظائف، و المجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة....."[13].

و كان الشعراء يلازمون الحكام في معظم الأوقات، و يصفون جلالة مقاعدهم و أبّهتهم[14].

و لقد أنشأ المنصور بن أبي عامر ديوانا خاصا بالشعائر، مهمته ترتيب الشعراء طبقات، و بذل العطاء لهم على أقدارهم في الشعر، وشاع بين الناس الميل إلى الشعر الجميل[15].

و يظهر أن الشعراء الذين انتشروا في الربوع الأندلسية خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي قد وجدوا الجو الملائم لإثراء هذا الفن، وربما يرجع ذلك إلى التشجيع الذي لقيه هؤلاء من الأمراء بما فيهم بني هود، وكانت مملكة سرقسطة آنذاك محطة حضارية وثقافية وعلمية في آن واحد، وهي على كل لم تختلف كثيرا عن نظيرتها

---

[10] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 284، عن شروط و أحكام الشعر، أنظر الصفحات التي بعدها.

[11] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 42.

أنظر: **Miguel André**, La Littérature arabe, 1éd, presse universitaires de France, Paris, 1969, p58, 59.

[12] **المقري**، المصدر السابق، ص 346.

[13] **نفسه**، ص 222.

[14] **نفسه**، 372.

[15] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 322.

من الممالك الأخرى كإشبيلية[16] وشارك الأمراء أنفسهم في قول الشعر وأشهر حكام الأندلس شعر المعتمد بن عباد ملك إشبيلية[17].

وأخذ الشعر يتطور شيئا فشيئا حتى بلغ ما بلغه في هذه الفترة من الازدهار حتى أن أهل الأندلس أصبحوا كلهم شعراء وهذا ما أشار إليه برلنتيا حين ذكر قول القزويني: "إن أرى فلاح يحرث بثوار شلت يرتجل ما شئت من الأشعار فيما شئت من الموضوعات ومضى الشعراء يقطعون الأندلس طولا وعرضا ينتجعون قصور الأمراء حيث يظفرون بالمأوى والضحلات ويحضرون"[18]، و يجدر بنا أن نتعرض إلى أهم العوامل التي أدت إلى ازدهاره:

1- النتاج الثقافي الغزير الذي خلفته عقول المفكرة إبان عصري الأمار والخلافة الأموية.

2- انتشار الأدباء والعلماء والشعراء الذين كانوا في قرطبة في مختلف بلاطات أمراء الطوائف.

3- الحرية التي منحها الأمراء لهؤلاء الشعراء في ممارسة أفكارهم[19].

وكان للشعراء في هذه الفترة ثقل كبير ومكانة يحسد عليها، حتى أن أحدهم كلف أن يمدح أ إلاّ بمائة دينار[20] واستغل هؤلاء صده المكانة لكسب الأموال، وصد مقلل من شأنه ولكن ضد الآي عني أنهم انتهجوا هذا السبيل كله بل بقي بعضهم يحافظ على هذا الفن كعلم أدبي عظيم[21].

فواجه في عصر الطوائف تطورات كثيرة فقد انقسمت الأندلس إلى دويلات متناسقة وأصبح في كل بلاط أمير حاشية من الشعراء والأدباء وهذا ما جعل بنو هود يهتمون بالشعر رغم كونهم من المهتمون بالعلوم العقلية فإن ذوي الاهتمامات الأدبية في البداية لم يجدوا مكانا واسعا عندهم خاصة إذا علمنا إن أمراء بني هود لم ينساقوا إلى تبديد ثرواتهم لمن أتاهم

---

[16] **مونتغمري وات**، المرجع السابق، ص 123.
[17] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 322.
[18] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 78.
[19] **مروان سليم أبو حويج**، المرجع السابق، ص 357- 361.
[20] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 78.
[21] **ابن السيد البطليوسي**؛ الاقتضاب في شرح آداب الكتَّاب، اعتنى بتصحيحه و مراجعة أصله: عبد الله أفندي البستاني، المطبعة الأدبية، بيروت، 1901م، ص 15.

مادحا من الشعراء إلا في بعض الأحيان[22]. وهذا ما ذهب إليه بلنثيا حين قال: "أما أخبار الشعر والشعراء في بلاطهم فقليلة باستثناء رجل مثل اليهودي أبي الفضل حسداي وزير المؤتمن بن هود"[23]. لذلك نجد من نبغ في بلاطهم عدد ضئيل من أمثال ابن الدباغ وأبي عمر بن القلاس[24] وابن باجة الذي خلف وراءه آثار شعرية حسنة[25].

وقد وفد إلى بلاطهم في أيام المقتدر بالله الشاعر ابن الحداد أبي عبد الله محمد ابن أحمد أصله من وادي أسد وكان شاعرا لبني صمادح حكام المرية وكان بحرا في الشعر وله في العلم كثير وقد صنف كتاب مشهور في علم العروض مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية والآراء الخليلية ورد فيه علي سعيد بن فتحون السرقسطي ونقض كلامه في الأشطار[26]. و هذا إن دل على شيء فإنه يدل على تطور العقل ونموه واشتداد المنافسة بين هؤلاء الشعراء مما فتح المجال إلى ظهور روح النقد في أوساطهم.

وكان ابن الحداد يحب صبية نصرانية ذكرها في قصائده وقد سماها نويرة كما فعل الشعراء القدماء في الكناية عمن أحبوه بتغيير كنيتها[27].

وقد ذكرنا سابقا إن عهد المقتدر بالله كان حافلا بالاضطرابات السياسية واشتداد التكالب النصراني على مملكته وفي ذلك كتب ابن الحداد قصيدة يوصف فيها أسباب هجوم ابن رذمير كما وصف انتصار المقتدر في فتح أحد حصون العدو ومن قوله في ذلك:

مضاؤك مضمون له النصر والفتح وسعيك مقرون به اليمن والنجح

إذا كـان سعـي الـمـرء لله وحـده تدانت أقاصي ما نحاه وما ينجو[28]

ونستبين أن الشعراء ساهموا في تدوين الأحداث السياسية عن طريق الدواوين الشعرية التي خلفها، وتعتبر اليوم المادة الأساسية للباحث في معرفة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للتاريخ الأندلسي، كديوان ابن دراج وديوان ابن زيدون وغيرها. في ذلك نجد الشاعر ابن عسال في قصيدة له يذكر أسباب سقوط بربشتر والتي لم

---

[22] **البشري**، المرجع السابق، ص 134.
[23] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 172.
[24] **مروان سليم أبو حويج**، المرجع السابق، ص 357.
[25] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 172.
[26] **ابن بسام**، المصدر السابق، ص 691 692.
[27] **نفسه**، ص 693.
[28] **جمعة شيخة**، المرجع السابق، ص 19.

تذكرها المصادر الأخرى، وكانت الفتنة بين المقتدر وأخيه يوسف، واتفقت المادتان الشعرية والنثرية على أن ما حل بالمسلمين إنما سببه غضب الله عز وجل لكثرة ما اقترف من الذنوب وانفردت المادة الشعرية في ذكر سبب آخر لسقوط المدينة أكثر عمقا من الأول وهو موقف حكام الشعر من إنجاد بربشتر، فهناك النزاع بين الأخوين ولكن هناك الخوف من مواجهة العدو.[29]

وهذا ما أشار إليه ابن عسال في قصيدة سبق وان ذكرناها في علم التصوف.[30]

ومن الوافدين إليهم الشاعر محمد ابن عمار أبي بكر المصغري[31] كان شاعرا معروفا في تلك الفترة وكان معاصرا للشاعر ابن زيدون[32]. فيذكر الأدباء أنهما اشعر أهل عصرهما عينه المعتمد ابن عباد وزيرا ثم ارتقى وأصبح يطلق عليه ذو الوزارتين[33] وإلى جانب كونه شاعرا فكان سياسيا طموحا وكان طموحه هذا من أسباب مقتله[34] استطاع الاستيلاء على مرسية وطمع في الاستحواذ على بلنسية، ولما بلغ ذلك الأمير المعتمد أمر بالقبض عليه ولم يجد أمامه إلا الفرار[35]. إلا أن أسباب هروبه فتذكر المصادر أنه هجّى زوجة المعتمد المعروفة بالرّمكية وهذه المقاطع منها:

تخيرتها من بنات الهجان رميكية لا تساوي عقلا

فجاءت بكل قصير الذراع لئيم النجارين عما وخالا[36].

وأما عن وفاته فقد اختلف فيها، فمنهم من يقول أنه عثر في أحد بساتين سرقسطة مقتولا، ومنهم من ذهب بالقول أن المعتمد قتله في قصره ليلا بيديه.[37]

---

[29] **جمعة شيخة**، المرجع السابق، ص 22 23.

[30] **الحميري**، المصدر السابق، ص 90.

[31] (ت 476هـ 1083م).

[32] **هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله المخزومي**، المشهور بابن زيدون ولد بقرطبة (394هـ 1003م)، عاصر الفتنة البربرية، مات بإشبيلية أين دفن سنة 463هـ 1070م، تاركا ديوانا شعريا عظيما في الغزل و الرثاء و الوصف و الشكوى و العتاب و المديح و الاعتذار. أنظر: **المقري**، المصدر السابق، ص 627 و ما بعدها، **ابن زيدون**، المصدر السابق، ص 14 16.

[33] **المراكشي عبد الواحد**، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ 1998م، ص 79، **الأصفهاني**....؛ جريدة القصر و جريدة العصر قسم الشعراء المغرب الأندلس، ، تحقيق: أذرتاش، الدار التونسية، تونس، 1971، ج.2، ص 72، ابن دحية، المصدر السابق، ص 179.

[34] **المراكشي**، المصدر السابق، ص 87.

[35] **ابن دحية**، المصدر السابق، ص 189.

[36] **الأصفهاني**، المصدر السابق، ص 72.

[37] **ابن سعيد**، المصدر السابق، ص 65.

ولما التجأ ابن عمار إلى بلاط بني هود أيام أميرها المؤتمن بالله كتب هناك شعرا عظيما فمنه ما نظمه في الغزل والهجاء والثناء وهذه أبيات من شعره في الغزل أوجدها للمؤتمن بن هود من مملوك رومي كبس درعا فقال:

واغيد من ظباء الروم عاط فظاهره وبـــاطنـــه حديــد

بكيت وقد دنا ونأى يحنـــاه وقد يبكي من الطرب الجليد

وان فتـــى تـمللـــه بنفـــذ وأحرز رقـــة لفتـــى سعيـد[38]

لقد وجد الشعراء في بلاط بني هود الحرية والراحة التامتين لهذا كثر شعرهم حتى أنهم جاهوا الكثير من ملوكهم وأمرائهم وبعيدا عن السياسة كتبوا قصائد يوصفون فيها الجانب الأخلاقي والاستهتار بأحكام الدين[39]، وهذا لم يمنع من انتشارهم بل أصبح كل أمير يحيط نفسه بحاشية من الشعراء حتى يباهي بهم ويرفع من شأن إمارته[40] وكان ابن عمار يستشير الأمير المؤتمن في بعض المسائل[41]، وهذا ما يدل على أنهم يتلقون الرعاية الحسنة من أمرائهم.

وكما هو معروف أن القرن الخامس الهجري الذي رأسته دويلات ملوك الطوائف كان من ميزتهم تغلب الخمر والبذخ والترف في بلاطهم وهذا ما توجه إليه الشعراء في تلك الفترة وألفوا قصائد في ذلك الصنف سموه بشعر الخمريات وهذه بعض الأبيات كتبها للمؤتمن حين وجد كأسا من الشراب من يده، فقال:

وَهويته يسقي المدام كأنـــه قمر يدور بكوكب في مجلس

متأرّج الحركات تندى ريحه كالغض هزته الصبـــا بتنفس.[42]

وقد ذكرنا سابقا الظروف التي قتل فيها ابن عمار وأمام هذه الأوضاع لم يجمع ديوانه بنفسه فقد اخذ أدباء آخرون المسؤولية على عاتقهم فجمعوه ووضعوه في كتاب خاص وكان أول من قام بجمعه أبو القاسم محمد بن يوسف السلبي من معاصريه ثم اهتم ابن بسام بجمع شعره وأخباره في كتاب سماه نخبة الاختبار من شعر الوزارتين أبي بكر بن عمار كما قام

---

[38] **ابن دحية**، المصدر السابق، ص 172.

[39] أنظر: **Péres Henré**, op.cit, p 18-19

[40] **إبن حزم**، طوق الحمامة، المصدر السابق، ص 13 14.

[41] **المقري**، المصدر السابق، ص 652 653.

[42] **نفسه**، ص 653.

أبو الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي واعتبره المصدر الأول في كتابته وترجمته لابن عمار وتوجد قطعة من هذه النسخة تحتفظ بها خزانة جامع القرويين بفاس وهي مسجلة تحت رقم "1". وتقع هذه القطعة في أربعة عشر ورقة وهي مكتوبة بخط أندلسي ولكن للأسف[43] تمزق بعضها بسبب الحشرات والرطوبة لذلك يصعب على الباحث اقتناءها ومن هؤلاء الشعراء الذين وفدوا إلى سرقسطة في تلك الفترة أبو القاسم بن خيرون من شعراء إقبال الدولة أيام المقتدر بالله وحين اقبل عليه أنشده هذه المقطوعات:

ألا فاطلع بها بدرا منيـــرا وكن لله مانحاها شكـــورا

أيجمل أن أراك أمام لحظي وأبقى خـــاملا كلا فقيـرا[44]

وكان شعراء سرقسطة متأثرين بشعر المغاربة لاسيما أن لهما تقاسيم جغرافية متقاربة هذا فضلا عن أن المنبع الذي نهل منه هذا الفن هو منبع واحد تجلى في الشعر المشرقي الذي كان له اثر عميق في توجيه الشعر في هذه المنطقة ومن الذين تأثروا بالشاعر المغربي أبو الطيب احمد بن الحسين بن محمد المهدوي المسيلي[45] الشاعر السرقسطي المتكلم ابن باق السرقسطي[46]. وكانت قصائد أبي الطيب بالثغر الأعلى آنذاك وكان ابن باق من رواة شعر أبي العرب الصقلي وكانت له مقطوعات شعرية كثيرة مدح فيها الأمير المستعين بالله.[47]

كما كان الشعراء يحظون الناس وينصحونهم في بعض الأمور الدنيوية والأخلاقية فهذا الشاعر أبو القاسم بن الانقر السرقسطي يكتب مقطوعات تمثلت في نصحه لحفظ اللسان من الزّلل وهي:

أحفظ لسانك والجوارح كلها فلكل جارحة عليك لسان

واحزن لسانك ما استطعت فإنه ليث هموا والكلام سنان[48]

---

[43] **جمعة شيخة؛** الشعر، (مجلة الدراسات الندلسية، العدد 22، المطبعة المغاربية، للطباعة و النشر و الإشهار، تونس، ربيع الأول 1420هـ جوان 1999م، ص 97 98.

[44] **ابن سعيد المغربي،** المصدر السابق، ص 419.

[45] **ابن دحية،** المصدر السابق، ص 41 42.

[46] هو **أبو جعفر محمد بن دكم بن باق السرقسطي،** قائد إحدى المعارك التي انتصر فيها المظفر التجيبي، علي بن شنج صاحب نبارة و قد شعر فيه ابن دارج القسطلي، أنظر: جمعة شيخة، الفتن و الحروب، المرجع السابق، ص 17 18.

[47] **ابن دحية،** المصدر السابق، ص 42.

[48] **المقري؛** النفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شرحه و ضبطه: **مريم قاسم طويل** و **يوسف علي طويل،** ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م، ج.5، ص 258.

وكان الأمير المقتدر بالله شاعرا بارعا ومن شعره في قصره:

قصر السرور و مجلس الذهب بكما بلغت نهاية الأرب

لو لم يحزّ ملكي خلافكما كانت لدي كفاية الطلب[49]

ومنهم الشاعر أبو الحسن المعروف بالفكيك وهو من شعراء المقتدر بالله ومن شعره له:

بـعـزك ذلت ملـوك البشـــر وعفرت تيجانهم في العفر

وأصبحـت أخطرهـم بالقنـــا واركبهم لجـواد الخطـر

سهرت وناموا على المأثورات فما لهم في المعالي أثــر[50]

كما ذكرنا سابقا أن أبو الطاهر التميمي استطاع أن يجمع ديوان ابن عمار وهو المعروف بالمقامات اللّزومية السرقسطية وإذا قمنا بقراءة أشعاره تبين لنا موقف الشاعر النفساني والذي يغلب عليه التشاؤم اتجاه الأحداث التي شاهدها في تلك الفترة وقد اثر فيه كثيرا سقوط مدينة سرقسطة في يد النصارى ويقول "ونرو" الذي قام بجمع المقامات لأبي الطاهران الشاعر تبرز فيه براعة متميزة على خلاف ما توحي به قراءة الأبيات الموجودة داخل المقامات من تكرار الأفكار وانعدام الحسن الشعري الأصيل[51]. ومن الشعراء الذين ترددوا على بلاطهم الأديب والشاعر الزاهد عبد الرحمن بن الشاطر ويكنى أبا زيد ويذكر ابن بشكوال انه اختار الانقباض و الاعتزال في أواخر عمره[52].

وهذه مقطوعات انشدها يذكر أن السرقسطيين يرتدون اللباس الأبيض في الحزن يقول فيها:

قد كنت لا ادري لآية علـــه صار البياض لباس كل مصاب

حتى كساني الدهر سحق ملاءة بيضاء من شيبي لفقد شبابي

فلذا تبين لي إصابة من أرى لبس البياض على ثرا الأحباب[53]

---

[49] **المقري**، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 441 442.

[50] **الأصفهاني**، المصدر السابق، ص 217.

[51] **إكناثيو فيراندو**، المرجع السابق، ص 59 60.

[52] ابن بشكوال، الصلة، ج.2، المصدر السابق، ص 510.

[53] **الأصفهاني**، المصدر السابق، ص 217.

والشعر كثير ومصنفاته عديدة وكان الزهو[54] بالشاعرية عند شعراء الأندلس في عهد ملوك الطوائف مزدهرا ويتوقف عند الشعراء في فخرهم الايجابي بجانب حيوي بهم الباحث المعني بالقدرات الفنية لدى المبدعين وتختلف دواعي الزهو فقد يفتخر الشاعر بشاعريته ليثير ممدوحه من أجل كسب مادي أو ليشكو زمانه ومجتمعه وحساده أو ليضع موهبته أمام مواهب نظرائه من المشارقة .

وهذا النوع اوجد منافسة نظيفة إن صح التعبير بين الشعراء وهذا بالأمر الايجابي لازدهار الشعر في تلك الفترة بالرغم من الجانب السلبي الذي تركه هذا الشعر من حسد وكيد وأحقاد وكلها صفات متشابهة فما دام الشعر بضاعة فإنه بحاجة إلى من يعلي شانها ويبرز جودتها ولنأخذ مثال على هذا الشاهد الذي ترافق فيه الفخر بالشاعرية مع المديح بالجود لدى الممدوح.

يقول الأعمى التطيلي في مقدمة قصيدة مدحية:

شعري وجودك يا أبا العباس مثلا قد سرا بنا في الناس

أربى سمائك كل ساو نـــازح وألان شعري كل قلب قاس[55]

ومن أجواء المنافسة وما تجره من حسد وتعريض بالشعراء ننقل ما رد به ابن الحداد على منافسه مفصحا عن قصة علمه وفهمه من ناحية وعن ناحية أخرى يبرز فيها جهله لحساده متحديا إياهم أن يصوغوا قصيدة تماثل قصيدته المميزة التي انتقدوها منها قائلا:

تجلت لهم آيات فهمي ومنطقي مبينة الإعجاز ملزمة العجز

ولاحت لهم همزيه أو حدية وويل بها ويل لذي الهمز واللمز[56]

ويجري هذا النوع في أساليب أخرى كالشكوى من الدهر والزمان والمعني الحقيقي هو المجتمع فالشاعر يشكو الإحساس بالضياع لان المجتمع لا يعطي قيمة لأصحاب العلم والمواهب يقول ابن وهبون شاكيا من الدهر لعدم التفاته إلى قدراته وفي الوقت نفسه يعلي

---

[54] **الزهو لغة** (الكبر و التيّه و الفخر، و الفخر اصطلاحا هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخص به نفسه، أنظر: حميدة البلداوي؛ الزهو بالشاعرية عند شعراء الأندلس، (عصر الطوائف و المرابطين)، (مجلة دراسات أندلسية)، العدد 28، المطبعة المغاربية للطباعة و النشر و الإشهار، تونس، رمضان 1423هـ/نوفمبر 2002م، ص 35.

[55] **حميدة البلداوي**، المرجع السابق، ص 36 37.

[56] نفسه، ص 37.

من طموحه وهمته فهو يفخر بأنه سيتغلب بقلمه على هذا الوضع ولن يرافق سوى الكتاب يقول:

واني لفي دهر فرائس أسده سدى عبثت فيه نيـــوب كلاب

أتخفي على الأيام غر مناقبي وقد بذ شـــاوي كـــل نقـــــاب

ويركبني وسم الخمول وقد غدت خصال المجد والعلا طوغ ركابي[57]

في حين يصرح ابن عمار بصوت أكثر علوا بهذا الفخر يوصف فيها جهل الناس بمكانته وذكائه في قوله:

أنا ابن عمار لا أخفى على أحد إلا على جاهل بالشمس والقمر

وبين طبعي وذهني كل سابقةكالسهم يبعد بين القوس والوتر[58]

ومن خلال هذه القصائد نستنتج أن المجتمع السرقسطي في تلك الفترة كانوا لا يقدرون مواهب الشعراء لعل السبب يعود إلى جهلهم وغباوتهم لاسيّما أنهم محاربين بالدرجة الأولى بحكم المنطقة أنها عسكرية.

بدليل تطور الشعر بحيث برزت فيه مقاييس وضعها الشعراء تقديرا لنظمهم. فوجدناها متمثلة في التهذيب والتجويد والذيوع والانتشار و الاتساق وقوة القوافي والطبع المواتي[59].

حين رصد البحث نصيبا وافرا من الشواهد في الزهو بالشاعرية للجزار السرقسطي في تلك الفترة وجد انه أولى الطبع أهمية فيها فمن هذا ما جاء في افتخاره بالقدرة على الإبداع و الإيتان بجديد المعاني ما قاله في قصيدة:

يذلل لي صعاب القول طبع جعلت إلى رياضة انتدابه

و يهتز القريض إلي عجبا متى أوجفت في احد ركابه

وهل احد بأمضى فيه مني وأنفذ سهما أو أقوى إصابة[60]

كما عرفت الفترة بروز شاعرات كثيرات كن لهن باع كبير وقد خلفن شعرا كثيرا وعميقا من أمثال زينب بالمرية وولادة بنت المستكفي[61]، و أورد ابن حزم في رسالته إحدى

---

[57] **حميدة البلداوي**، المرجع السابق، ص 39.

[58] نفسه، ص 40.

[59] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 301 302.

[60] **حميدة البلداوي**، المرجع السابق، ص46.

النساء اللواتي ينتمين إلى الطبقة الغنية الاجتماعية في الثغر الأعلى و تدعى عاتكة بنت قند و زوجة أبو بكر بن حزم ابن الوزير، و قد تكون من شاعرات تلك الفترة، لاسيّما أن ميزة الأغنياء و الوزراء هي حب الشعر و الغناء[62].

نستنتج أن عصر الطوائف هو العصر الذهبي للشعر الأندلسي كما نعرف وكانت المنافسة على أشدّها بين الشعراء في عرض إنتاجهم أمام الأمراء و الحكام مما هيّأ لظهور نزعة الزّهو بالقدرات الذاتية والثناء عليها في مناسبات مختلفة استنادا إلى ارتباط شعر المديح بالكسب المادي كما أضطر بعضهم إلى الشكوى من النقاد قد يتعرضون إليهم بتهمة الانتحال أو الانتقاص من شاعريتهم أو من موقف مجتمع لم يعترفا بمكانتهم أو من الخمول الذي أصابهم. هذا فضلا عن كثافة التحرير في أبداع الشعر الأندلسي فوصفوا الطبيعة في قصائدهم ويشعروا في المباني الفخمة كالقصور و الأرباض.

وكان شعر الخطابة في هذه الفترة قد لقي نصيبه، نظرا لتمزق أحوال ملوك الطوائف واستعانتهم بالنصارى، كل هذا أدى بالشعراء أن يخطبوا لهم و تنبيه الأمراء عن هذا الوضع المزري، فانتشرت الخطابة حتى أن علماءهم لقبوا بالخطباء، في حين نفى ذلك البعض بقولهم أن هذا النوع من الشعر لم يتلق عناية لانشغال الأمراء بأمور الحرب لذلك ضاقت مجالات الخطابة وأصبحت مقصورة على الخطابة الدينية[63]، والسؤال المطروح هل كان الشعراء ملتزمين في كتابة أشعارهم؟ و أن كانوا كذلك، فمن كان وراء ضد الالتزام؟

أبدى نقاد الأندلس في تلك الفترة عناية واضحة في دراسته الدب على أساس أخلاقي الذي يتم بين صفاء النفس و الجسم، وحددوا الوسائل و الشروط التي ينهجها الشاعر في كلامه كالحيلة الفنية، و مراعاة العامل الاجتماعي كما عملوا على تفسير للمعاني الشعرية و خاصة تلك التي تخص الغزل و من هؤلاء النقاد الدين برزوا في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ابن السيد البطليوسي.

---

[61] **المقري**، المصدر السابق، ص 437، مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص 141.
[62] **ابن حزم الأندلسي**، رسائل، المصدر السابق، ص 67.
[63] **عبد العزيز عتيق**، المرجع السابق، ص 441.

الذي دخل القصة في أيام أميرها المستعين بالله[64] و في نقد أبي عثمان سعيد بن محمد المعافري[65] ذكر أن شعر هذا الأخير يتميز بالصدق و الحق وكما هو يجري في القياس[66].

و هكذا بلغ الشعر بها ما لم يبلغه في الأقطار الأخرى فكثر وتهدبه فنونه و بلغ للجمال و التنميق فيه[67] و هذا السؤال أخر فإلى أي مدى بلغ الشعر تطوره؟

تطور الشعر الأندلسي بصورة رائعة، حتى أنه تفرع منه فنون أخرى واستطاع الشعراء أن يبدعوا فيه فنين جديين وهما الموشح و الزجل.

1- الموشح:

أما الموشح[68] وقد كان ميدان أصل الأندلس الذي فقوا فيه أهل المشرق وتميزوا بيه، و كانوا بيه كالشمس الساطعة وضياء المشرق، ولقد وفروا له كل ما من شأنه أن يكسبه التأنق و الرقة و الرشاقة والخفة لاسيما أنه ارتبط بالغناء و كانت الصورة واحدة من عناصر الفن التي كانت تزين أغصان الموشح و أسماطه وأدواره و أقفاله بمعنى أن حضورها ضروري و كان على الوشاح الإلحاح على هذا السياق على إيراد صور متلاحقة مكثفة لتعبير عن موقف أو مشهد أو تجربة[69]، ما وكان المخترع بها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافى القبري[70]، و أخد عنه ذلك عبد اله بن عبد ربه ألا أن موشحاتهم لم تلق رواجا في تلك الفترة[71]. و الحق من يتبع المعطى التو شحي لوشاحي الأندلس يدرك للتّو أنها لم تزدهر في القرون الأولى، و في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بدأت تظهر تطوراته،

---

[64] **المقري**، المصدر السابق، ص 647.

[65] (ت 428هـ 1037م).

[66] **مصطفى عليان عبد الرحيم**، تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن 5هـ/11م، ط.1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1404هـ 1984م، ص 682.

[67] **المقري**؛ أزهار الرياض في أخبار عياض، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية و دولة الإمارات العربية المتحدة، 1978م، ج.2، ص 206 207.

[68] **الموشح لغة**: في أصل الوضع اللغوي من حلي النساء و هو كرسان، ينظم باللؤلؤ و الجوهر مخالف بينهما و الشبه بين الموشحات و الوشاح ظاهر في اختلاف الوزن و القاضية في الأبيات و جمعها في واحد و لذلك شبه في ترصيعه و تنميقه بوشاح المرأة. أما الموشح لغة فهو فن شعري رفيع يعتمد على الكلام المنتظم و المنمق على وزن خاص به و كان من اختراع أهل الأندلس. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ص 317، محمد بوذينة، المرجع السابق، ص 5، عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص 314.

[69] **أحمد مقبل محمد المنصوري**؛ كثافة التصوير في الإبداع الأندلسي، (الشاعر و الوشاح)، (مجلة دراسات أندلسية، العدد46، المطبعة المغاربية للطباعة و النشر، تونس، ص 52 53.

[70] من بلدة **قبرة Cabra**، بجوار قرطبة، عاش فيها في أواخر القرن الثالث الهجري، في أيام الأمير عبد الله، أنظر: المقري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ص 207.

[71] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 318.

و كان أول من يرع في ذات الشأن بعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن مادح أمير المرية، و جاء خلفه منهم بن أرفع رأسه شاعر المأمون ابن ذي النون أمير طليطلة[72].

ولقد مرت الموسعة بثلاث مراحل أساسية وهي:

ففي المرحلة الأولى وضعت الموشحة بعد أن طوروا الشعر الذي كان في البداية أشطار، ووضعت للموشحة قفلا ختاميا يسمى في لغة الأدب بالمركز.

وفي المرحلة الثانية تطورت لتصبح الموشحة فيها التخمين بعد أن جزأت الأشطار إلى أجزاء صغيرة.

وفي المرحلة الثالثة والأخيرة أصبحت الموشحة أكثر تخمينا للغصون، وهكذا أطلق عليها اسم الموشح التام.[73]

و هنا يجدر بنا أن نشير إلى العوامل التي ساعدت في تطوير الموشح بالأندلس بعد أن لخصها في نقاط:

- الغناء: هو الذي سهل على الوشاح ركوب الأعاريض المهملة، وخاصة قد أصبح عنصرا هاما في حياة الناس من الحكام والأمراء وغيرهم.[74]

وفي هذا الصدد تذكر المصادر أن الأدباء ألغوا الكثير من الكتب الخاصة بعلم العروض، مما يؤكد الصلة بين العروض والغناء وحتى الشعر، فألف عيسى بن نصر في عهد الأمير المؤتمن بالله كتابا في العروض[75]، كما ذكرنا سابقا أن ابن الحداد ألف كتابه المشهور في العروض "الامتعاض للخليل"[76].

وكل هذه التطورات الفكرية أديت إلى صياغة الموشح في سياق جديد يتميز عن سابقه.

- اختلاط اللغتين العربية والأسبانية بين أوساط الأندلسيين أدى إلى اختراع هذا الفن.[77]

---

[72] **المقري**، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 294. ابن خلدون، المصدر السابق، ص 318. عدنان فائق العنتباوي، المرجع السابق، ص 152.

[73] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 149، السعيد الورقي، المرجع السابق، ص 108، 109.

[74] **السعيد الورقي**، نفس المرجع، ص 107، 108.

[75] **إحسان عباس**، المرجع السابق، ص 67.

[76] **ابن بسام**، المصدر السابق، ص 192.

[77] **العبادي**، في تاريخ المغرب و الأندلس، المرجع السابق، ص 161.

و بدون شك، العلاقة بين الموشح والغناء متميزة فقد كان من الطبيعي أن يتناول الموشح ما يتناوله الغناء من غزل ومدح وهجاء وغيرها من الفنون، ثم أخذ يركز على مجالات أخرى كالتصوف والزهد، لذلك اجتذب إليه العديد من العامة والخاصة بالأندلس.[78]

وقد تميزت الموشحة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، بالأبيات المركبة وبتعدد الفقرات في أسماطها وأقفالها.[79]

وبالرغم من أن انتشارها في هذا العصر كان نوعا ما قليلا إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور وشاحين بسرقسطة، فبان فيها الفيلسوف أبو بكر ابن باجة صاحب التلاحين المعروفة[80]. فيذكر ابن خلدون أن في عهد ابن تيفلويت صاحب سرقسطة في عهد الملثمين، أنه حضر مجلسا، فألقى على بعض قيناته موشحته التي أولها:

جر الذيل أيما جر وصل السكر منه بالسكر

فطرب الممدوح لذلك فلما ختمها بقوله:

عقد الله راية النصر لأمير العلى أبي بكر

وقد نالت هذه الأشطار إعجاب الأمير وحلف أن لا يبرح ابن باجة قصره إلا وهو ماشيا على الذهب، فجعل الذهب في نعله.[81]

ونستبين من هذه القصة الاستفرادية أن الأمراء في عصر المرابطين ومن قبل كانوا يشجعون الوشاحين، ولاسيما أنه فن جديد ابتدعه المتأخرين على حد قول العلامة ابن خلدون.

ويبرز فيها أيضا الأعمى التطيلي الذي كانت موشحاته في قمة الإبداع، إلا أنها عرفت في عصر الملثمين نبوغا عظيما.

وكانت جماعة من الوشاحين يجتمعون في مجالس أدبية، وكان كل واحد منهم يضع موشحته ويتأنق فيها.

---

[78] **عنتباوي**، المرجع السابق، ص 152.
[79] **عبد العزيز عتيق**، المرجع السابق، ص 366.
[80] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 320، إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، (عصر سيادة قرطبة)، المرجع السابق، ص 300- 301.
[81] **ابن خلدون**، نفس المصدر، ص 320.

وفي مجلس بإشبيلية حضره وشاحين من جميع الحواضر الأندلسية لإلقاء ما عندهم. فتقدم الأعمى التطيلي للإنشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله :

ضاحك عن جمان سافر عن بدر

ضاق عنه الزمان وحواه صدري

ومزق يحيى ابن بقي موشحته وتبعه الباقون[82]، وان دل على شيء فإنه يدل على روح الإبداع الفكري الذي بدأت بذوره في هذه الفترة، لتخرج على شكل قوالب في عهد المرابطين والموحدين.

وبرز في سرقسطة أيضا أبو بكر أحمد ابن مالك السرقسطي المعروف بابن الجزار، وكانت له مقاطع من موشحته المشهورة من قوله:

ماذا حملـــــوا فؤاد الشجي يوما ودعوا

مالي بالنـــوى يـــد تستطـــــــــاع

ونـــار الجـوى يذكـها الـــــــــوداع

وسر الهـــوى بدمـــوعي يـــــــذاع[83]

والملاحظ لهذه الموشحات أن التصوير يبدو بارزا فيها بل يُجوّد فيها، ويمنحها جمالا ولو تتابعت، فنلمح مثلا موشحة التطيلي الاستعارات متوالية فهي أي المعشوقة –تضحك عن أسنان كجمان، وتسمر عن وجه كالبدر، والزمان يضيق لغنجها ودلالها ولكن صدره – أي المحب يتسع لذلك الغنج والدلال.

ولم يكن الغزل كما لاحظنا هو الممطر على مخيلة الوشاح بتدافع الصور المتلاحقة في سبيل استعلاء الجمال بكل عناصره في المحبوبة،وإنما أيضا نالت الموضوعات الأخرى حظها أيضا في تدافع الصور وكأنها سمة غالبة كان يحرص عليها الوشاح ويحققها في معظم عرضه[84]. و قد أستنتج من خلال تطور الموشح بالأندلس الذي يبلغ مدى كبير في عهدي الطوائف و المرابطين، إلا أنه لا يخفى علينا أن سرقسطة لم يظهر فيها وشاحين كثيرين لأن هذا الفن كانت بدايته الفعلية تبرز خلال أواخر القرن الخامس الهجري التي تلي سقوطها

---

[82] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 319، أحمد مقبل المنصوري، المرجع السابق، ص 71 72.

[83] **ابن سعيد المغربي**، المصدر السابق، ص 446، صمويل م ستيرين؛ الموشح الأندلسي، ترجمة و تعليق و تقديم: د.عبد الحميد شيخة، ط.1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1417هـ 1996م، ص 201.

[84] **أحمد مقبل المنصوري**، المرجع السابق، ص 72.

في يد النصارى. لكننا لاحظنا أنه رغم ذلك لم يمنع مانع من ظهور وشاحين فيها وان كان عددهم قليل.

ب الزجـل:

كان هذا الفن وليد الموشح بالأندلس، فلما شاع هذا الأخير في أوساط الأندلسيين، وأخذ به الناس لسلاسته وتنميق كلامه و تصريع أجزائه، فنسجت العامة على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية، من غير أن يلتزموا فيه الأعراب، واستحدثوا بذلك فنا جديدا سموه بالزجل.[85]

و أول من كتب فيه أبو بكر بن قزمان[86]، ونستبين من وفاته أن الزجل كان ظهوره على عهد المرابطين[87]، فهل يعني أن الزجل لم يظهر في فترة ملوك الطوائف؟ بلى كان الزجل قبل هذا العهد وهذا ما أشار إليه ابن خلدون حين قال أنه ظهر قبل هذا العهد بالأندلس وان كان ذلك بصورة أقل من التي عرفها في عصر الملثمين[88]، فكان الزجل في فترة ملوك الطوائف يختص بالشعراء المعربين الذين كانوا مدفوعين بالرغبة في أن تنتشر أزجالهم المصطبغة بين الطبقات المثقفة كنوع من الطرافة أو حتى الغناء، لذلك لم يكن هذا الفن في بدايته إلا أنه مستخلصا من مسألة الأعراب وعرف بأقبح ما يكون في الزجل، وهذا ما أطلقه ابن قزمان في مقدمة ديوانه وسماهم "بالمتقدمين"، ولاسيما أن ملوك الطوائف كانوا يتبعون في حياتهم الأدبية خلفاء بني أمية بالمشرق الذين كانوا يعتنون بالشعر المعرب لذلك كانوا يشيعون الشعراء والأدباء على هذا النحو، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الزجل الغير المعرب في فترتهم لم يلق الأهمية عندهم.[89]

---

[85] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 328.

[86] ولد بقرطبة بين أحضان أسرة غنية، مما سمح له أن يتحصل على نصيب وافر من العلوم و الآداب، بلغت أزجاله القمة، لذلك كان دائم الاتصال بالملوك و يقال أنه مات في السنة التي هزم فيها عبد المؤمن بن علي بن النرمان، و أجلاهم عن مدينة المهدية،(ت 555هـ/1060م). أنظر: **عز الدين المدني**؛ ابن قزمان في شخصية تاريخية، (مجلة دراسات أندلسية)، العدد17، المطبعة المغاربية، للطباعة و النشر، تونس، رمضان جانفي/1417- 1997، ص 96.

[87] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 328.

[88] نفسه، ص 328.

[89] **عبد العزيز عتيق**، المرجع السابق، ص 397- 398.

ونستبين أن الزّجل لم يبرز في سرقسطة في هذه الفترة، ولم نجد في المصادر زجالين فيها ما عدا الفقيه أبو بكر أحمد ابن مالك بن سعيد اللّخمي الشابي، الذي كان يبدع في الشعر، وقد ترك من ورائه قصائد وموشحات وأزجال امتلأت بها رحب بني هود بسرقسطة[90].

وفي عهد المرابطين أصبح الزّجل فن العامة بالأندلس من الشعر، وفيها نظمه حتى أنهم لينظمون بها في سائر البحور الخمسة عشر، مستخدمين في ذلك لغتهم العامية[91]، لذلك كان الموشح لا يكون إلا العربي الفصيح أما الزجل يطلق على السوقي الدارج فقد يتغنى به في الطرقات[92].

ثم استحدث أهل المغرب فنا آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشح، ينظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضا وسموه بعروض البلد، ثم شاع في أمصارهم كفاس التي أصبح أهلها مولعين به ونظموا على طريقته وفي مكناسة أبدع رجل يدعى الكفيف في مذاهب هذا الفن في عهد بني مرين ثم استحدثه أهل تونس على لغتهم الحضرية[93].

وهذا ما يدل على أن الزجل الذي وضعه الأندلسيون كان له أثر في ازدهار الحياة الأدبية بالمغرب والمشرق. وكانت مساهمتهم في تطوير الحياة الفكرية في البلاد الإسلامية عظيمة وواسعة.

---

[90] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 165.
[91] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 333
[92] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 143.
[93] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص 335، 337، 341.

الفصل الرابع

الفصل الرابع:

العلوم الاجتماعية:

لا شك أن تعبير العلوم الاجتماعية لا يدل دلالة واضحة على مجموعة العلوم التي نتناولها في هذا المجال.

وفي الأندلس حظيت العلوم الاجتماعية بمكانة طيبة، لكنها لم تصارع ما وصلت إليه مجموعتا العلوم السابقتان، إذ كانت مجموعة المواد الاجتماعية قد وجدت اهتماما بغرض المحافظة على التراث الفكري الإنساني العربي باسبانيا الإسلامية، ولعل هذا يرجع إلى المجهود الفكري الذي بدله الأندلسيين في تطوير فكرهم، وتطورت هذه المادة تطورا كبيرا مع قدوم علماء مشارقة وعودة من رحل من الأندلسيين، ولقد كان مستوى اسبانيا الإسلامية الاجتماعي طيبا، مما يشهد لهذه العلوم بعلو الشأن، ورفعة المكان، وكانت سرقسطة من الحواضر الأندلسية التي انتشرت فيها العلوم الاجتماعية المتمثلة في التاريخ والجغرافيا والفلسفة والموسيقى أو الغناء وقد بلغ العلمين التاليين أوجها في عهد أمراء بني هود.

علم التاريخ:

تطورت العلوم الاجتماعية بالأندلس تطورا كبيرا، وكان لكل علم اتصال بالعلم الآخر، فالتاريخ يرتبط مباشرة بكتابة السيرة النبوية، وأخبار الصحابة والتابعين والعلماء.[1] و بلغ هذا العلم مكانة عظيمة، فتبرز المؤلفات فيه بنسبة عالية سواء في المشرق أو المغرب الإسلاميين، وما يتصل بها من الكتب الخاصة لتراجم شخصيات علمية وأدبية.

ضف لذلك كتب القصص التاريخية التي تحتل الصدارة ليومنا هذا[2]، والهدف منه هو معرفة أخبار الماضين عن الأيام والدول والحروب والجيوش[3]. و تشير المصادر أنه علم قائم على ثلاثة أركان وهي: النظر والتحقيق والتحليل للوقائع و الأحداث.[4]

و للتاريخ خصائص وغايات متميزة ينفرد بها المؤرخ الأندلسي وفي أول هده المميزات[5] والصفات سعة الاطلاع على المؤلفات التاريخية ومناهجها المختلفة ومنازعها المتعددة. والتاريخ لأندلسية له مميزاته الخاصة يبدو ذلك جليا في منهج التعليم عندهم والقائم أساسا على الفقه المالكي وهذا الاشتغال للفقه والحديث أدى بهم إلى ترجمة رجال الأدب. ومنها عبر هؤلاء المؤرخون عن عواطفهم المتأججة نحو مواطنهم، فألغوا الكتب التي تتحدث عن سقوط الحواضر الأندلسية الواحدة تلو الأخرى وألفوا في المراثي وغيرهما[6].

وأدت دائرة التوسع للفتح الإسلامي بالأندلس إلى الحاجة الماسة في التأليف والتدوين وقد خص كل إقليم بها عن الآخر بتاريخه المتميز، وكانت المحاولة الأولى في تدوين التاريخ

---

[1] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 337.
[2] **حسين مؤنس**؛ التاريخ و المؤرخون، (دراسة في علم التاريخ)، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص 11.
[3] **ابن خلدون**، المقدمة،، تح: عبد الواحد وافي، المصدر السابق، ص 10.
[4] **عمر فاروق الطباع**، المرجع السابق، ص 70، 71.
[5] **ابن حزم الأندلسي**، رسائل ابن حزم في التاريخ، المصدر السابق، ص 9.
[6] **أحمد امين**، المرجع السابق، ص 285، 287.

بالأندلس ترجع إلى العلامة والمؤرخ عبد الملك بن حبيب السلمي[7]. وهكذا أصبح علم التاريخ مزدهرا على العهود التي تواجد بها المسلمين، وتشير المصادر أنه لقي رواجا عظيما في عصر ملوك الطوائف، بحيث نشطت في عهدهم حركة التأليف والتي لم تقف عن ذكر الأحداث المتتالية بالأندلس بل امتدت لتشمل تاريخ العرب ودولهم في الإسلام وتاريخ الأنبياء والرسل كما ترجموا لأعلامهم من الساسة ورجال الدين والعلماء والأدباء وغيرهم.[8]

وأما عن علم التاريخ في بلاط بني هود بسرقسطة البيضاء، فلم نجد مؤرخا خاصا من أهل البلاد، ما عدا القليل وهم:

أبو عبد الله محمد بن الخلف، ابن علقمة البلنسي:

ولد ببلنسية سنة 428هـ 1034م، وكانت هذه المدينة تحت حكم أمراء بني هود قبل أن تسقط في يد النصارى[9]، ألف كتابا في التاريخ سماه "البيان الواضح في الملم الفادح وفيه يفصل في الذكر عن سقوط مملكة دانية سنة 509هـ 1115م وكانت هذه الأخيرة تحت حكم بني هود[10].

أبو الحسن علي بن خير التطيلي:

كان في أيام الأمير المقتدر بالله وهو أديب عظيم، عارفا بالتواريخ والأنساب، سكن تطيلة، ثم انتقل إلى سرقسطة وهناك أخذ يكتب عن الأحداث السياسية المزرية التي تواكبت سقوط المدن الأندلسية نتيجة التكالب النصراني عليها[11].

أبو المطرف عبد الرحمن بن موسى:

ينتسب إلى مدينة وشقة إحدى مدن الثغر الأعلى، وكان في أيام الأمير المستعين الثاني أحمد بن يوسف، ألف كتاب عظيم ومشهور سماه تواريخ الثغر، وأتم كتابته عام 501هـ 1107م[12].

---

[7] له كتاب كبير دون فيه ابتداء الخلق من البحار و الجبال و الجنة و النار و خلق آدم و حواء، و ختمه بترجمة القضاة بالأندلس،(ت 238هـ/852م)، أنظر: بلنثيا، المرجع السابق، ص 382.

[8] **سليم أبو حويج**، المرجع السابق، ص 382.

[9] عن سقوطها، أنظر: **جمعة شيخة**، الفتن و الحروب، المرجع السابق، ص 20 21.

[10] **مجهول**؛ الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 20 21.

[11] **ابن سعيد المغربي**، المصدر السابق، ص 451.

[12] **محمد إسماعيل**، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، المرجع السابق، ص 191، 192.

أبو بكر الطرطوشي: هو أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، ولد بطرطوشة من مدن الثغر الأعلى 445هـ 1059م، فقيه وأديب وكان على المذهب المالكي، ألف كتاب في التاريخ سماه سراج الملوك[13]، ألفه في مصر و أهداه إلى وزيرها المأمون البطائحي في عهد الخليفة الآمر الفاطمي، وهو كتاب في الآداب السلطانية، إذ يتناول الصفات التي يجب أن يتحلى بها الأمراء والملوك[14]، وقد خصص فيه ذكر الدول الأخيرة بما فيها دول ملوك الطوائف، وذلك عند سقوط دولة بني أمية بالأندلس، ونقد فيه أمراء بني هود وكان في تلك الفترة أميرها المستعين بالله وابنه المظفر، وذكر سبب سقوط مملكتهم والذي يرجع إلى البذخ والترف الذين انتشرا في عهدهم[15].

ولقد نقد أسلوبه ومنهجه العلامة ابن خلدون فيقول أنه لم يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حجابا وإنما هو نقل وترغيب شبيه بالمواعظ[16]. وله مؤلف آخر سماه " الحوادث والبدع"[17].

لقد عني الأندلسيون عناية فائقة بعلم التاريخ لإدراكهم لمدى منفعته للخلف: إذ حظي بمكانة هامة خلال عصر ملوك الطوائف خاصة ، وتجلى ذلك من التأليف الذي زخرت به ربوع الأندلس في هذه الفترة ويأتي في مقدمتها رسائل ابن حزم الظاهري[18]، ومن أشهر مؤلفاته "طوق الحمامة" في الألفة والآلاف، ألفه سنة 410هـ 1019م، ويصور خلاله الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس، وله كتاب سماه الفصل في الملل والأمراء والنحل، يتناول الكتاب دراسة عميقة عن تاريخ الأديان والذاهب والفرق الدينية، وله آخر سماه "جمهرة أنساب العرب"[19].

---

[13] **ابن خلدون عبد الرحمن؛** المقدمة، تح: عبد السلام الشدادي، ج.3، المصدر السابق، ص 416، العبادي، في تاريخ المغرب و الأندلس، المرجع السابق، 325.

[14] **العبادي،** المرجع السابق، ص 325 326.

[15] **ابن خلدون عبد الرحمن؛** المقدمة، حققها و قدمها، عبد السلام الشدادي، وزارة الثقافة، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ، الجزائر، 2006م، ج.1 ، ص263.

[16] نفسه، ص 59.

[17] **العبادي،** المرجع السابق، ص 326.

[18] **ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (384 456هـ/987 1064م)، شاعر و مؤرخ و فقيه متكلم أندلسي، أنظر: ابن خلدون عبد الرحمن؛** المقدمة، تح: عبد السلام الشدادي، ج.3، المصدر السابق، ص 353.

[19] **العبادي،** المرجع السابق، ص 321 و ما بعدها.

ورسالة في القضاء والحسبة لمحمد بن أحمد بن عبدون المعروف بالأندلسي الاشبيلي، لم ترد له ترجمة عن حياته لكن من خلال مضمون رسالته الذي تحدث فيها عن ملوك الطوائف والمرابطين، يتضح أنه عاش في أواخر القرن السادس الهجري[20]. وقد ذكر محقق الرسالة وهو ليفي بروفسال أنه وجد نسخة لها في مكتبة مكناس وكانت أكثر دقة من غيرها. غير أنه لم يعثر على ترجمة مؤلفها في كتب التراجم الأندلسية ولا المغربية، لكن تبين أصل ابن عبدون من مدينة اشبيلية والتي عاش بها منذ اعتلاء المعتمد بن عباد العرش سنة461هـ 1068م خلفا لوالده المعتضد كما أنه عاصر دخول يوسف بن تاشفين المرابطي عام 484هـ 1091م وبقي إلى غاية سقوط دولة الملثمين على يد الموحدين عام 541هـ 1147م[21].

وابن عبدون في مؤلفه هذا لا يكتفي بالتطرق لبعض المهن، بل هو يتعرض للكثير من المؤسسات الحضارية[22]، وقد لخص في هذه الرسالة شروط الحياة المدنية وذكر الخطط الدينية بالأندلس[23]، إذ كان الهدف من كتابه هو التطبيق الحقيقي لما نصه الشرع في أوطانهم من تغيير المناكر والأمر بالمعروف والذي أصبح مهملا فلذلك كان يحاول اقتراح شرط يضع حدا للبطش والتعسف الذي تميز بها هذا العهد[24] بسبب إهمال الحكام لأوضاع الرعية خاصة مع أواخر عهد المرابطين إذ اختل النظام الاجتماعي للبلاد كلية[25].

ابن بسام الشنتريني:

وهو أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني نسبة إلى شنترين بغرب الأندلس، مؤرخ الموسوعة الأدبية المسماة "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، تضمن تراث القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد، وهي الفترة العلمية المزدهرة التي جمعت بين عصر الخلافة

---

[20] **عبد الرحمن القاسي**، المرجع السابق، ص 68.

[21] أنظر: **Lévi- Provençal** (E), Un document sur la vie urbaine, op.cit, p 181

[22] أنظر: **Ibid**, p 180

[23] **عبد الرحمن القاسي**، المرجع السابق، ص 42.

[24] أنظر: **Colin** (G), **Lévi- Provençal** (E), Un manuel Hispanique de hisba traité d'Abu Abd Allah, As sakati de malaga, Libraire Ernest Leroux, Paris, Tome XXI, p 178, 179.

[25] **عبد الواحد المراكشي**، وثائق المرابطين و الموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، ط.1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1997م، ص 52.

الأموية وملوك الطوائف والمرابطين، وكان أسلوبه في الكتابة يمتاز بالسجع والاستعارة والمجاز[26]، ويتوفر الكتاب في أربعة أقسام ففي القسم الأول يتضمن قرطبة وما يجاورها وأما في الثاني يتناول اشبيليا وفي القسم الثالث يصور مدينة بلنسية وفي الرابع يتناول فيه الكلام عن الوافدين على الأندلس من المشرق والمغرب[27].

علم الجغرافيا:

عرف العرب الفكر الجغرافي منذ عهد مبكر، وباتساع حدود الدولة الإسلامية أصبح من الضروري تعبيد الطرق والاتجاهات والمسالك الجغرافية[28]، كما كان ذلك مطلوب من طرف الجهاز الإداري والسلطة الحاكمة، وذلك لارتباط الجغرافيا بالشؤون الاقتصادية، فعمل هؤلاء الجغرافيين بتقدير ثروات البلاد بقياس المسافات والأبعاد ما بين المدن، وخدموا البريد والتجارة[29].

و الجغرافيا كما جاء في المقدمة لابن خلدون هي صورة الأرض والأقاليم، والبيان أن الأرض كروية الشكل بجميع ما عليها من الجبال والبحار والأنهار والمدن و القرى[30].

ويرجع الفضل في تطوير علم الجغرافيا إلى الخليفة العباسي المأمون وقد لقبوه بأغسطس العرب، وفي عهده ازدهرت الجغرافيا وترجمت الكتب اليونانية ومنها كتاب بطليموس الذي ترجمه العرب وعدلوه[31]، فقام أبو الحسن المراكشي بتقدير خط طول البحر المتوسط تقديرا صحيحا، والبالغ حوالي 24 درجة، في حين قدره بطليموس بنحو 62 درجة، وقام البيرونيب تصحيح الأخطاء العالقة بخطوط الطول والعرض لمساكن المعمورة من الأرض. وهكذا أصبحت الجغرافيا العلم المفضل عند العرب. وانتقل هذا العلم إلى الأندلس عن طريق الرحلات التي كان يقوم بها الحُجّاج والعلماء، فقد أعطاهم ذلك الفرصة للاهتمام بالجغرافيا[32]، ضف إلى ذلك أن العرب منذ القدم معروفين بالتنقل والأسفار وحبهم للرحلة[33]،

---

[26] **محمد التونخي**، المرجع السابق، ص 460.
[27] **العبادي**، المرجع السابق، ص 321 و ما بعدها.
[28] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 337.
[29] **بشار قويدر**، المرجع السابق، **ص** 70.
[30] **ابن خلدون**، المقدمة، ج.1، المصدر السابق، ص 71 و ما بعدها.
[31] **البشير صفر**؛ الجغرافيا عند العرب، (نشأتها و تطورها)، تقديم و تعريب: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، ص 21.
[32] نفسه، ص 21، 22، **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 337
[33] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص، 309.

وكانت المصنفات الجغرافية المتعلقة بالمشرق الإسلامي، قد اتخذت صبغة محلية وقلما كانت تخرج عن نطاق البلاد التي ظهر فيها، ويمكن القول أن التطور للأدب الجغرافي قد تأخر فيها نوعا ما، ما عدا البعض الذين اهتموا في هذه الصناعة فمثلا اشتهر الرازي بالجغرافيا الإقليمية، وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر للميلاد انبعث مؤلفات معروفة لنا وظفرت بمكانة رفيعة في المشرق الإسلامي[34]، ويقابله تطور عظيم بالأندلس ربما بسبب الموقع الجغرافي، أو بسبب المستوى الثقافي المرتفع الذي عاشته الأندلس،[35] ومن الذين نبغوا في الجغرافيا ولهم مؤلفات فيها. نجد العالم الجغرافي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المعروف بأبي عبيد الله البكري[36] وهو من مؤرخي وجغرافي القرن 5هـ/11م، ففي هذا القرن برهن على كروية الأرض[37] ومن مصنفاته "المسالك والممالك" وكتابه "معجم ما استعجم" وهو مرتب حسب الأسماء والأماكن في القرآن والحديث والشعر العربي[38] والبكري عايش فكرة ملوك الطوائف ويقول الدكتور حسين مؤنس، إن حياة البكري صورة من مأساة العصر الذي عاش فيه، مثله في ذلك مثل معاصريه من أعلام الفكر الأندلسي، في ذلك القرن الحافل بالمآسي والقلق، ويعطي لنا البكري صورة لحياته حياته في بيتين من الشعر حين قالهما:

وما زال هذا الدهر يلحن بالورى فيرفع مجرورا ويخفض مبتدأ

ومن لم يحط بالناس علما فإنني بلوتهم حرا مسودا وسيـــــدا.[39]

ومن الجغرافيين المشهورين أيضا في تلك الفترة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس المدعو بالحموي الحسيني القرطبي الصقلي، الملقب بالشريف الإدريسي، طلب منه الملك روجي تصنيف كتاب، فصنف كتابه المشهور "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" الذي هو تفضيل للكرة الفضية التي رسمها الإدريسي ووضع عليها الأقاليم

---

[34] **أغناطيوس يوليا توفنتش كراتشكوفسكي؛** تاريخ الأدب الجغرافي، نقله على رواية صلاح الدين عثمان، هاشم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408- 1987م، ص 293.

[35] **عبد الحميد عيسى،** المرجع السابق، ص 343.

[36] (ت 487هـ 1097).

[37] **البكري أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز؛** جغرافية الأندلس و أوروبا، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد، بيروت، 1968م، ص 42.

[38] **ابن سعيد المغربي؛** كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة، بيروت، 1970، ص 44.

[39] **عبد الله يوسف الغنيم،** المرجع السابق، ص 16.

التي صنفها إلى سبعة[40] ومن مؤلفاته أيضا "روض الأنس ونزهة النفس" أهداه إلى غليوم بن روجر[41] ومن البارزين في سرقسطة، الجغرافي الرحالة الأندلسي اليهودي التطيلي، عاش في بلاط بني هود ثم غادرهم سنة (561هـ 1165م)، لغرض الرحلة الطويلة، زار خلالها البحر الأبيض المتوسط، وبلاد ما بين البحرين، وبلاد فارس(إيران) وشبه الجزيرة العربية، ثم عاد إلى سرقسطة، وألف فيها رحلته المشهورة[42] وتعتبر كتب الرحلات من المصادر المكملة لكتب الجغرافيا، وقد اهتم بها العرب، وفاقوا غيرهم من الشعوب في ذلك، ومن الذي ظهروا في تلك الفترة، الرحالة الأندلسي ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (540 -614هـ 1145- 1217م) ولد ببلنسية، ورحلته أشبه بمذكرات يومية تميزت بالدقة وعمق التعبير[43].

ومن خلال هذا نلاحظ أن سرقسطة في عهد بني هود، كان إنتاجها ضئيل في علم الجغرافيا، و ربما يعود السبب إلى غزارة الإنتاج الجغرافي من كتب الرحلات والمعاجم وكتب الجغرافيا بأنواعها المختلفة، الطبيعية والإقليمية، هذا كله سد الطرق من قيام علماء سرقسطة بذلك الدور، وانشغلوا بالعلوم الأخرى أكثر، وهذا لا يعني أنهم لم يولوا اهتماما بالجغرافيا، بل طورها، وكانت الجغرافيا الرياضية والفلكية الرائدة في بلاط بني هود في القرن 5هـ 11م.

علم الفلسفة:

بلغت العلوم الفلسفية أوجها في بداية القرن الخامس الهجري، وأصبحت فيها الأندلس تضاهي القرن الثالث الهجري ببلاد المشرق[44]. عرف الأندلسيون الفلسفة[45]، منذ عصر

---

[40] **بشار قويدر**، المرجع السابق، ص 71.
أنظر: Colot André, l'Espagne musulmane, op.cit, p 260.

[41] **حامد زيان غانم**، تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية و أثرها في أوروبا، دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة، 1977، ص 108.

[42] موسوعة العلوم الإسلامية و العلماء المسلمين (معجم و موسوعة)، حققها و راجعها الأساتذة الدكاترة: **بول غليونجي**، **جلال شوقي** و **حسين مؤنس** و **محمد علي أبو ريان** و **محمد محمود الصياد** و **عوف سلامة موسى**، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت، د.ت، ج.1، ص 67.

[43] **بشار قويدر**، المرجع السابق، ص 72- 73.

[44] **دي بور**؛ تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله إلى العربية و علق عليه: د.محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار النهضة العربية، بيروت، القاهرة، صفر 1374هـ أكتوبر 1954، ص 297، 298.

[45] الفلسفة علم يدرك الوجود كله الحسي منه و الغير الحسي بالأنظار الفكرية و القيسية و بالأدلة العقلية، و تصحيح العقائد الإيمانية و التمعن فيها للوصول إلى المعرفة الحقيقة، و من يتقنها يسمى بالفلاسفة و هو جمع لكلمة **"فيلسوف"**، و باليونانية

الخلافة الأموية، ويعود الفضل إلى ابن مسرة، حيث أسس فيها مدرسة، والتي كانت تضم الأدباء والعلماء، وقد أثرت هذه المدرسة في عقول المفكرين وتجلى ذلك فيما أنتجه هؤلاء في الثقافة العقلية[46]، ولكن النوع من هذه الدراسات كانت عرضت للمضايقات باعتبارها علم يخرج الناس من الملة وكان الفقهاء من المتشددين والمعارضين من اقتناء كتب الفلسفة، وكان الخليفة العامري، المنصور بن أبي عامر يوصي بمراقبة هؤلاء الفلاسفة، وأمر بفرز الكتب الفلسفية والعلوم المشابهة لها من المكتبة والقيام بإتلافها وإحراقها[47]، وكان المحتسب في تلك الفترة يراعي عدم تجاوز الحدود الشرعية لله تعالى وكان من اختصاصاته في هذا المجال شملت ردع العقائد الجديدة التي كثيرا ما كانت تمس بالدين الإسلامي مثل كتب الفلسفة وعلم الكلام والشيعة لأنها كانت تضل المسلمين[48]، وكان يأمر عمال البلاد أن يمنعوا من اقتناء كتب الفلسفة وكان على المحتسب التربص بكل من كاتبيها وقارئيها ومقرئيها وعليه بمعاقبتهم لما فيها من ضلال والى جانبها كان من مهامه أيضا تعقب الشيعة والذين وصفوهم بمردة الأهواء وأنهم يدعون الملة وهم عكسها[49]، وهذا ما يفسر أن الفلسفة لم تجد الحرية كما وجدتها العلوم الدينية الأخرى وحتى الاجتماعية وهذا ما أشار إليه المقري في كتابه "النفح" حين قال:"وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء، إلا الفلسفة والتنجيم فإن لهما حظا عظيما عند خواصهم، ولا يتظاهر بهما خوفا من العامة، فإنه كلما قيل: فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل في التنجيم، يطلق عليه العامة اسم زنديق، وقيدت عليه أنفاسه، فإن زل في شبهة رجموه بالحجارة، أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان، أو يقتله السلطان تقربا لقلوب العامة وكثيرا ما يأمر ملوكهم بإحراق الكتب هذا الشأن إذا وجدت، وبذلك تقرب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه، وان كان خال من الاشتغال بذلك في الباطن[50]، ونستنتج

معناه "**الحكمة**" و التي تعني عندهم الملاحظات العميقة إلى الأشياء و التجارب المستخلصة. أنظر: ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الواحد وافي، المصدر السابق، ص 541.

[46] **أبو حويج**، المرجع السابق، ص 383، محمد لبيب بتنوني؛ رحلة الأندلس، ط.2، مطبعة مصر و شركة مساهمة مصرية، مصر، د.ت، ص 42.

[47] **الخطابي، محمد العربي؛** الطب و الأطباء في الأندلس، دراسة و تراجم و نصوص)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ج.1، ص 20.

[48] **القلقشندي**، المصدر السابق، ص 9 10.

[49] نفسه، ص 10 11.

[50] **المقري**، نفح الطيب، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 221.

من هذا القول أن رفض الملوك لهذا العلم ليس لغرض ديني فقط بل وسيلة توصلهم إلى السلطة والحكم.

وبالتالي من الصعب القول أن الفلسفة، كانت من ضمن المواد المعروضة للاختيار أمام الطلبة، بحيث أنها عانت كثيرا من الاضطهاد، خاصة من فقهاء المالكية، وهذا لا يعني أنها اختفت كلية، وإنما زاد ذلك من حماس هؤلاء العلماء، مما أدى إلى انتشار العلم على دائرة أوسع[51] كما لا يعني أن عصر الخلافة لم يعرف العلوم الفلسفية، وهذا ما أكده المستشرق جاك ريلسر فذكر أن العصر كان يسوده التعصب الديني والمذهبي في آن واحد، فكانت العلوم الفلسفية تعتبر في نظرهم منارة للدين، ورغم ذلك ازدهرت ازدهارا كبيرا[52]، وبمجيء القرن5هـ 11م، الذي يماثل قيام الطوائف، بحيث أباح ملوكها وأمرائها الحرية الكاملة، في شتى نواحي الحياة الاجتماعية والعلمية، وساد عصرهم التسامح الديني العظيم، فتكلم أصحاب الآراء بما أرادوا من دون خشية وظهرت الاتجاهات المختلفة في سائر الحياة العلمية[53] وتؤكد المصادر أن الفقهاء، لا يعني أنهم انصرفوا عما كانوا يتمسكون به من سلطان وهيبة، بل كانوا ينظرون الفرصة التي لم تحن إلا بمجيء عصر جديد ألا وهو عصر المرابطين، فينزلون بخصومهم أشد انتقام[54].

وكانت سرقسطة كغيرها من الكوّر الأندلسية، مركزا من المراكز العظيمة للدراسات الفلسفية في القرن الخامس الهجري /للحادي عشر الميلادي[55] وإذا كانت مركزا مهما، فكيف ساهمت في ترويض هذا العلم بين أحضانها؟ وبما أن القرن 4هـ 10م كان إبادة للفلسفة[56] وفي ذلك يقول آسين بلاثيوس: "إن الفلسفة لم تدخل الأندلس صريحة ظاهرة بوجه مستقر وإنما وفدت عليه في صحبة العلوم التطبيقية الفلك والرياضة والطب أو تسربت إليه متسترة في ثنايا بدع الاعتزال وبعض مذاهب الباطنية، كما اجتهد أصحاب هذه المذاهب التي كان الناس يتحاشونها في النجاة بأنفسهم من تعقب الفقهاء، وأهل الدولة بالظهور بمظهر التدين

---

[51] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص 336.
[52] **جاك ريسلر**، المرجع السابق، ص 661، بلنثيا آنخيل، المرجع السابق، ص 333.
[53] **نفسه**، 333 334.
[54] **الفيومي**، المرجع السابق، ص 140.
[55] نفسه، ص 139، التليلي، المصدر السابق، ص 383.
[56] **سليم مروان أبو حويج**، المرجع السابق، ص 383.

والتمسك[57] فأكدت المصادر أن تاريخ الفكر الفلسفي في اسبانيا الإسلامية هو صورة مطابقة لما كانت عليه الثقافة الإسلامية المشرقية[58] فمثلا عمل الطبيب الفيلسوف عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن موسى المعروف بالكرماني[59] بنشر آراء وأفكار المشارقة في سرقسطة، فيعود له الفضل في نقل رسائل "إخوان الصفا" إلى سرقسطة[60] وبذلك انتشرت أفكار الإسماعيلية في سرقسطة في النصف الثاني للقرن 5هـ/11م، أي عهد بني هود، وهذه بعض أفكارهم في إحدى رسائل أبي الفضل ابن حسداي "وقد جال الصدق في ذلك مجالا، وأتت قيطوس دابة البحر تعوم في حبك الماء، وتسبح مثالها في فلك السماء، فإن صورة قيطوس التي أثبتها جالينوس جماعة كواكب تعرف بدابة البحر، ويظنها غائض في كواكب النهر قد بناها مما يلي الدلو حيث ينصب ماؤه في فم الحوت الجنوبية، وبأعلى عرّفها المعروج، كواكب الحوت من فلك البروج، فهي معمورة من كل ناحية بالمياه مأنوسة بالأقارب والأشباه، وقد فازت بالطبع المعتدل، بما حازت من مجاورة برج الحمل، فهذا المجد الباذخ، والأصل الراسخ والفرع الشامخ، فأنت حقا الدجال الأعور والقائم المنتظر الذي نبأنا به الأثر، نسأل الله أن يغرنا بأعلامك، وينصرنا في أيامك، ونبتهل إليه في أن يكفينا أشواطك ويزوي عنا تعديك وإفراطك، حتى إذا ظلمت وجرت وغيرت وبدلت قذف بك في قرار اليتم العظيم، ولتقمك الحوت وأنت مليم إن الله بعباده لرؤوف رحيم".

إن الغرض من عرض جزء من هذه الرسالة، إن المصطلحات التي يذكرها أبو الفضل كالدابة والدجال والقائم المنتظر، التي توضح لنا الأجواء الإسماعيلية التي حفلت بها سرقسطة[61] وبالناسبة، كان الفيلسوف أبو الفضل من أعلام الفلسفة في سرقسطة، حيث درس كتاب"الكيان" لأرسطو طاليس حتى أكمله، ثم شرع في دراسة كتاب "السماء" وذلك في حدود سنة 457هـ 1065م، أي في أيام المؤتمن بن هود، وكان ما يزال شابا لم يعتنق

---

[57] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 326.

[58] **الفيومي**، المرجع السابق، ص 92.

[59] أما الكرماني فهو أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي الكرماني، من قرطبة، رحل إلى المشرق ثم اتجه إلى حران من بلاد الجزيرة، و تعلم هناك الهندسة و الطب، استوطن سرقسطة، و جلب معه رسائل "إخوان الصفا" إليها، و يقول صاعد: "لا نعلم أحد أدخلها الأندلس قبله"، توفي بسرقسطة عام (458هـ1066م)، و هو يناهز التسعين من عمره أو جاوزها بقليل.

أنظر: صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، المصدر السابق، ص 171- 172، إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف، المرجع السابق، ص 61.

[60] **القفطي**، المصدر السابق، ص 162، صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص 172.

[61] **سلمى الخضراء الجيوسي**، المرجع السابق، ص 1308- 1309.

الإسلام، وتقول الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي في اعتقادها أن أبي الفضل كان تلميذ لابن باجة، وقد اعتبره صاعد شابا واعدا، وفعلا أصبح هذا كاتبا بارعا عمل في دواوين المقتدر والمؤتمن في سرقسطة[62] ويحتمل أنه ولد سنة436هـ 1045م، أحب امرأة مسلمة فاعتنق الإسلام وتزوجها[63]، ونبغ في سرقسطة أيام بني هود في عهد المستعين بن المؤتمن، المفكر والفيلسوف السياسي، أبو بكر الطرطوشي وكانت كتاباته متأثرة بفيلسوف العصر ابن حزم القرطبي وقد أوحت ظروف مملكة سرقسطة وأحوالها السياسية بكثير من نظرياته الاجتماعية، ومنها نظرية "عصبية الدولة"، إنما تقوم "على الجند أهل العطاء المفروض مع الأهلة" أي الجند المرتزقة الذين يتناولون أجورهم كل شهر، وقد عارضه ابن خلدون ويقول أنها تنطبق على الدولة في نهاية عهدها. بعد التمهيد واستقرار الملك، واستحكام الصبغة لأهله، وان الطرطوشي قد أدرك الدولة الهودية عند هرمها ورجوعها إلى الاستظهار بالموالي والضائع، ثم إلى المستخدمين من ورائهم بالأجر على المدافعة، وأدرك دول الطوائف، وذلك عند اختلال الدولة الأموية وانقراض عصبيتها من العرب ولم يكن يبق لهم من أمرها شيء لاستيلاء الترف والبذخ على العرب منذ ثلاثمائة من السنين وهلاكهم والظاهر أن الطرطوشي قد تأثر كثيرا مما رآه من اعتماد أمراء بني هود في حماية ملكهم بالنصارى ولاسيّما السيد القمبيوطر وسعيهم إلى ثراء هذه المعاونة بالمال منذ ابتداء دولتهم حتى سقوطها في يد الأسبان[64]، وقد أولى أمراء بني هود عناية كبيرة للفلسفة حتى أنهم اشتغلوا فيها، وأول النابغين في أسرتهم الملك المقتدر بن هود وقد قال فيه أبو الوليد الشقندي نقلا عن البشري مفتخرا بعلماء الأندلس أمام علماء المغرب: "هل لكم في علم الفلسفة...ملك كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة فإنه كان في ذلك آية". وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على اهتمام بني هود بالفلسفة وعرف المقتدر ببراعته وتفوقه في ميدان الفلسفة، وقد نسبت إليه دراسات علمية صنفها في هذا العلم[65].

---

[62] **صاعد الأندلسي**، المصدر السابق، ص 205 206.
[63] **سلمى الخضراء الجيوسي**، المرجع السابق، ص 1308.
[64] **السامرائي**، المرجع السابق، ص 294 295.
[65] **البشري**، المرجع السابق، ص 134.

وحتى ابنه يوسف المؤتمن كان من حماة الفلسفة فقد أعطى لها نصيب أوفر فاهتم بالدراسات الفلسفية اهتماما عظيما[66].

وهكذا أضفى ملوك بني هود حمايتهم على الفلاسفة ورجال العلم ولم يقتصر سخاءهم على من برز في المجالات هذه فقط بل شمل أيضا كل المبرزين المقيمين في مملكتهم، والمسافرين الذين مروا بالمدينة البيضاء، وعلى سبيل المثال لجأ إليها العالم والفيلسوف أبا الوليد الباجي، ومن البارزين أيضا سعيد بن فتحون بن مكرم السرقسطي المعروف بالحمار وقد ألف مدخلا إلى الفلسفة وسماه "شجرة الحكمة"[67] إلى جانب ذلك كانت له رسائل شتى في المجال الفلسفي[68]، ومن هؤلاء أيضا ابن السيد البطليوسي[69] وقد لجأ إلى بلاط بني هود وهناك كان تكوينه الفلسفي وتشير المصادر أن رسائله الفلسفية كانت مبنية على رسائل "إخوان الصفا"[70] كما هاجر اليها الطيب بن الكتاني من قبل واستوطن سرقسطة وكان بصيرا بالعلوم العقلية وخاصة العلوم الفلسفية والى هؤلاء العرب المسلمين كانت طبقة أخرى اشتهرت بعلمها الغزير في هذا المجال وهؤلاء من اليهود حيث اشتهر العديد منهم أمثال منجم بن الفوال الذي كان من رواد الفلسفة في ذلك العصر وكانت أفكاره منتشرة آنذاك، وقد ترك مصنفات تبرز خلالها أفكاره النظرية والعقلية في تدعيم المواقف العلمية المختلفة[71]، كما ألف سلومون بن يهود ابن جبرول كتب في الفلسفة كما قرأ كتب الفلاسفة العرب، ومن مؤلفاته كتابه المسمى "ينبوع الحياة" وهو باللغة العربية، ومن خلال قراءتك لمؤلفاته يظهر تأثره الشديد بمذهب ابن مرة القائم على آراء أنباد قليس الزائف ومذهب الأفلاطونية الحديثة ولم ينتشر هذا الكتاب بين اليهود بسبب اللغة المكتوبة به، وبسبب أيضا فكرته المتمثلة بوحدة الوجود، أما النصارى فترجموه إلى اللاتينية التي قام بها دومنجو جنذالد، وعرف باللاتينية باسم فوصفيتا ومن مصنفاته أيضا كتاب"إصلاح الأخلاق" وهو

---

[66] **ابن خلدون**، العبر، المصدر السابق، ص .

[67] **بلنثيا**، المصدر السابق، ص 331.

[68] **سعد عبد الله صالح البشري**؛ الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (318- 422هـ/928- 1030م)، معهد البحوث العلمية، و إحياء التراث الإسلامية، مكة، 1417هـ 1997م، ص 5.

[69] ولد عام 44هـ 1127م ببطليوس و عاش في ظل حكم بني رزين و بعدها لجأ إلى مدينة طليطلة، و بعدها إلى سرقسطة و كانت وفته ببلنسة، و قد ألف رسالة تتعلق بالفلسفة و كانت الإشكالية فيها كالتالي:"**هل أخطأ الفارابي أم لا في عدّه للعقول الأرسطية**". أنظر: الجيوسي، المرجع السابق، ص 1100.

[70] نفسه، ص 1100.

[71] **إحسان عباس**، تاريخ الأدب، (عصر الطوائف)، المرجع السابق، ص 61- 62.

مجموعة رسائل في الأخلاق العلمية وكتاب "مختار اللائي" و هو مجموعة من حكم فلاسفة اليونان والمسلمين وكلاهما باللغة العربية[72]، ومن اليهود في سرقسطة المعتنين بعلم الفلسفة، سليمان بن يحيى المعروف بابن جبير[73] ونلاحظ من علماء الفلسفة في البيضاء أن جلهم من اليهود، حتى عدت سرقسطة مركزا للدراسات العبرية، نظرا لتحسن حال اليهود، وبذلك ساهم هؤلاء بنصيب وافر في ازدهار الحياة الثقافية الأندلسية، ولكن هذا لا يعني أن العرب لم يساهموا في تطوير العلوم الفلسفية فيها، وهذا ما تؤكده المصادر التاريخية، فالقرن الخامس كان قرن الازدهار والتطور لهذه الأنواع من العلوم.

وقد ميز هذا القرن، نفوذ الفلسفة إلى جميع مدارس علم الكلام، فاستعملتها جميع أطراف المعارك الفكرية لتدعيم مواقفها.[74]

ومن البارزين المشهورين على عهدي ملوك الطوائف والمرابطين، الفيلسوف أبو بكر بن يحيى الملقب بابن الصائغ أو بابن باجة[75] يعرفه العلماء في القرون الوسطى اقمباس، أما بالاسم اللاتيني (Avempace)[76] ويوضح أكثر الأستاذ بلنثيا آنخيل، فيقول أنه عرف عند فلاسفة الاسكوياستيين، باسم اقمباس أو أقيمياشه أو أقيمياثه، وهو تحريف لابن باجة[77]، ولد بمدينة سرقسطة في أواخر القرن الخامس الهجري/للحادي عشر للميلاد[78] عاشه ابن باجة أيام أحمد بن يوسف بن هود الملقب بالمستعين آخر أمراء بني هود[79] ولما سقطت البيضاء في يد ألفونسو الأول، هاجر إلى اشبيلية 512هـ 1118م، وكان العالم الكبير السرقسطي ملما للعلوم منها الطب والرياضيات والفلك والموسيقى[80] وهو أقدم مؤلف أندلسي

---

[72] **بلنثيا**، المصدر السابق، ص 493 494.
[73] **صاعد الأندلسي**، المصدر السابق، ص 205.
[74] **ابن بيّة**، المرجع السابق، ص 117.
[75] **السملالي، العباس بن إبراهيم**، الإعلام بمن حلّ مراكش و أغمات من الأعلام، راجعه: عبد الوهاب بن منصور، ط.2، المطبعة الملكية، الرباط، 1419هـ 1998، ج.4، ص 77، إسماعيل باشا البغدادي، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص 87.
[76] **محمد لطفي جمعة**؛ تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق و المغرب، (الكندي، الفارابي، ابن سينا، الغزالي، ابن باجة، ابن طفيل، ابن رشد، ابن خلدون، إخوان الصفا، ابن الهيثم، محي الدين بن عربي، ابن سكويه)، المكتبة العلمية، بيروت، 1345هـ، ص 79.
[77] **بلنثيا**، المصدر السابق، ص 335.
[78] **محمد لطفي جمعة**، المرجع السابق، ص 79.
[79] **بلنثيا آنخيل**، المصدر السابق، ص 336.
[80] **محمد لطفي جمعة**، المرجع السابق، ص 79.

نعرف عن يقين أنه درس فلسفة المشائيين[81] وما ميز ابن باجة أنه كان شديد التنقل، فسكن المرية ثم غرناطة حيث كانت له ندوات أدبية تحدثت عنها الكتب، ثم رحل إلى فاس وربما إلى جيان، مبتعدا عن السياسة، فإنصرف إلى التدريس والتأليف[82] وهذا لا يعني أن ابن باجة عرف راحة البال، وإنما كانت له خصوم ألذاذ أمثال أبي العلاء بن زهير الطبيب، وابن السيد البطليوسي[83] وابن خاقان صاحب القلائد[84] فكانوا متعصبين عليه، لدرجة أنهم رجموه بالرذائل وضعف الإيمان[85] وأما عن وفاته فيختلف فيها، فمنهم من قال أنه توفي عام 520هـ 1128م، ومنهم من يقول 523هـ 1138م[86] ويقال أنه قتل مسموما بتدبير طبيب حاسد له[87] وكان لابن باجة نصيب كبير في الفلسفة، وكتبه ما زالت متداولة في الأندلس[88]، وأهم ما اشتغل فيه ابن باجة فيما يخص الفلسفة، شرحه لمؤلفات أرسطو وكذلك شرح كتاب "السماع الطبيعي" ويسمى أيضا "سمع الكيان" كما شرح جزء من كتاب "الكون والفساد" و"تاريخ الحيوان" و"النبات"[89] ويكاد يتبع ابن الفارابي في العزلة، وكل ما اشتغل بوضع مذهب، شأنه في ذلك شأن الفارابي[90]، ولابن باجة مؤلفات أخرى منها "مقال في البرهان" وكتاب "كلام الأسطقسات" وكتاب في "النفس" في التشويق الطبيعي وماهيته" وأخرى في "القوة النزوعية" و"رسالة الوداع" وكتاب عن "اتصال الإنسان بالعقل الفعال" وكتابه المشهور "تدبير المتوحد"[91] إلى جانب هذه المؤلفات كانت لابن باجة رسائل عديدة كما قسمت بالمجموعات، فيعرض لنا الأستاذ عبد الرحمن بدوي المجموعة المسماة بـ(أ) وهي بمكتبة بودلي بأكسفورد تحت رقم"206" بوكاك وتشمل على ما يلي:

- من قوله على مقالات السماع الطبيعي لأرسطو الخامسة و السادسة والثامنة.

---

[81] **بلنثيا**، المصدر السابق، ص 336.
[82] نفسه، 336.
[83] نفسه، 336.
[84] **القفطي**، أخبار الحكماء، المصدر السابق، ص 265، ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص119.
[85] **دي بور**، المرجع السابق، ص 301.
[86] **السملالي**، المصدر السابق، ص 77.
[87] **دي بور**، المرجع السابق، ص 301.
[88] **السملالي**، المصدر السابق، ص 77.
[89] **بلنثيا**، المصدر السابق، ص 337.
[90] **دي بور**، المرجع السابق، ص 302.
[91] **بلنثيا**، المصدر السابق، ص 337.

- قوله في الآثار العلوية .
- قوله في الكون والفساد.
- قوله على بعض مقالات كتاب الحيوان الأخيرة.
- من قوله على كتاب النبات.
- ماهية الشوق الطبيعي.
- كلامه في النفس.
- كلامه في تدبير المتوحد.
- القول في الصور الروحانية.
- الغاية الإنسانية.[92]

وقد نشر الدكتور عبد الرحمن بدوي الرسائل التالية في المتحرك ورسالة في الوحدة والواحد ومقالة في الفحص عن القوة النزوعية في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، كما نشر آسين بلاثيوس أربع رسائل وهي: "النبات" ورسالة في "الاتصال" و"رسالة في الوداع" وأخرى في "التدبير والمتوحد"[93]، ثم أعاد نشرها مجاد فخري ونقصد بها التلا الأخيرة عن مخطوط مكتبة بودلي في أكسفورد وهي" الغاية الإنسانية" وقول له يتلو "رسالة الوداع" وفي "الأمور التي يمكن بها الوقوف على العقل الفعال" و"تدبير المتوحد" وذلك في مجموعة بعنوان: "رسائل ابن باجة الإلهية" عام1986م[94] وقد تخرج على يد ابن باجة مجموعة من العلماء، ومن تلاميذه أبو علي بن الإمام، وأبو الوليد بن رشد[95] وإذا عددنا مؤلفاته فهي كثيرة، وقد عد له ابن أبي أصبيعية عدة كتب تدل على أنه سبق ابن رشد إلى شرح كتب أرسطو طاليس ويقول فيه تلميذه أبو الحسن علي بن الإمام الغرناطي: "ويشبه أنه لو يكن بعد أبي نصر الفارابي مثله في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم، فإنه إذا قرنت أقاويله بأقاويل ابن سينا والغزالي، وهما اللذان فتح عليهما بعد أبي نصر بالمشرق في فهم تلك العلوم ودونا فيها بأن لك الرجحان

---

[92] **الفيومي**، المرجع السابق، ص 92.
[93] نفسه، 310 311.
[94] نفسه، 311.
[95] نفسه، 307.

في أقاويله وفي حسن فهمه لأقاويل أرسطو"[96] وعلى الرغم من أن ابن باجة وقع تحت تأثير الأفلاطونية المحدثة، فقد كان في المقام الأول داعية لأرسطو طالسية في الأندلس، وفي رسالة الوداع يذهب إلى القول أن الفلسفة وحدها لا تستطيع أن تضع الفكر الإنساني على تماس بـ"العقل الفعال" وقد عرض هذه الدعوة في رسالته "كلام في اتصال العقل بالإنسان" وفيها يعرض مختلف مراتب ذلك الاتحاد، أما ذلك العقل الفعال فهو كالشمس ينير الأشياء ويستوعب تردد الأفراد مما يلغي ضرورة الحياة الاجتماعية، وحقيقة ابن باجة أنه كان يعتقد أن الإنسان يستطيع أن ينمي ملكاته في الوحدة والعزلة وعلى هذا المثال كان كتابه المسمى "بتدبير المتوحد" دليلا على ذلك[97] وكان الفيلسوف على اتصال دائم ببيئة سرقسطة، أين كانت دراساته الفلسفية تروج، حتى أنه تفوق فيها على نظرائه[98].

علم الموسيقى الغناء :

يعتبر علم الموسيقى من العلوم الاجتماعية، ويعرفه العلامة ابن خلدون فيقول:"علم الموسيقى، وهو معرفة نسب الأصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد، وثمرته معرفة تلاحين الغناء". ويعرفه صاحب الكشكول:" هو علم يعرف منه النغم والإيقاع وأحوالها وكيفية تأليف اللحون، واتخاذ الآلات الموسيقية وموضوعه الصوت من جهة تأثيره في النفس باعتباره نظامه والنغمة صوت لابث زمانا تجري فيه الألحان مجرى الحروف من الألفاظ و بسائطها سبعة عشر وأدوارها أربعة وثمانون ولإيقاع اعتبار زمان الصوت".[99]

فالموسيقى والغناء يرافقان الإنسان دائما والعرب كغيرهم من الأجناس أتقنوا هذا الفن منذ عهد مبكرة –الجاهلية عرفوا خلالها الحداء والهزج والإنشاد وبعض أدوات الموسيقى[100] و بعد ظهور الإسلام شهدت الموسيقى حتى القرن 3هـ 9م حدثين هامين وهما:

أولا: بناء نظام موسيقي منجذر الأصول في مجموعة إسلامية تتسع أكثر باتساع الاهتمام فيها .

---

[96] **إحسان عباس**، المرجع السابق، ص 67.
[97] **جورج طرابيشي**، المرجع السابق، ص 16.
[98] **إحسان عباس**، المرجع السابق، ص 62.
[99] **العاملي بهاء الدين**؛ الكشكول، ط.1، الدار الكتاب اللبناني، بيروت، 1403هـ 1983م، ج.3، ص 424.
[100] **وهيب أبو فاضل**؛ موسوعة علم التاريخ و الحضارة، (من الديانة المسيحية حتى آخر القرن العشرين)، ط.1، د.م، نوبليس، 2003م، ج.10، ص 59.

ثانيا: وضعت قواعد ثانية لهذا الفن الذي بلغ ازدهارا ملحوظا.

وهكذا أصبحت الموسيقى فنا له قواعد وأساليبها أضافها العلماء عليها بعدما كانت وسيلة ترفيهية، وأصبح مقتنيها يتفاعلون بما يتاح لهم من معارف دقيقة سواء في العلوم الموسيقية أو في المجالات الأخرى المتصلة عن قرب أو بعد بعالم الفن الموسيقي اللامتناهي الأطراف[101] وكانت لهذه التطورات اتصال وثيق بالأوضاع السياسية والاجتماعية ويعتبر ابن مسجع[102] أول من غنى الغناء العربي المنقول من الفارسي[103] وقد عرفت الموسيقى ازدهارا وتطورا ملحوظين خلال فترة حكم العباسيين بالمشرق[104] فبرزت مجموعة من المبدعين في هذا الفن أمثال أبو الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب، فيقول عنه صاحب "النفح": "هو مولى المهدي ومتعلم إبراهيم الموصلي" أي أنه كان يعتمد في تكوينه على أستاذه إسحاق الموصلي، ولما هاجر زرياب إلى الأندلس سنة136هـ 753م أي في عهد عبد الرحمن بن الحكم الذي بلغ في إكرامه له وزرياب[105] هو الآخر أفاض عليه بأنغامه العذبة وكان أجره يقدر بأربعة آلاف دينار وجعله عبد الرحمن عمدة للمغنيين في قرطبة خاصة والمدن الأخرى عامة[106]، والسؤال المطروح بشأن الفن الموسيقي:

كيف ساهم زرياب في إثراء الموسيقى بالأندلس؟

ذكر أحمد التيفاشي في كتابه "متعة الأسماع في علم الأسماع" نقلا عن بعض أئمة الفن ما يلي: "إن أهل الأندلس في القدم كان غناؤهم إما بطريقة النصارى وإما بطريقة حداه العرب، ولم يكن عندهم قانون يعتمدون عليه إلى أن تأصلت الدولة الأموية (651هـ 1253م) وكان ذلك زمن الحكم الريفي، فوفد إلى الأندلس من المشرق ومن إفريقيا من يحسن غناء التلاحين المغنية، فأخذ الناس عنهم، إلا أن وفد الإمام المقدم في هذا الشأن علي بن نافع الملقب بزرياب علام إسحاق الموصلي على الأمير عبد الرحمن الأوسط، فجاء

---

[101] **الفن العربي الإسلامي**، (المداخل)، المنظمة العربية للثقافة و العلوم، إدارة الثقافة، تونس، 1994م، ج.1، ص 198.

[102] **حسن حسيني عبد الوهاب؛** "تطور الموسيقى العربية في المشرق و أسبانيا و تونس"، تعريب و تعليق: محمد الأسعد قريعة، العدد الخامس عشر، (مجلة دراسات أندلسية)، المغاربية للطباعة و النشر و الاشهار، تونس، رمضان جانفي 1416هـ 1996م، ص 80 81.

[103] **الفن العربي**، المرجع السابق، ص 82.

[104] **حسن حسني عبد الوهاب**، المرجع السابق، ص 82.

[105] (ت 248هـ/857م).

[106] **المقري**، ج.1، المصدر السابق، ص 344؛ محمد لبيب البتنوني، المرجع السابق، ص 127.
أنظر: **Colot André**, op.cit, p 82.

بما لا تعهده الأسماع واتخذت طريقته مسلكا ونسي غيرها"[107]، وهكذا أورث صناعة الغناء بالأندلس، وخلف أولدا فخلفه كبيرهم عبد الرحمن في الموسيقى والغناء، واخترع زرياب للموسيقى نظاما جديدا، وأضاف إلى العود وترا خامسا، وكان قبله على أربعة أوتار، كما وضع طرقا للغناء حتى أصبحت الموسيقى علما خاصا اشتهرت به الأندلس[108] بعد أن أسس مدرسة الغناء والموسيقى والرقص بقرطبة، ووضع الأسس القوية التي قامت عليها الموسيقى الأندلسية[109] وهكذا لم يخل عصر من عصور الأندلس من مغنيات أندلسيات وموسيقيات وراقصات، وهكذا كثرت مجالس الغناء في كل مكان، وتعدد مراكزها من جميع مدائن الأندلس[110] فشغف أهل الأندلس بالغناء إلى هذا المدى، وهذا يدل على صفة من أبرز صفاتهم ألا وهي رقة عواطفهم[111] فإلى أي مدى بلغ الغناء تطوره في عهد ملوك الطوائف؟ ازدهر الفن الموسيقي بالأندلس إلى ما بعد سقوط الخلافة، لتمتد إلى مرحلة الطوائف وخاصة باشبيلية أيام بني عباد[112] وهذا ما أكده الدكتور إحسان عباس لما ذهب بالقول أن عصر الطوائف في الأندلس عرف عدة تطورات بانقسامها إلى دويلات متنافسة وأصبح لكل بلاط حاشية من المغنيين والمغنيات، تماثل ذلك الحاشية من الشعراء والأدباء والعلماء على تفاوت بين الأمراء في إيثار فريق من هؤلاء على آخر، ونشطت لذلك تجارة الرقيق كما نشط الاتجار بالآلات النفيسة والثياب والأثاث، حرص النخاسون على أن يعلموا الجواري الروميات الغناء وغيره من ضروب الثقافة ليكسبوا في بيعهن مالا كثيرا[113] وهكذا تنافس الأمراء في شراء القيان[114] وآلات الطرب، وكانت قصورهم منتديات زاهرة للموسيقى وما يتبعها من الغناء، وكان معظم أمرائهم من عشاق الموسيقى، وتهافت الأمراء إلى شراء

---

[107] **يولاند بيروني**، المرجع السابق، ص 128.

[108] **نفح الطيب**، المجلد الأول، المصدر السابق، ص344؛ محمد لبيب البتنوني، المرجع السابق، ص 128.

[109] **عبد العزيز عتيق**، المرجع السابق، ص 13- 14.

[110] **ابن حزم**، طوق الحمامة، المصدر السابق، 13- 14.

[111] **المقري**، المصدر السابق، ص 145.

[112] **إبن خاقان**، قلائد، المصدر السابق، ص 180.

[113] **ابن حزم الأندلسي، ابن سعيد الشقندي**؛ فضائل الأندلس و أهلها، تقديم: صلاح الدين المنجد، الكتاب الجديد، بيروت، 1968م، ص 31.

[114] مفردها القينة (المغنية)، و قد قيل إسم يقع على كل أمة مغنية .... أو غير مغنية و اشتقاقها من قولهم قنت الشيء و قنيته إذا زينته بأنواع الزينة و اقتانت الروضة إذا ظهرت فيها أنواع الأزهار و الكاس و الإناء بما فيه من الخمر و لا يقال للإناء وحده دون الخمر كأسا كما يقال مائدة حتى يكون عليها طعام و إلا فهي خوان و لا يقال قلم حتى يكون مبريا و إلا فهو قصبة و أنبوب و قد حكى يعقوب أنه يقال للإناء وحده كأسا. أنظر: ابن السيد البطليوسي، الاقتضاب، المصدر السابق، ص 15.

القينيات الجميلات، البارعات في العزف والغناء، ولو كان ذلك بأموال طائلة[115] وعلى ما يبدو في تلك الفترة كان أغلب بائعي القيان يقومون بتعليمهن، لكسب مال كثير، وهذا ما ذكره الدكتور عبد العزيز عتيق في كتابه "الأدب العربي في الأندلس" فيقول ابن الكتاني يصف فيها تعليمه القيان:"فإنا منبه الحجارة، فضلا عن أهل القدامة والجهالة، واعتبر ذلك بأن في ملكي الآن أربع روميات كن بالأمس جاهلات، وهن الآن عالمات حكيمات... موسيقاويات"[116] ويوضح عبد العزيز عتيق، أن أكثرهن أميات، وفيهن الجواري اللائي يحسن الغناء والموسيقى ويبعن بعد أن يتعلمن بأثمان غالية[117].

من البديهي أن الموسيقى العربية بلغت درجة عالية من الإتقان في عهد بني هود بسرقسطة، وقد تميز عصرهم بالفكر التحرري الذي كان يظهره أمراء بني هود وكذلك تشجيعهم على دراسة المؤلفات والفنون، وكان الأمراء أنفسهم يعطون المثل، فقد تذكر عن ذلك المصادر التاريخية، نزهة قام بها المستعين بالله حاكم سرقسطة، ومن خلالها يبين ابن خاقان، تلك الآلات الموسيقية التي اصطحبها معه وتلك النغمات التي كانت تروج من كل مكان، فيقول في كتابه "قلائد العقيان": "ركب المستعين بالله، يوما نهر سرقسطة، يريد طرادا لذاته وارتياد نزهته... و المستعين أحضر من الآلات إيناسه وأظهر من أنواع ذلك أجناسه ما راق من حضر وفات حسنة الروض الأنضر والزوارق قد حفت به والتفت بجوانبه ونغمات الأوتار تحبس السائر عن عدوه وتخرس الطائر..."، وهناك قصيدة نسبت إليه، وهذه القصيدة تظهر متعة هذه النزهة، بنغمات هجاجة فقال:

لله يوم أنيق واضح الغـرر مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا فيه يعتبني وأبدي صفح معتذر[118]

وما يخص بالذكر أن سرقسطة في ظل بني هود، لعبت دورا كبيرا في التبادل الثقافي والحضاري بين الأندلس وبين الدولة الأسبانية المجاورة، فكانت في عهدهم مهبط الفرسان الذين كانوا من مختلف الأجناس، وبنزولهم في البيضاء والتي كانت بلاطات أمرائها، ساحة رحبة، تعم أرجاؤها بالترف والبذخ –والتي كانت ميزة العصر- فأصبحت مركزا لأشعار

---

[115] **محمد عبد الله عنان**، المرجع السابق، ص 441.
[116] **عبد العزيز عتيق**، المرجع السابق، ص 144.
[117] نفسه، ص 145.
[118] **ابن خاقان**، المصدر السابق، ص 193- 194.

الفروسية، خاصة الشعر الغنائي الذي كان محبب آنذاك، وانتشر في أرجاء قلطونية و آرغون و نافار، فغدت بذلك سرقسطة، المعبر الذي تنتقل من خلاله تلك المقطوعات الغنائية الأندلسية، إلى المجتمعات النصرانية، والتي كان لها تأثير كبير في الملاحم والأناشيد القومية[119] وعلى ما يبدو أن الأناشيد القومية كانت تزيد من حماس الفرسان والجنود في المحاربة، وبالتالي يمكن أن نقول أن الموسيقى أو الغناء، قد ساهم في العمليات الحربية، أكثر ما كان للترفيه.

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا، إذا كانت الموسيقى، من العلوم التي حظيت بنصيب أوفر خلال القرن 5هـ 11م فكيف كانت نظرة الفقهاء اتجاه المغنيين والغناء؟

نستطيع أن نقول: أن الأندلسيون أقبلوا على هذا الفن الغنائي إقبالا ليس فيه استنكار، وكان أكثر فقهائهم في هذا يستحسنون له[120] وكان بعضهم يرون فيهما غير مِؤذيين[121] إذ لا يوجد قط ما يبرر أو يؤكد هذا الزعم، بأن الموسيقى محرمة، يكفي أن تستدل بالقرآن الكريم لقوله تعالى: "قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده"[122] وقوله تعالى: "إن أنكر الأصوات لصوت الحمير"[123]. وهذا ما يؤكد زعم هؤلاء الفقهاء من حرمان الموسيقى، ولا مانع شرعا من تعلمها، وحتى أنهم اشتغلوا بأنفسهم فيها[124]، ومن الحكايات ذات الدلالة في هذا قصة قاضي الجماعة محمد بن أبي عيسى، وهو من بني حدير، وجارية للحديري تغنيهم أبياتا أولها:

طابت بطيب لقائك الأقداح وزهت بحمرة خدك التفاح.

فكتب القاضي في يده، وخرج للصلاة على جنازة، وهي مكتوبة على راحته.[125]

وأقرب مثال، ابن حزم الأندلسي الفقيه، ذكر مجالس الغناء ما كان يردد فيها من شعر، ويصور تأثره الشديد بما كان يسمعه من هذه المجالس، كما أنه ألف رسالة رد فيها

---

[119] **السامرائي**، المرجع السابق، ص 303.
[120] **إحسان عباس**، بحوث و دراسات إسلامية، المرجع السابق، ص 303.
[121] **الفن العربي الإسلامي**، ص 198، جار ريسلر، المرجع السابق، ص 111.
[122] **سورة الأعراف**، آية 32.
[123] **سورة لقمان**، آية 19.
[124] **العاملي**، الكشكول، الجزء الثالث، المصدر السابق، ص 442.
[125] **إحسان عباس**، المرجع السابق، ص 303.

جميع الأحاديث التي وردت في ذم الغناء الملهي[126] ولكن هذا لا يمنعنا من القول أن عصر الطوائف، الذي كانت تكثر فيه مجالس الغناء والتي لا تخلو من الشراب والخمر[127] أن الموسيقى أخذت هؤلاء الأمراء إلى حب الشهوات، وهكذا ساد المجتمع في تلك الفترة الانحلال الخلقي، وشاعت العلاقات الجنسية المحرمة والشرب والخمر مما أدى إلى تذمر الفقهاء وحتى العلماء[128] وهذا ما أشار إليه "مصطفى الشكعة" حين قال أن الترف الشديد الذي عاشه الأندلسيون غماره في هذه الفترة، دفع بكثرتهم إلى الغلو في بعض مناهج سلوكهم فأسرفوا في الشرب إسرافا شديدا فذاع الغزل حتى أصبح شيئا غريبا[129] ومن قول ابن حمديس في وصف مجالس الرقص على نغمات الموسيقى:

وعدنـــا إلى هالـــة أطلعت على القطب البان أقمارها
يرى ملك اللهو فيها الهموم تثـور فيقتـل نـوارهـا[130]

ومن هذا نرى أن المجتمع في عهد ملوك الطوائف –بني هود اشملوا الشهوات، وشاعت فيهم مجالس الخمر والسماع والرقص على نغمات الأوتار، الأمر الذي جعل العلماء يحرصون على دينهم، والدليل ما كان يقوم به محتسب الأندلس الذي كان ينهى الراقصين والمغنيين والملهين[131].

ومما يؤكد الصلة بين العروض والموسيقى أن ابن حداد، ألف كتابه في العروض سماه "الامتعاض للخليل" مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية ولآراء الخليلية، ورد فيه على سعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بصاحب الحمار، ونقض كلامه فيما تكلم عليه من الأشطار[132]، ويتبين أيضا الصلة الموجودة بين الموشح وتطوره وبين الغناء وظهوره، فالموشح تواكب في ظهوره مع فن الغناء، فغذاه بالكلمة واستلهم منه الشكل التعبيري[133]. وقد صادفت هذه الحركة وجود آلة جديدة هي خير آلة صالحة للتغني بالموشح فإن أغلب

---

[126] نفسه، ص 304.
[127] **محمد لبيب البتنوني**، المرجع السابق، ص 146.
[128] **ابن حزم**، المصدر السابق، ص 13- 16.
[129] **مصطفى الشكعة**، المرجع السابق، ص 11.
[130] **محمد لبيب البتنوني**، المرجع السابق، ص 146.
[131] **ابن عبد الرؤوف**، ثلاث رسائل أندلسية، المصدر السابق، ص 113.
[132] **إحسان عباس**، المرجع السابق، ص299.
[133] **عدنان فائق عنتباوي**، المرجع السابق، ص 152.

الموشحات مبنية على تأليف الأرغن وخضع الموشح في تلحينه للضرورات الغنائية، ومرة أخرى نستشهد بابن سناء الملك الذي ذكر أن بعض الموشحات لا تتم نغمتها إلا حين يزيد عليها المغني ما يكمل النغمة[134]، ومن الذين برزوا في الميدان، أبو بكر محمد بن الحسين بن باجة، فيلسوف الأندلس وإمامها في الألحان[135].

وقد اهتم بالنواحي الموسيقية عامة وبالموشح خاصة، يجعلنا نقدر له دورا في تطوير الموسيقى الأندلسية، يشبه دور زرياب، وقد تكون على يده مجموعة من التلاميذ، دربهم بمعرفته الكبيرة لأصول الموسيقى[136] فذكره صاحب القلائد بقوله:" فقصر عمره على طرب ولهو واستشعر كل كبروز هو وأقام سوق الموسيقى، وهام بحادي القطار وسقا فهو يعكف على استماع التلاحين، ويقف عليها كل حين، ويعلن لذلك الاعتقاد ولا يؤمن بشيء قادنا إلى الله في أساس مقاد"[137]، وعلى ما يبدو إن ابن خاقان، كان يكن حقدا شديدا للفيلسوف ابن باجة، ويذكر القفطي صاحب كتاب "أخبار العلماء بأخبار الحكماء" أن سبب العداء يرجع إلى أن ابن خاقان قد أرسل لابن باجة يطالبه بشيء من الشعر كي يورده في كتابه، فغالطه فأحنق عليه، فذكره ذكرا قبيحا في كتابه[138] فوصفه بالرمد الجفن الدين، ولما استوزره أبو بكر بن تيفلويت ملك سرقسطة، فنشد له في ألحان مبكية، من ذلك قوله:

سلام و إلمام وروح ورحمة على الجسد النائي الذي لا أزوره[139]

وكان ابن باجة من المتقنين في اللعب بالعود[140] ويصفه ابن خلدون: "بأنه صاحب التلاحين المعروفة" واليه تنسب الألحان المطربة بالأندلس التي عليها الاعتماد، واشتهر ابن باجة باعتباره ملحنا ومبدعا، ويقول ابن سعيد المغربي:"هو في المغرب بمنزلة أبي نصر

---

[134] **إحسان عباس**، المرجع السابق، ص306.
[135] **ابن سعيد المغربي**، المصدر السابق، ص 119.
[136] **إحسان عباس**، تاريخ الأدب الأندلسي، (عصر سيادة قرطبة)، المرجع السابق، ص 300 301.
[137] **ابن خاقان**، المصدر السابق، ص 314.
[138] **القفطي**، أخبار الحكماء، المصدر السابق، ص 256.
[139] **ابن سعيد المغربي**، المصدر السابق، ص 119.
[140] **العود**، و هو دون منازع أقدم الآلات، و تجمع المصادر التاريخية على أهمية مواكبته لمراحل تطور الموسيقى الأندلسية و لا يزال شيوخ الطرب متمسكين به، و قد حل العود بأرض المغرب مع حلول العرب المسلمين، و انتقل مع الفاتحين الأوّلين، إلى الأندلس، و قد اخترع زرياب وتر خاصا أحمر اللون و أضافه إلى الوتر الوسط الدوري و وضعه تحت المثلث و فوق المثنى. أنظر يولاند البيروني، المرجع السابق، ص 32.

الفارابي بالمشرق" ولسوء الحظ لم يصلنا شيء من كتاباته فيما يخص الموسيقى[141]، ولما حضرته الوفاة كان ينشدن وهذه بعض المقطوعات منها:

أقول لنفسي حين قابلها الردى فراعت قرارا منه يسرى إلى يمنى.

قري، تحملي بعض الذي تكرهينه فقد طالما الفرار إلى الأهنى[142].

وتذكر المصادر أن الآلات الموسيقية التي كانت تعم سرقسطة، أيام بني هود متطورة، وجديدة والدليل على ذلك ما ذكره ابن خاقان عن عرس لأحد أمراء بني هود فيقول:"ولما أعرس المستعين بالله ببنت الوزير الأجل أبي بكر بن عبد العزيز[143] احتفل أبوه المؤتمن في ذلك احتفالا شهره، وأبدع فيه إبداعا راق من حضره وبهره، فإنه أحضر فيه من الآلات المبتدعة، والآلات المخترعة ما بهر الألباب، وقطع دون معرفتها الأسباب، واستدعى إليه جميع أعيان الأندلس"[144] وكانت الموسيقى من الاهتمامات العلمية للمؤتمن، الذي أخذ يشجع العلماء، فصنف له العلامة الأديب العروضي نصر بن عيسى كتابا في العروض ويبدو أن له علاقة بالموسيقى والألحان[145] وقد ساهم اليهود في تطوير هذا العلم فبرز في هذا الفن اليهودي السرقسطي الوزير أبي الفضل بن حسداي، وكان من أعلام الغناء في سرقسطة، حيث تأثر بابن زيدون من الرسالة التي أرسلها إلى خصمه ابن عبدوس، ومن خلال هذه الرسالة تظهر كل ملامح الثقافة المعرفية في شتى ميادين العلم والمعرفة التي كانت متداولة في القرن 5هـ 11م[146] وقد برع أبو الفضل في الموسيقى[147] فيذكر صاحب النفح هذه القطعة الشعرية الغنائية، التي أصدرها الوزير أبي الفضل أيام المقتدر بالله، وكانت أروع الغواني في تلك الفترة:

تورد خـدك للأحداق لـــذات عليه عنبر الأصداع لامـــات

نيران هجرك العشاق نار لظى لكن وصلك إن واصلت جنات[148]

---

[141] **خوليان ريبيرا**، التربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 78 79.

[142] **بلنثيا آنخيل جنثالث**، المرجع السابق، ص 123.

[143] **أبو بكر عبد العزيز** كان وزيرا ببلنسة للمظفر عبد الملك بن منصور عبد العزيز بن الناصر العامري. أنظر: نقلا عن هامش رقم 03 من كتاب "نفح الطيب" للمقري، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 641.

[144] نفسه، 641.

[145] **البشري**، الحياة العلمية، ملوك الطوائف، المرجع السابق، ص 135.

[146] **محمد الآمين بلغيث**، الحياة الفكرية، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 135.

[147] **إحسان عباس**، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف)، المرجع السابق، ص 62.

[148] **للمقري**، نفح الطيب، المجلد الأول، المصدر السابق، ص 640 .641

وعلى ما يبدو أن فن الموسيقى والغناء، حظيا بالعناية لدى بني هود، وهذا ما أكده الأستاذ سعد بن عبد الله البشري بقوله: "وهي من العلوم التي حظيت بالعناية لدى بني هود"[149].

هكذا، لقد تقدمت الموسيقى العربية خلال هذه الفترة بخطى وطيدة ثابتة وتطورت تطورا رائعا فبلغت من التقدم العملي والمستوى العلمي درجة عالية لم تصل إليها من قبل، ذلك بفضل عوامل عدة، منها وفرة المختصين المحترفين، إضافة إلى تشجيع الأمراء لهم بالجوائز المالية، والتكريم، بل برز العديد منهم في المجال نفسه، إلى جانب التكوين الجاد الذي كان يتلقاه محترفو الموسيقى فجعلهم يتمتعون بمستوى رفيع لا في الميدان نفسه بل تعداه إلى الميادين الثقافية العامة، كل هذه المعطيات مكنت من وضع وتثبيت للنظام الموسيقي العربي، تثبيتا تاما في مختلف جزئياته

[149] **البشري**، المرجع السابق، ص 135.

الفصل الخامس

العلوم العقلية

لاشك ان تعبير العلوم العقلية لا يدل دلالة واضحة على مجموعة العلوم التي نتناولها في هذا المجال .لأنه مامن مادة علمية الا وكان للعقل فيها نصيب .

لكن العرب استخدموا هذا التعبير للتفرقة بين العلوم اللسانية والدينية .

ولم يقتصر العرب في بحثهم العلمي على حقل معين من حقول المعرفة بل خاضوا في العلوم النقلية كالدين والتاريخ والعلوم العقلية على اختلافها ومنها العلوم العددية او الرياضية كالحساب والجبر والهندسة والفلك والمنطق والعلوم التطبيقية كالفيزياء والكيمياء بالإضافة الى العلوم الطبيعية كالطب والصيدلة والفلاحة .

حضيت العلوم العقلية بسرقسطة مكانة طيبة وبرز فيها عدد كبير من العلماء والمفكرين كان لهم باع كبير في التاريخ الحضاري الأندلسي.

الفصل الخامس:

علم الطب و الصيدلة:

كان الطب[1]، من العلوم التي نالت نصيبها عند العرب، بحيث أغرقوا سوق العلوم بمعارفهم و كتبهم، التي ظلت رائجة بين أوساط الباحثين و الدارسين، فكانت كتب "ابن سينا" و كتب أبي القاسم الزهراوي و مؤلفات الرازي و ابن زهر و حنين ابن اسحاق، قدوة لمن جاء بعدهم، إلى جانب الكتب المترجمة باللغتين اليونانية

[1] **الطب لغة:** و المتطبّبَ الذي يتعاطى علم الطب، و الطبُ و الطِّب لغتان في الطب، و قد طب يطب و تطبب، و قالوا: تطب له سأل له الأطباء، و جمعه أطبة، و الكثير أطباء، انظر: جعفر يايوش؛ الحركة الطبية في الأندلس بين الصراع السياسي و المعرفي، دار الغرب الإسلامي لنشر و التوزيع، وهران، 2004م، ص30.
و الطب شرها: موضوعاته تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض، يحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرضى بالأدوية و الأغذية، أنظر بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 478.

و الرومانية، و أصبحت الثقافة العربية اليونانية أساسا لعلم الطب[1]، و لكن ماذا نقصد بالثقافة العربية اليونانية؟ فتجمع المصادر التاريخية أن العرب أعطوا اهتماما كبيرا للدراسات القديمة، لذلك عملوا على ترجمة تلك الكتب كما شرحوها، قصد إثراء ثرائهم المعرفي و العلمي، و من ثم انطلقوا يبحثون عنه في كل مكان و تمكنوا من نقل علوم بلاد اليونان و الرومان[2]، و لكن هل يكتفي القول بأن الدراسات القديمة و حدها ساهمت في إثراء الطب الأندلسي؟

كان القرن الثالث الهجري التاسع للميلاد، الفترة الذهنية للدراسات الطبية ببلاد المشرق –العهد العباسي فبرز أطباء أغنوا الساحة الطبية بإنتاجهم[3]، أمثال الطبيب أبو بكر محمد بن زكريا الرازي[4]، و يظهر من المصادر أن الأمويين بالأندلس أولو اهتماما كبيرا بالطب وبتولي هشام المؤيد الخلافة نشطت مجالس العلم و العلماء بالأندلس، فالبرغم ما كان من ترفه و إهماله لشؤون دولته[5] إلا أن عهده يكاد لا يخلو من أسماء أعلام الأطباء، فنجد بين تراجم ابن الآبار في التكملة ترجمة لأحد الأطباء، و هو أحمد بن يوسف الجدامي المعروف الحراني[6]، و انتقلت مع هؤلاء الأطباء الكتب المشرقية، منها كتاب "زاد المسافر وقوت الحاضر" الأبي جعفر أحمد بن الجزار القيرواني[7]. وكان الحراني[8] عالما بالطب طلبة من بغداد وكان من أقرب أطباء المستنصر[9].

---

[1] **زيغريد هونكة؛** شمس العرب تسطع على الغرب، (أثر الحضارة العربية في آوربة)، نقله إلى العربية: فاروق بيضون ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة و التوزيع و النشر، بيروت،1964م، ص 306.

[2] **القفطي،** أخبار الحكماء،المصدر السابق، ص57.

[3] **أبقو علي،** الأطباء الأندلسيون ودورهم في أثراء الدراسات الطبية و تطوريها،لمجلة دراسات أندلسية،العدد 30،المطبعة المغربية للطباعة و النشر و الإشهار،تونس،جمادي الأولى شوال 1424هـ/جويلية ديسمبر2003م، ص16.

[4] من أشهر الأطباء، و تعد مؤلفاته من أعظم ما ترك في الطب، و من أشهرها الحاوي،"**القطاب**"و "**المنصور**" وهذا الأخير صغير الحجم و لكنه كثير الفائدة،(ت 320هـ - 923م)،أنظر:صاعدة الأندلسي،المصدر السابق،ص137، اليافعي، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص263 264..

[5] **ابن الخطيب،** تحقيق: ليفي بروفسال، المصدر السابق، ص 48 49.

[6] ينسب إليه المسجد الحراني: ويروي ابن جلجل قصة له، فيقول: لما دخل الحراني الأندلس أدخل معه معجون (نوع من الدواء) كان يبيع الكثير منه بأرخص ثمن،و هذا الدواء يستعمل لمداواة أوجاع الجوف (البطن) فاجتمع حوله خمسة من الأطباء و اشتروه منه ثم أصبح كل واحد منهم يبيعوه بثمن عال و منهم حمد بن وجواد. أنظر: ابن جلجل،المصدر السابق، ص94.

[7] **(ت 390هـ 927م).**

[8] **الخطابي،** الجزء الأول المصدر السابق، ص16.

[9] **ابن الآبار؛** التكملة لكتاب الصلة، تصحيح:عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة:مصر 1900م1ج.1، ص15.

كما تأثرت بالرحلات التي كان يقوم بها العلماء إلى بلاد المشرق، أمثال أبو مروان بن زهير[1] و يحي بن يحيي[2] المعرف بابن السمينة[3]، كما قلنا سابقا أن الترجمات ساهمت في هذا الإثراء، ففي عهد الحكم المستنصر ترجم كتاب "الحشائش" لديسقوريدوس[4] و تعد ترجمة هذا الكتاب في الأعشاب الطبية موجة عظيمة في ازدهار الدراسات الصيدلية[5] التي تكمل الدراسات الطبية، و إن صح التعبير فهما متكاملتين، لأن الطبيب يستلزم عليه معرفة أنواع الحشائش و النباتات و معرفة خواصها، ليصف دواء لعلاج المرضى[6] ومن ثم انقسمت مسؤولية الطبيب و الصيدلاني، و تفرعت عنهما مهنتان، و هذا ما يدل على التفتح في الطب الإسلامي العربي[7] فامتلأت الأندلس بالأطباء و الجراحين و الصيادلة في مختلف المدن، فبرزت أسرة آل زهر التي كان لها باع كبير في الأندلس[8] و تخصص في الجراحة أعظم جراح عربي ألا و هو أبو قاسم الزهراوي[9].

والجدير بالذكر أن اتصال الأندلسيون بالطب في البداية، كان يقتصر على قراءة الكنانيش، المؤلفة من فرع الطب[10] و على ما يبدو أن الأطباء كانت غايتهم الأولى خدمة صحة حكامهم أكثر ما كانت عندهم علم خاص. و لكن هل استمر هذا المنوال؟

---

[1] **ابن زهر (1094- 1168م) أبو مروان بن أبي العلاء**؛ ولد في الشيلية، و اعتبره ابن رشد أعظم طبيب بعد جالينوس، له اختراعات في علم الجراحة، و ألف كتاب"الاقتصاد و كتاب (**التسيير**) ذا الأثر الكبير في الطب الأوروبي: أنظر: زيفريد هونكه، المرجع السابق، ص346.

[2] **(ت 315هـ 927م).**

[3] **الخطابي**، الطب و الأطباء المصدر السابق، ص16.

[4] ترجم بمدينة بغداد في عهد الدولة العباسية أيام بعفر المتوكل، و كان المترجم له اصطفن بن بسيل من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية، ثم جاء بعد حنين بن إسحاق (ت 298م 911م) وصحح الترجمة.أنظر: ابن جلجل،المصدر السابق،ص68، أنظر: القفطي، أخبار العلماء و الحكماء المصدر السابق، ص57، ابن النديم المصدر السابق ص409 410.

[5] فالصيدلة تعتمد على تركيب"**العقاقير**" و العقار في الآرامية هو الدواء ويعالج الأطباء بشرب العقاقير. انظر: محمد بنيعيش، المرجع السابق،ص44.

[6] **سعد بن عبد الله البشري**، الحياة العلمية في عصر الطوائف، المرجع السابق، ص745.

[7] **زيغريد هونكه**، المرجع السابق، ص319 و ما بعدها.

[8] **يوسف علي بن إبراهيم العريني**، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين،ط1، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1416هـ 1995م، ص332 333.

[9] **طبيب البلاط عند الحكم المستنصر الثاني؛** ترك مؤلفات كثيرة منها كتابه المشهور"**التصريف لمن عجز عن التأليف**" يشمل على ثلاثين مقال في الطب و الجراحة**(ت 1013م)**، انظر: **زيغريد هونكه**، المرجع السابق ص347.

انظر: Clot André, l'Espagne musulmane, op.cit, p 258.

[10] **سعد بن عبد الله البشري**، المرجع السابق، ص455.

و طبعا الحال لم تبق كذلك، فتسير المصادر التاريخية أن بعد سقوط بني أمية بالأندلس، ألفت كتب استمر البحث فيه[1].

و في عصر الطوائف ازدادت العناية بالدراسات الطبية، بحيث حققوا نتائج رائعة في هذا المجال. فإذا كانت للدراسات الطبية نصيب أوفر في هذا العهد، فهل نالت سرقسطة نصيبها من هذه الدراسات؟

و ما يجدر بنا أن نشير إليه أن سرقسطة قبل مجيء بني هود إليها، ترعرعت الدراسات الطبية فيها، بدليل الدور الذي قام به الطبيب أبو عبد الله محمد بن الحسن المعروف بابن الكتاني[2]، خدم المنصور محمد بن أبي عامر و ابنه المظفر و بعد سقوط الدولة العامرية انتقل إلى سرقسطة و عاش هناك، حيث اشتغل في الطب، فصنف فيها كتابه المشهور المسمى "الأدوية المفردة" و تذكر المصادر التاريخية أنه من أروع ما ألف في الطب إلا أن الكتاب ضاع[3].

و لعل الكتاني غرس البذور التي استفاد منها ببني هود، فتذكر المصادر التاريخية أن العلوم الطبية حظيت بعناية كبيرة لدى أمراء بني هود و ما يدل على ذلك، اهتمام المؤتمن أحد أمرائها في تنشيط الحركة الطبية، فجلب العديد من العلماء و الأطباء إلى بلاطه، كما شجعهم على الإقامة في حاضرته[4]، و كان ابنه المؤتمن من المهتمين بالطب و تشجيعه و إكرام أهله؟، فيشهد المؤرخون على كتاب صف للمستعين، فألفه اليهودي يونس ابن إسحاق بن بكلارش و هو كتاب خاص بالأدوية المفردة، و أطلق عليه اسم الأمير "المستعين" و يذكره بعضهم باسم المجدولة في الأدوية المنفردة" و لعل الاسم يعود إلى الجداول التي وضعها فيه[5] و انتهى من تأليفه سنة 500هـ/1106م، كما توجد نسخة من الكتاب في المكتبة الحسينية بالرباط تحت عنوان "المستعين" برقم (673) أملاه عايد الفاسي، و في الخزانة العامة تحت اسم "المستعين" في الطب برقم (55/د) و هو على شكل جداول مع مقدمة عن أصول

---

[1] **الخطابي**، الطب و الأطباء، ج1، المصدر السابق، ص20.
[2] **(ت 420هـ 1029م).**
[3] **بلنثيا أنخيل**، المرجع السابق، ص466 467.
[4] **الخطابي**، الطب و الأطباء، ج1، المصدر السابق، ص21.
[5] المرجع السابق، ص135- 136.

الصيدلة و معرفة قوى الأدوية و أفعالها، و توجد نسخة مصورة بمعهد التراث بحلب برقم (197)، و هناك نسخة بعنوان "المستعين" برقم (1339) و توجد نسخة منه في مدريد برقم (3009) من القرن 11م[1] و قد أورد في هذا الكتاب أسماء الأدوية بالسريانية و الفارسية و اليونانية و اللاتينية و العربية و حتى بالعجمية العامية التي كان يتحدث بها أهل الأندلس[2] و قد ذاعت صيحة هذا الكتاب و هذا ما ذكره الدكتور عبد الرحمن بدوي، حيث أقيمت له دراسات عديدة من طرف العلماء و من هؤلاء العالم الفرنسي "رينو"[3].

و لعل هذا الكتاب من أعظم ما ألف في علم الصيدلة في عهد بني هود، فإلى جانب ابن بكلارش برز مروان بن جناح السرقسطي و هو يهودي الأصل، فخلق ترجمة للأدوية المفردة، حدد من خلالها المقادير المستعملة في الطب و ذلك حسب الأوزان و المكاييل الدقيقة[4].

و من التابعين في البلاط الطبيب "منجم بن الفوال"، فكان من البار عين في المجال الطبي و من الذين وفدوا على بلاطهم نذكر العالم و الفيلسوف و الطبيب أبا الحكم عمر بن عبد الرحمن بن علي الكرماني، الذي اشتهر بعملية الكي و القطاع و الشق و البط و غير ذلك من الأعمال الطبية[5] و من أهل سرقسطة العلامة و الفيلسوف ابن باجة،فتشير المصادر التاريخية أنه أعظم طبيب عرفته الفترة، فكان على دراية كبيرة بالطب، واشتغل طبيبا في بلدته، ولما سقطت سرقسطة البيضاء في يد النصارى انتقل الطبيب ابن باجة إلى مواضع أخرى، و ألف السرقسطي ما لا يقل عن أربعة و عشرين كتابا من كتبه في الطب و الفلسفة[6] و على ما يبدو أن ابن باجة سيطر على الساحة الطبية و أصبح قائدها و مقتله كان أكبر دليل على ذلك، فيذكر

---

[1] زهير حميدان، إعلام الحضارة العربية، القسم الخامس، المرجع السابق، ص551.
[2] **بلنثيا أنخيل، جنتالث**، نفس المرجع، ص469.
[3] **البشري**، المرجع السابق، ص613.
[4] **صاعد الأندلسي**، المصدر السابق، ص204، انظر: البشري، المرجع السابق، ص475.
[5] **صاعد الأندلسي**، نفس المصدر،ص204.
[6] **القفطي**، أخبار العلماء،المصدر السابق، ص 162.أنظر: السعيد الورقي المرجع السابق، ص51، إحسان عباسي، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف، المرجع السابق، ص62.

الأستاذ "دي بور" أنه قُتل مسموما بتدبير أحد الحاسدين على مكانته[1] و من المعتنين بهذا العلم أبو عبد الله محمد بن عبد الله حامد المعروف بابن السباش البجاني، الذي كان من العارفين بالعلم الطبيعي و العام الإلهي[2].

و نستنتج من خلال هذا أن أهل الذمة خاصة اليهود ساهموا في إثراء هذا العلم و تنشيطه في سرقسطة، فبرز منهم الأطباء و الصيدلة و الجراحين، و هذا لا يعني أن العرب لم يساهموا في ذلك بل أعطوا نصيبا أكبر فيما يخص هذه الدراسات و أكبر دليل انتاجاتهم التي مازالت تشهد على عقول هؤلاء الأبرار في المجال الطبي.

علم الرياضيات:

بلغت الرياضيات أوجها بالأندلس في القرن الخامس الهجري، حتى أنه يقال الإنسان لا يكون عالما و لا فيلسوفا و لا طبيبا حاذقا إلا بدراسة الرياضيات و فروعها[3] و كانت سرقسطة في هذه الفترة من أعظم المراكز للدراسات الرياضية[4] و كان أمرائها قد أعطوا العناية الكبيرة لدراسة هذه العلوم من حساب و جبر و هندسة، حتى غدت سرقسطة في ظل أمراء بني هود، العصر الذهبي للعلوم الرياضية و الهندسية[5].

أ الحساب:

منذ عهد مبكرة و المسلمون يعتنون بالحساب، فعملوا الأرقام و ساهموا في استكمال المثلثات و إتمام جداول اللوغارتمات[6]، كما يعود الفضل إليهم في إنشاء علم الجبر[7] و قاموا بتهذيب الترقيم الهندي الذي كان يعتمد على تسعة أرقام فأضافوا الصفر إليها.[8]

---

[1] **دي بور**، المرجع السابق، ص301.
[2] **صاعد الأندلسي**، نفس المصدر، ص185.
[3] **طه باقر**؛ موجز في تاريخ العلوم و المعارف، ط.1، د.ط، القاهرة،2004، ص 152، أبو رويدة، المرجع السابق، ص121.
[4] **عبد الله عنان**، المرجع السابق، ص435 436، الفيومي، المرجع السابق، ص139.
[5] **ابن خلدون**، العبر، المصدر السابق، ص163.
[6] **زيغريد هونكه**، المرجع السابق، ص54.
[7] و أول من ألف في جبر هو محمد بن موسى الخوارزمي (ت 232هـ 847م)، ثم جاء بعده أبو كامل شجاع بن أسلم و ألف فيه و قد اعتمد الأندلسيون على مسائله الست. أنظر: ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 498 469.
[8] **زيغريد هونكه**، المرجع السابق، ص54.

أما عن علم الجبر في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، لا يعرف أي شيء عن تطوره في هذه الفترة عدا ما يمكننا استنتاجه من كتاب المعاملات ليوحنا الاشبيلي (Liber Mahameleth) و لربهما من تحليل البحوث حول قسمة الميراث (علم الفرائض) و استمر ذلك حتى أواخر القرن السادس الهجري الثاني عشر للميلاد (631هـ 1232م،897هـ 1492م) أين عثر على تلخيص لكتاب في الجبر و هو كتاب "اختصار الجبر و المقابلة " ألفه أبو عبد الله بن عمر بن محمود بن بدر[1].

و كان الحساب و الجبر و الفرائض تدرس لما تتطلبه الحياة الاجتماعية اليومية من الحسابات سواء في التجارة أو الضرائب و الخراج إلى جانب تقسيم الأراضي[2].

و سرقسطة عرفت الجبر قبل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، بديل وجود علماء فيها أمثال يحي بن عجلان من أهل سرقسطة فكان حاسبا عارفا لعلم الفرائض و من أثاره"كتاب في الحساب"[3] و في ظل بني هود انتشر الحساب في مملكتهم، بحيث ساهم علمائها في تجلية غوامض الفكر الرياضي مستعينين في ذلك كتب المشارقة، و كما استفادوا من العلماء الذين هاجروا إليها أمثال العالم الرياضي الكرماني الذي كان حتى راسخا في علم الحساب و العدد[4].

و من علماء الحساب في العصر بني هود العالم الرياضي محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن برغوث[5] من أهل سرقسطة، أخذ عن ابن الصفار، و قد كان على دراية كبيرة في علم العدد و الهندسة معلما بذلك في بلده[6] و من البارزين أيضا في الحساب عبد الله بن أحمد السرقسطي[7] الذي يعتبر أهم شخصية رياضية و كان قائما على علم العدد و الهندسة مبرزا فيهما توفي في المدينة بلنسية[8].

ب الهندسية:

---

[1] **ألجيوسي**، المرجع السابق، ص 1316- 1317.
[2] **خوليان ريبرا**، التربية الإسلامية، للمرجع السابق، ص72- 73.
[3] **زهير حميدان**، المرجع السابق، ص 53.
[4] **إحسان عباس**، تاريخ الأدب، المرجع السابق، ص61.
[5] **(ت 444هـ 1052م)**
[6] **محمد حسين فروشوح**، المرجع السابق، ص 40.
[7] **(ت 448هـ 1056م).**
[8] **صاعد الأندلسي**، المصدر السابق، ص175، خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية، ص73.

لقد وجه اهتمام السرقسطيين الأكبر في مجال الدراسات العقلية خاصة العلوم الرياضة بحيث كان أمرائها يمارسون مختلف العلوم و لكن البارز في بلاط بني هود علم الهندسة[1] فبرزت ثلاث شخصيات في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي يعود لها الفضل في إرساء هذا العلم صورة واضحة لتضع المبادئ الأولى للانطلاق حركة العلوم العقلية في عصر المرابطين، و الباحث في مجال العلوم العقلية لا يمكنه أن يستغني على ذكرها مادامت هي الركيزة الأولى لعلمي الرياضيات و الفلك، أولها: أبا عامر يوسف بن أحمد المؤتمن ملك سرقسطة (474 478هـ/1081- 1085م)، و ثانيها: أبا زيد عبد الرحمن بن السيد و كان من علماء بلنسية آنذاك لحول الفترة الممتدة (456 940هـ/1063- 1096م) و ثالثها: الفيلسوف الرياضي الشهير ابن باجة السرقسطي[2] و إلى جانب هؤلاء برز في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي أبا عبد الله محمد بن معاذ الجيائي[3] اشتغل قاضيا بمدينة جيـان[4]. و تذكر المصادر التاريخية أن أمراء بن هود كانوا من هواة و مجي العلوم الهندسية،فكان المقتدر بن هود من النابغين في علم الهندسة بارعا فيها، و قد نسبت إليه دراسات عملية في الرياضيات و للأسف لم يصلنا شيئا منها[5] و كان ابنه المؤتمن من المولعين بها أيضا حيث ذاعت صحته في الحقل الدراسات الهندسية[6] كما ألف فيها عدة تصانيف أشهرها كتابة "الاستكمال و المناظر"[7] و أثارت بحوث هذين الأميرين إعجاب الدوائر العلمية في العصور الوسطية فالبرغم من شهرة كتابه "الاستكمال" إلا أنه لم يكن مؤرخو العلوم يعرفونه، و استطاع[8] الأستاذان هوخندك (Hogendijk) و أحمد جبار الجزائري من اكتشاف أربع مخطوطات من الكتاب و التي كانت غير كاملة، على غرار ما ورد في الجزأين الخامس و السادس من

---

[1] هو النظر في المقادير إما المتصلة كالخط و السطح و الجسم أو المنفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزواياه قائمتين أو مثل كل خطين متوازيين لا يلتقيان في جهة. أنظر: ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 470.

[2] **(ت533هـ/1138م).**

[3] **(ت533هـ/1138م).**

[4] **الجيوسي**، المرجع السابق، ص1318.

[5] **الجيوسي**، المصدر السابق، ص 1.

[6] **إسماعيل باشا البغدادي**، هدية العارفين، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص551.

[7] **ابن خلدون**، العبر، المصدر السابق، ص163، **المقري**، نفح الطيب، للمجلد الأول، المصدر السابق، ص 441

[8] عنان، المرجع السابق ص436.

كتاب الأصول لإقليدس و هندسة الكرة و المجسمات الأخرى و المقطوعات المخروطية و تثبيت الأجزاء الموجودة في كتاب "الاستكمال".[1]

و على ما يبدو أن المؤتمن كان يملك مكتبة عظيمة تضم أروع و أشهر التصانيف في مختلف العلوم الرياضية في القرن الخامس الهجري، ككتابي إقليدس في الأصول و البيانات و كتاب أرخميدس في الكرة و الاسطوانة و كذلك تعليق بوتوسيوس على الجزء الثاني من هذا الكتاب، و كتاب الكريات لتيودوسيوس و ميلاوس و كتاب المخروطيات لابولونيوس و المحبسطي لبطليموس و رسائل بن قرة في الأعداد المتحاثة و في مبرهنة منيلاوس، و رسالة بني موسى في قياس الأشكال المستوية و الكروية و كتاب إبراهيم بن سنان حول تربيع القطع المكافئ و كتاب المناظر لابن هيثم و غيرها فالعدد كبير لا يسعنا ذكر كلها.[2]

وقد ساهم المؤتمن مساهمة كبيرة في تنوير العلوم الرياضية في عصر المرابطين ولا يخفى لنا أنه عاصر تلك الحقبة في أواخر حياته، ولم يؤثر في هذا العصر فحسب بل بلغ تأثيره على عهد الموحدين[3].

و نظرا لقيمة كتاب"الاستكمال" دفع الكثير من العلماء إلى دراسته و شرحه في تلك الفترة و من هؤلاء اليهودي موسى بن عبيد الله بن ميمون القرطبي (559 600هـ/1163 1204م) الذي قام بدراسة عميقة للكتاب، ثم وضع لله شرحا وافيا لمسائله، و اعترف أن هذا الكتاب يعادل قيمة كتاب المجسطي لذا يجدر دراسته بعناية[4].

و قد أثرت اهتمامات المؤتمن بالعلوم الرياضية سواء في دفع عجلة النشاط العلمي و التصنيف في مختلف علومه، لذلك كان عدد كبير من العلماء يتطلعون

---

[1] **البشري**، المرجع السابق، ص135، مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص 108.
أنظر: **Jan.P Hogendijk**, Op.cit, p 55-67.

[2] أنظر: Ahmed, Djebbar, op.cit, p 28-29

[3] أنظر: Hogendijk, op.cit, pp 51-70

[4] **البشرى**، المرجع السابق، ص 135.

إلى كسب رضاه و إعجابه بما يصنعوه من كتب فضف له العلاقة اللغوي و الأديب نصر بن عيسى بن نصر كتابا في "العروض"و الذي يبدوا أن له علاقة بالموسيقى[1].

و من الذين برزوا في الهندسة العالم و الفيلسوف الكرماني فكان راسخا في علم العدد و الهندسة كانت له رحلة إلى بلاد المشرق و لما عاد إلى الأندلس استوطن سرقسطة و نشر علمه الغزير.[2]

ومنهم أبو عامر بن الأمير المقتدر بالله و أحمد بن سليمان بن هود الجذامي و أبو جعفر أحمد ابن جوشن بن عبد العزيز بن جوشن فكانوا من علماء الرياضيات الأكابر خاصة الهندسة و المنطق و الفلك[3].

و إلى جانب هؤلاء برز العالم و الفيلسوف ابن باجة السرقسطي فكان من المهتمين بالعلوم الرياضية خاصة الهندسة[4] و يعود الفضل لابن باجة في إبانة فضل المهندس أبو زيد عبد الرحمن بن سيد المهندس، و يظهر ذلك من خلال رسالة كتبها ابن باجة في الهندسة، بحيث أبرز فيها الأوضاع التي كتب فيها ابن سيد و التي كانت فترة التعصب و التصدي للدراسات العقلية من طرف الأمراء و الفقهاء[5].

كما نبغ فيها العالم اليهودي أبو الفضل حسداي بن حسداي، إلى جانب كونه موسيقي و فيلسوف كان من المهتمين بالحساب و الهندسة[6].

و نستخلص أن أمراء البلاط الهودي بسرقسطة، كانوا من الأوائل الذين شغفوا بهذا العلم، فقد غلب على بلاطهم هذا اللون من العلوم، ولا عجب إذا وقفنا على حقيقة ما كان عليه ملوكها من صفة عملية كما المقتدر و ابنه المؤتمن، و هذا ما يدل أن عهدهم في الأندلس كان عهد العلوم الرياضية لا محل، وهي ميزة كل دولة متطورة في العصر الوسيط في يومنا هذا.

علم الفلك (الهيئة):

---

[1] نفسه، ص، 180- 181

[2] **صاعد الأندلسي**، المصدر السابق، ص 94- 95.

[3] نفسه، ص 180- 181.

[4] **القفطي**، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، المصدر السابق،ص 265، السملالي، المصدر السابق ص 77.

[5] **محمد الأمين بلغيث**، الحياة الفكرية، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص .

[6] **إحسان عباس**، تاريخ الأدب عصر الطوائف، المرجع السابق، ص 62.

مارس العرب علم الفلك[1] منذ القدم، فبرز نشاطهم في الخام الهائل الذي تركوه، ومن البارزين في هذا العلم،العالم العربي ابن الهيثم[2] الذي أثنى معظم حياته في دراسة ما جاء به العالم اليوناني بطليوس[3] فاعتبر ابن الهيثم أن حركة الأجرام السماوية التي جاءت في كتاب بطليوس المسمى بالمجسطي فاسدة[4] و هذا ما يدل أن العرب طوروا هذا العلم لحد كبير[5] و السؤال المطروح:هل كان علم الفلك من العلوم التي اشتغل بها علماء الأندلس؟ وإذا كان هذا العلم قد شغل عقولهم، فما هي الأسباب التي أدت إلى ذلك؟ و هل كان للفلك مكانة عندهم؟ و كيف كانت نظرة الفقهاء اتجاه هذا العلم الذي عرف نبوغا خلال القرن 5هـ/11م؟.

اشتغل الأندلسيون بعلم الفلك و من الذين برزوا في هذا الميدان، العالم الفلكي عباس بن فرناس[6]، الذي لم يكن فلكيا فقط، بل حاول الطيران أيضا، فتذكر الدكتورة "سلمى الخضراء الجيوسي" أنه أنشأ في إحدى حجرات منزله، شكلا يمثل هيكل للأجرام السماوية، كما انه اخترع ساعة مائية لتحديد أوقات الصلاة، و لعل تلك الآلة التي يسميها العرب بالمنقانة (Minqana)، و التي أصبحت نموذجا للساعات المائية التي وضعت في القرن 5هـ/11م فيما بعد[7]، و في مجال العلوم الفلكية يكفي الإشارة إلى بعض الرموز المعرفية الذين أنجبتهم الأندلس، و شهد الغرب على براعتهم و نذكر منهم خاصة[8]: أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجربطي[1]، كتب عن الإسطرلاب و أصلح

---

[1] **"Astronoe"أسترونوميا**، لفظة يونانية تعني قوانين النجوم، و عرف عند علماء العرب بعلم **"الهيئة"**. أي العلم الذي يدور حول موضوع الأحوال السماوية، وهو علم طبيعي و عملي ووصفي.أنظر:محمد حسين فرشوخ، موسوعة عباقرة الإسلام في الفلك و العلوم البحرية و علم النبات و علم الميكانيك) ط.1، دار الفكر العربي، بيروت، 1995م، ج.5، ص11.

[2] **(ت حوالي سنة878هـ/1405م)**

[3] **بطليموس القلوذي**، عاش ايام أيدريانوس و أنطونين ملوك الروم،له عدة مصنفات أشهرها: المجسطي و **"المناظر"** و كتاب المقالات الأربع في الأحكام النجوم، و كتاب الموسيقى و كتاب الأنواء و كتابه **"القانون"** وغيرها. أنظر:صاعد الأندلسي المصدر السابق،ص88 89 90.

[4] **محمد الأمين بالغيث**، الحياة الفكرية، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص508.

[5] **محمد حسين فرشوخ**، المرجع السابق،ص11 12.

[6] **(ت 274هـ 887).**

[7] **الجيوشي**،المرجع السابق:1300.

[8] شهد النصف الثاني من القرن 4هـ/10م ظهور المدرسة الرياضية و الفلكية المهمة التي أسسها **أبو القاسم مسلمة** بن أحمد المجريطي، و التي كتب رسائل ثلاثة من أعضائها و هم: **مسلمة** نفسه، و **أبو القاسم أحمد بن محمد بن السمح**(ت 426هـ 1035م) و **أبو الحسن علي بن سليمان الزهراوي**، وهذه الرسائل تتمثل في الحساب التجاري و المعاملات، و تبدو أنها ضائعة ماعدا اثنان منها، و التي نستطيع أن تظفر بفكرة عن محتوياتها خلال كتاب

الجداول الفلكية للخوارزمي، و أبو الحسن الشابي[2] الكاتب المغربي، اشتهر بعلم الفلك و عرف عند اللاتينيين باسم (Al Ben ragel)، و أبو القاسم بن عمر الغافقي[3] و هو أشهر علماء الفلك و الرياضيات و قد ترجمت كتاباته إلى اللاتينية و العبرية، و أبة ابراهيم بن يحي النقاش[4] الذي وضع معدات فلكية و جمع أعمال المجتمع الفلكي بطليطلة و أيضا ترجمت كتاباته إلى اللاتينية و العبرية[5]، و من الأسباب التي أدت إلى الاهتمام بهذا العلم، و التي كانت بالدرجة الأولى دينية محضة، فمثلا استعمل لتحديد أوقات الصلاة و الأعياد، كما استعانوا به في تعيين القبلة و الأشهر القمرية و كلها لأغراض دينية[6]، و لكن هذا العلم لقي معارضة شديدة من طرف الفقهاء و هذا ما أشار إليه الأستاذ "بلنثيا آنخيل" بحيث قال أن دراسة الفلك كانت تجري في دوائر ضيقة و في معزل عن الناس، لأن الفقهاء المسلمين كانوا يحرمون تعاطي نوع هذه الدراسات[7] فقد لقي الفلك المنع ما عدا معرفة اتجاه القبلة، فإنه تعرض للمضايقة كما تعرضت له الفلسفة و التنجيم من التحريم[8] و من الفقهاء الذين حرّموا هذا العلم الفقيه ابن الخاقان صاحب "القلائد"، ففي ذلك يقول أنّ أبو بكر الصائغ المعروف بابن باجة يعتبر علمه باطل و كان يعارض ابن باجة في مسألة علم الإجرام و الأفلاك التي يقول عنها للإنسان و هو المتحكم و المتصرف فيها، و إنما علم الهيئة لله وحده تعالى، الذي حكم الكواكب بالتدبير و الاحترام[9].

و لكن هذا لا يعني أن علم الفلك استعمل لأغراض دينية، بل تعد هذه الأغراض و أصبح مطلوب من طرف المزارعين الذين كانوا بحاجة لمعرفة حركة الكواكب

المعاملات،(**Libermahameleth**) و هو ترجمة باللغة اللاتينية تنسب إلى يوحنا الاشبيلي. أنظر: الجيوشي نفسه، ص 1316- 1317.

[1] **(ت 274هـ 887).**

[2] **(432هـ 1040م).**

[3] **(ت 427هـ1035م).**

[4] **(ت 480هـ 1087م)**

[5] **نور الدين الصغير؛** الأندلس (النظرية الحضارية لفلسفة السلم و التعايش و الجوار)، قراءة في تجليات الحضارة الإسلامية و إبداعات المسلمين في الأندلس،(مجلة دراسات أندلسية) العدد:34 المطبعة المغاربية، تونس، جمادي الأولى، شوال جويلية، ديسمبر،1026 هـ 2005، ص33- 34.

[6] **وهيب أبو فاضل،** المرجع السابق، ص52.

[7] **بلنثيا،** المرجع السابق، ص 8.

[8] **ابن خلدون،** المقدمة، المصدر السابق، ص484 485 486.

[9] **ابن خاقان،** قلائد العقيان، المصدر السابق، ص313- 314.

و النجوم و أحوال الطقس، كلّه لتحديد المواسم الزراعية، و كذلك بالنسبة للذين يشتغلون في البحر من ملاحين و أرباب السفن و الصيادين، فكان يساعدهم في معرفة اتجاه الرياح لتأمين حياتهم من أخطار البحار و المحيطات[1] فالعرب منذ عهد مبكر، اشتغلوا في الفلك فعرفوا النجوم و مواقعها و مطالعها كما عرفوا علاقتها بالرياح و المطار، و حسبوا حركة الشمس و القمر و حددوا من طلوع النجوم و غروبها و من ميلادها و سقوطها[2] و ما سموه بعلم الأنواء[3] و منها عرفوا الأنواء المطرة و مواسمها و حركات الفصول[4].

و يجب الإشارة هنا إلى الأندلسمات، التي كان لهم نصيب في هذا العلم فكّن إسطرلابيات و معدلات نجوميات و كن عالمات بعلوم العرب من الأنواء[5].

انتشرت دراسة علم الفلك في القرن الخامس/الحادي عشر الميلادي، و من الذين برزوا في مجاله، إسحاق بن أهيم بن يحي الزرقالي[6] صاحب الجداول الفلكية الشهرية، و التي ذاعت ذيوعا عظيما[7]. و برز فيها القاضي و الفلكي الطليطلي صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد الأندلسي، أول من كتب عن تاريخ العلوم، و سماه "طبقات الأمم"، و يشمل هذا المؤلف دراسة مفصلة لما أسهمت به الأمم المختلفة في ميادين العلم المتنوعة[8].

و من الحق أن نشير إلى الارتباط الوثيق بين الدراسات الرياضية و الفلكية، و الذي يرجع إلى حاجة الفلكي إلى الحساب و الهندسة لمعرفة مواضيع و حركات الكواكب و لنأخذ مثلا:

---

[1] **ابن بصال**، أبو عبد الله، كتاب الفلاحة (كتاب القصد و البيان)، تحقيق: خوسي مارية مياس بييكروسا ومحمد غريمان، د.م، تطوان، المغرب الأقصى،1955م، ص59 و ما بعدها.

[2] **ابن بسام**، الذخيرة، القسم الأول، المصدر السابق، ص202.

[3] اعتبر العرب الأنواء 38 نجما و منهم من اعتبره 28 نجما، و التي هي علة الأمطار و الرياح و البرد و منها عرفوا الأنواء الممطرة و مراسيم المطر و حركة الفصول و غيرها**(ت 480هـ 1087م)**. انظر: ابن خلدون،نفس المصدر، ص485.

[4] **محمد الأمين بلغيث**، الفكرية، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص509 وما يعدها.

[5] **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص 135.

[6] كان من البارعين في أرصاد الكواكب و هيئة الأفلاك و استنباط الآلات النجومية و له صحيفة **"الزرقالي"** المشهورة عاش في طليطلة في عهد المتوكل بن الاقطس. انظر: محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم، المرجع السابق، ص330، انظر: سليم أبو حويج، في أصالة التثقيف التربوي، المرجع السابق، ص360 361.

[7] **الفيومي**، المرجع السابق، ص139.

[8] **جعفر بايوش**، المرجع السابق،ص28 29.

"الزيج" و هو من الوسائل الهامة التي يعتمد عليها الفلكي في أبحاثه، و قد عرفه ابن خلدون أنه آلة صناعية حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريقة حركتها، و ما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة و بطء و استقامة و غيرها، يعرف من خلالها مواضع الكواكب في أفلاكها[1] و إذا كانت الرياضيات على علاقة وطيدة بالفلك، فغن علم الفلك لقي نصيبه من أمراء بني هود الرياضيين، و بالتالي يمكن القول أن الفلك من العلوم التي اعتنى بها أمراء بني هود[2] و من الذين اشتغلوا في العلوم الفلكية و الرياضية المؤتمن بن هود، فتنافس الأمراء في تنشيط الحركة العلمية في بلاطاتهم و حاولوا جلب أكبر عدد من الفلكيين و غيرهم من العلماء[3] و كانت سرقسطة البيضاء في ظل بني هود مركزا مهما للدراسات الفلكية، و لا بد الإشارة إلى أن المقتدر بن هود الرياضي كان من حماة هذا العلم على حد قول الدكتور مصطفى الشكعة[4] و من نظراء هذه الطبقة عبد الله بن أحمد السرقسطي، كان ناقدا في علم النجوم، وكونه أيضا عالما في العدد والهندسة كما قلنا من قبل، فدرس هذه العلوم في بلدته سرقسطة[5] فيروي لنا صاعد الأندلسي".. أخبرني عنه تلميذه علي بن داود المهندس أنه ما لقي أحد أحسن تصرفا في الهندسة و لا أضبط لأصولها منه، و رأيت له رسالة كتب بها إلى أبي مسلم بن خلدون الإشبيلي، ذكر فيها فساد مذهب السند هند في حركات الكواكب و تعاديلها و يحج من ذلك بأشياء[6].

و من الفلكيين السرقسطين، محمد بن عمر بن محمد بن عبد الله بن الصفار[7] فكان مختصا فيه، بإيثار علم الأفلاك و هيئاتها و حركات الكواكب و أرصادها، و يشير صاعد اللأندلسي إلى أن أصحاب إبن برغوت كلهم من المختصين بالفلك

---

[1] البشري، المرجع السابق، ص477.
[2] نفسه، ص133- 134.
[3] **الخطابي**، الطب و الأطباء، ج2، المصدر السابق، ص21.
[4] **مصطفى الشكعة**، المرجع السابق، ص108، مروان سليم أبو حويج.
[5] المرجع السابق، ص361، البشري المرجع السابق، ص134.
أنظر: Clot André, l'Espagne musulmane, op.cit, p 255.
[6] **خوليان ريبيرا**، التربية الإسلامية، المرجع السابق، ص73، إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف، المرجع السابق، ص61.
[7] **صاعد الأندلسي**، المصدر السابق، ص175، أنظر: زهير حميدان، المرجع السابق، ص 286- 285.

و علم العدد و الهندسة و منهم ابن ليث و ابن الخلاب[1] و تلميذه أبو الحسن مختارالرعيني و كان بصير بالهندسة و النجوم[2] و من سرقسطة برز الفيلسوف إبن باجة و قد ذكره بلنثيا أنخيل عن ابن بشرون المهدوي في كتابة "الموسوم المختار من النظم والنثر لأفاضل أهل العصر" و وصفه بالتفرد بعلم الهيئة[3] و منها نبغ الفلكي الرياضي أحمد بن جوشن[4] كما برز عدد كبير من اليهود، اشتغلوا في الفلك أمثال الوزير أبي الفضل حسداي بن حسداي، كان رياضي و طبيب و موسيقي و أديب و فلكي عظيم[5] و قد امتدحه صاعد و أثنى عليه و كانت بينهما صداقة و محبة[6] و تذكر سلمى الخضراء الجيوسي إحدى رسائله تقول :"قوله لو تريد نور النجوم كلها لتضاهي نور البدر"، و بحسب وجهة نظر التفسير يمكن عد هذه العبارة مجرد صورة بلاغية أو سابقة للعبارة ذات التناسق الظاهري للألبيرس (Paradojade ol bers)، بعدها يذكر عددا من الإجرام السماوية قائلا إن بإمكان الأشخاص الأقوياء البصر تمييز نحو سبع نجوم للثريا، ثم يعرض لبثور القمر و يبرهن على عمله بأن الشهر القمري لا يبدأ عند اجتماع الشمس بالقمر[7].

علم الكيمياء و الفيزياء:

أ الكيمياء:

عرف العرب الكيمياء[8] منذ عهد مبكر، و قد ساعدت عملية النقل و التعريب في تطوير هذا العلم عندهم، إذا بدأت ترجمة علوم الأوائل على يد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، عندما استدعى مجموعة من اليونانيين ممن كانوا يدرسون في الإسكندرية، و طلب منهم نقل بعض الكتب اليونانية و القبطية خاصة منها كتب الكيمياء التي تسرح كيفية تحويل المعادن الخسيسة إلى فضة و ذهب، و ترجمت بعد

---

[1] **محمد حسين فرشوخ**، المرجع السابق، ص40. انظر: Clot André, op.cit, p 260

[2] **محمد حسين فرشوح**، نفسه، ص 40.

[3] **خوليان ريبيرا**، المرجع السابق، ص 73.

[4] **بلنثيا أنخيل**، المرجع السابق، ص17. أنظر: **خوليان ريبيرا**، نفس المرجع، ص185.

[5] **صاعد الأندلسي**، المصدر السابق، ص180.

[6] **صاعد فارس**، المرجع السابق، ص27.

[7] **الجيوسي**، المرجع السابق، ص 1308.

[8] **الكيمياء**: لفظة عبرانية و أصلة كيم يه"و معناه"من الله".انظر:حاجي خليفة، المرجع السابق، ص1576- 1577.

ذلك إلى اللغة العربية، كما اعتبروه من العلوم الداخلية أي وليدة بيئة ثقافية خارجتين عن إطار الثقافة الإسلامية في تلك الفترة[1].

و من المشرق برز العالم الكيميائي الطغراني[2]، كما برز فيها العالم الصوفي الأزدي جابر بن حيان (من علماء القرن 2هـ/ 8م) البديع له الفضل في تأسيس الكيمياء الحديثة و هذا ما أشار إليه العلامة ابن خلدون فيقول :"و إمام المدونين فيها جابر بن حيان حتى أنهم يخصوها به فيسمونها علم جابر"[3].

أما في الأندلس فكانت الكيمياء رائجة، فكان فيها كيميائيون ملئوا رحابها سحر، و قد تأثر النصارى بهم و أصبحوا يلتحقون بمنتدياتهم بجامعتهم حتى أصبحت اللغة العربية لغة الخاصة المتفقة في أوربا[4]. ولكن يعني ذلك صاحب الدخيرة" بحيث يقول أن العلوم الخاصة بالكيمياء، كان انتشارها بصورة أقل مقارنة بالعلوم العقلية الأخرى[5].

ولعل السبب يرجع إلى مراقبة الكيميائيين الكثير، و هذا ما انتشر إليه ابن عبدون في رسالته بحيث يذكر أن المراقبة كانت البخاريين الذين كانوا يجوبون الشوارع فيمنعهم من احتيالهم[6]، و كان المحتسب بالأندلس يمنع أهل التخييل من خداع الناس و تعزيزهم بأعمالهم السحرية فكان يشدد الحرص على بائعي الأحراز خوفا من تضليل الناس إلى جانب سرقة أموالهم[7].

أما فيما يعني سرقسطة في ظل أسرة بني هود فكانت زاخرة بالعلوم و الفنون إذا عرفنا فيما سبق ذكره أن القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي من أزخر قرون الأندلس و أزهى عصورها في الحضارة و التقدم العلمي و كان لتشجيع المقتدر و ابنه المؤتمن فضل كبير في تطوير العلوم العقلية في البلاط، و خاصة أن عهد بنو هود عصر التخصص في العلوم العقلية، و لكن علم الكيمياء لا نجد فيه متخصصا كاملا. ولم تصلنا كتب في هذا العلم كثيرا وان وجدت فلم نعثر عليها ماعدا الفلك

---

[1] **جعفر يايوش**، المرجع السابق، ص16- 17- 18.
[2] **(ت سنة 513هـ- 1120م).**
[3] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص507.
[4] **مصطفى الشكعة**، المرجع السابق، ص8- 9.
[5] **ابن بسام الذخيرة**، المصدر السابق، ص183- 185.
[6] **ابن عبدون**، المصدر السابق، ص 30.
[7] **ابن عبد الرءوف**، المصدر السابق، ص 112- 113.

و الرياضيات و المنطق و الفلسفة[1]، و مع ذلك فان ابن باجة السر قسطي كانت له نظرات في علم الكيمياء، وهذا ما أشار إليه حاجي خليفة بحيث يقول:"وحكي أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة السر قسطي عن الشيخ أبي نصر الفارابي أنه قال: قد بين أرسطو في كتابة في المعادن أن صناعة الكيمياء داخلة تحت الإمكان إلا أنها من الممن الذي يعسرو وجود بالفعل"[2]، و هذا ما يدل على أن الكيمياء لقيت معارضة في اقتناءها و لعل السبب يعود إلى تشديد الفقهاء و العلماء فممارسة هذا العلم الذي يعتبرونه نوعا من العلوم السحر، و كما لا يخفى أن علم الكيمياء وجد دائرة ضيقة في ممارسة خاصة في عهد المنصور بن أبي عامر الذي أمر بحرق كل كتب الفلسفة و المنطق و الكيمياء التي كانت موجودة في الخزانة الحكم و كذلك كان الرعب و الخوف يكتسي قلوب هؤلاء العلماء من الاشتغال بهذا العلم[3].

علم الفيزياء (الطبيعة):

يعتبر علم الفيزياء[4] من العلوم العقلية حسب تصنيف ابن خلدون[5] للعلوم و تشير المصادر التاريخية أن الفيزياء لم تلق عناية كبيرة لدى الأندلسيين ما عدا القليل من اهتم بها أمثال: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حامد المعروف بابن السباش البجاني[6] و لكن هذا ليعني أن الفيزياء لم تلق نصيبها بين أوساط العلماء، ففي القرن الخامس للهجرة يذكر المستشرق جاك ريسلر أنه برز في علم الطبيعة اسم مشهور في علم البصريات ألا و هو إبراهيم الزركلي من طليطلة، الذي برهن لأول مرة على حركة الذروة الشمسية بالنسبة إلى النجوم[7]، والسؤال المطروح: هل كانت سرقسطة البيضاء مهتمة بهذا العلم؟ حقا أن الفيزياء في سرقسطة تمثل سجلا حافلا بالإبداعات التي قام بها السرقسطيين في علم الطبيعة، و من هذا الصدد نكفي أن نشر إلى بعض الفيزيائيين في سرقسطة البيضاء و رغم أن عددهم قليل فان عملهم كبير في

---

[1] **البشري**، عصر الطوائف، المرجع السابق، ص134، الفيومي، المرجع السابق، ص139.
[2] **حاجي خليفة**، المرجع السابق:ص1577م.
[3] **الجيوسي**، المرجع السابق، ص1101.
[4] و هو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة و السكون:فينظر في الأجسام السماوية و العنصرية و ما يتولد عنها من إنسان و حيوان و نبات و معدن....انظر:ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص478.
[5] نفسه، نفس الصفحة.
[6] **صاعد الأندلسي**، المصدر السابق،ص185.
[7] **جاك ريلسر** المرجع السابق، ص 162.

مجال الطبيعة، ومن البارزين فيها محمد بن الصائغ أبو بكر المعروف بابن باجة، و كان كثير التأليف، و وصلنا ما ليقل عن أربعة و عشرين كتابا من كتبه في الطب و الفلسفة و العلوم الطبيعية[1] كما نشط عدد كبير من علماء اليهود في الفيزياء و من هؤلاء منجم بن الفوال صاحب مؤلف"كنزالمقل" الذي رتبه عن منهاج خاص أي يطرح أسئلة ثم يجيب عليها، و ضمنه جملا من القوانين من أصول الطبيعة و من الشخصيات اليهودية التي تركت بصفاتها في هذا العلم، العالم اليهودي السرقسطي أبو الفضل بن حسداي[2] فتذكر الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي أنه قرأ الفيزياء و الإلهيات و الأرضيات لأرسطو في حدود سنة 457هـ 1065م، وكان مغير ما يزال شابا في وقتها، و باعتناقها الإسلام، عمل لدى الأمير المقتدر بن هود و إليه المؤتمن في سرقسطة، وكان من البارعين فيها[3] و على ما يبدوا أن أمراء بني هود اهتموا بالفيزياء بعد هذه الفترة، فقد ذكر ابن صاعد الطليطلي شخصية اهتمت بالفيزياء و علومها ألا وهي الحاجب أباعامر بن الأمير المقتدر بالله، أحمد بن سليمان بن هود ألجذامي، فكانت في العلوم الرياضة منفرد بها، إلى جانب عنايته الفائقة بالعلم الطبيعي و العلم الإلهي[4].

و هكذا، فقد تقدمت الفيزياء خلال هذه الفترة بخطى ثابتة، و أخذت تتطور، ولو كان ذلك بالشيء الضئيل، ولعل السبب يعود إلى وفرة المختصين المحترفين فيما كما ذكرنا خاصة اليهود، وتقدير الأمراء و لحكام من بني هود إياهم و تشجيعهم بالجوائز، كل هذا أنمي فيهم شعورا علميا، قد يكون لهذا الشعور أو الرغبة هي السبب الحقيقي في تطوير العلوم عندهم.

علم المنطق:

إذا كان اللفظ الانجليزي(Logic) أو ما يناظر في اللغات الأوربية الحديثة مشتقا من اللفظ اليوناني (Logos) و الذي يعني العقل أو الكلام، فان اللفظ العربي المنطق مشتق من النطق، و يطلق هذا الأخير على اللفظ و على إدراك الكليات و على النفس

---

[1] **خوليان ريبيرا**، المرجع السابق، ص 78 79.
[2] **صاعد الأندلسي**، نفسه، نفس الصفحة.
[3] **سلمى الخضراء الجيوسي**، المصدر السابق، ص 1307.
[4] **صاعد الأندلسي**، المصدر السابق، ص 180 181.

الناطقة و كلها متكاملة بحيث أن المنطق يقوى الأولى و يسلك بالثانية مسلك السداد و يحمل بسببه كمالات الثالث[1]. وهنا نلاحظ اختلافا كبيرا بين مدلول لفظ المنطق[2] في اللغة اليونانية و مدلوله باللغة العربية[3].

و علم المنطق هو مجموعة من القوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة للماهيات و الحجج و البراهين الصادقة و المفيدة[4].

و أول من تكلم به و هذه من ناحية و رتب مسائله و فصوله وجعله من العلوم العقلية الحكمية هو أرسطو[5] و لذلك يسمى بالمعلم الأول و ألف فيه كتابا سماه "الفص"[6] إذا كان أرسوا هو المؤسس الأول للمنطق الحقيقي. فمن هو أول من اهتم بهذا الفن بالأندلس؟ و إلى من يعود الفضل في إدخاله إليها؟

لقد ترك بعض المناطقة العرب بصماتهم في الأندلس، و يعتبر أبو الصلت أمية[7] أول من وضع نتائجه في هذه البلاد، وألف أبو الصلت كتابا في المنطق سماه تقويم الذهن، ويبدوا عنوان هذا الكتاب مأخوذ من كتاب تقويم الصحة لأبي الحسن بن بطلان و تذكر الدكتورة الجيوسي سبب ذلك بحيث تقول: "أن أبا الصلت اتخذ هذا العنوان اجتنابا للمشاكل التي قد يسببها فقهاء و علماء المالكية آنذاك".[8]

ونستبين من قول الجيوسي أن المنطق لقي معارضة شديدة من طرف الفقهاء كما تعارض إلى المضايقات بعض الأمراء و الخلفاء في نهاية القرن الرابع الهجري العاشر للميلاد، بدليل أن الحاجب المنصور بن أبي عامر أمر بإتلاف و إحراق كل الكتب الموجودة بخزانة بني أمية و كان من يقرأ هذه المؤلفات متهم بالخروج

---

[1] **نيقولا ريشر**، تطور المنطق العربي، ترجمة و دراسة و تعليق: د.محمد مهران، ط.1، دار المعارف ،د.ت،ص18.

[2] يتميز الإنسان عن غيره من الكائنات بالطبيعة الفكرية، ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية، تصفه ليعلم سداده من خطئه و هو بالتالي منطبق للطبيعة الفكرية و منطبق على صورة فعلها. أنظر: عمر فاروق الطباع، المرجع السابق، ص 126- 127.

[3] **نيقولا ريشر**، المرجع السابق، ص 18.

[4] **إبن خلدون**، تح : عبد السلام الشدادي، ح.3 ، المصدر السابق، ص 91 .

[5] **أرسطو طاليس** أو **أرسطو**،الفيلسوف اليوناني الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد و درست أعماله بصفة مستمرة في المدارس اليونانية إبتداء من القرن الأول قبل الميلاد .نقلت جل أعماله و عدد كبير من الشروح القديمة عليها إلى العربية و أصبحت مواضيعه بحوثا خاصة للمختصين و الفلاسفة المسلمين كما إعتمدت البحوث الإسلامية حوله من طرف العرب في القرون الوسطى. أنظر: إبن خلدون، نفس المصدر ص 374.

[6] نفسه، ص 92.

[7] **(ت سنة 513هـ 1120م).**

[8] **الجيوسي**، المرجع السابق، ص 1100- 1101.

عن المكة أو معاقبتهم[1] هذه الصورة الدقيقة التي تفسر حالة هذا العلم و التي توضح جليا مكانته في تلك الفترة[2].

فعلم المنطق لم يرع بشكل جدي حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد[3].

و السؤال الذي يطرح نفسه: هل نبغ هذا العلم بسرقسطة إبان حكم أمراء بني هود؟ و هل لقي حظا وافرا من طرف أمرائهم و علمائهم؟

نبغ علم المنطق بسرقسطة و غرست بذوره قبل مجيء بنو هود، و تذكر المصادر هجرة العديد من العلماء المختصين بالمنطق إليها، من أمثال الفيلسوف و الفلكي أبا عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الكتاني، الذي كان عالما عارفا بمسائله[4]، و ذكر في ترجمته أنه أخذ علم المنطق عن محمد بن عبدون الجبلي و عمر بن يونس بن أحمد الحراني و الفيلسوف أحمد بن حفصون و أبي عبد الله محمد بن إبراهيم و أبي محمد عبد الله بن مسعود البجاني و محمد بن ميمون و أبي القاسم فيدين نجم و سعيد بن فتحون السرقسطي و أبي الحارث الأسقف و أبي مروان البيجاني و مسلمة بن أحمد المجريطي[5].

و هذا ما يدل على أن المشتغلين في هذا العلم في تلك الفترة كثير، فكان أبو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمّار، متحققا بعلم المنطق، و الذي لقي محنة شديدة في أيام المنصور بن أبي عامر بعد أن سجن و أحرقت كتبه، و بعد خروجه من السجن رحل إلى جزيرة صقيلية و هناك توفي[6].

بما أن بلاط أمراء بني هود كان يستقبل كل من سعى وراء العلوم العقلية بما فيها علم المنطق، فقد برز فيه مجموعة من المناطقة و من المشاهير الفيلسوف و الطبيب ابن باجة الذي ألف تصانيف عديدة في المنطق و أغلبها موجود إلى يومنا

---

[1] **المقري**، نفح الطيب، المصدر السابق، ص .

[2] **الخطابي**، الطب و الأطباء ج1، المصدر السابق، ص 20 21.

[3] **الجيوسي**، المرجع السابق، ص 1331.

[4] **صاعد الأندلسي**،المصدر السابق،ص 192 193.

[5] ابن الكتاني أبي عبد الله محمد،كتاب التشبيهات من أسعار أهل الأندلس، تحقيق:إمارة عباس،ط.3،دار الشروق،بيروت،1406 1986م،ص 13 14.

[6] صاعد الأندلسي نفس المصدر ص168.

هذا[1] بمكتبة الاسكوريال[2]، و هي تحت رقم 609. و يذكر لطفي جمعة أن ابن باجة انتهى من وضعها يوم 4 شوال من عام 512هـ/1118م، و قد ألفها بمدينة اشبيلية لأن ألفونسو الأول في ذلك الحين قد سيطر على مدينته[3]. و كان لليهود في دولة بني هود في سرقسطة النفوذ الواسع لاسيّما في المجالين السياسي و الاقتصادي، إذ تقلد بعضهم وظيفة الوزارة، و تسير المصادر الأندلسية إلى أن أبي الفضل حسداي بن حسداي كان وزيرا للمؤتمن بن هود[4]. و يظهر أن أبا الفضل فتح المجال لليهود في الاشتغال في هذا العلم فبرز فيه العالم اليهودي منجم بن الفوال كان متصرفا في علم المنطق[5] و يعتبر كتابه كنز المقل[6] قد تضمن قوانين في المنطق[7]. كما برز العالم مروان بن جناح السرقسطي و كان من أهل العناية بهذه الصناعة و منهم أيضا ابن جبيرول الذي كان مولعا بأحكام المنطق و نظرياته[8].

فشاعت في الأندلس في هذا العصر اهتمامات عظيمة بالدراسات المنطقية و ألفت كتب عديدة كان لها باع كبير، فإذا استثنيا اليهود في عنايتهم لهذا العلم فإنه وضعت مؤلفات لآخرين منها تلك التي كتبها ابن سيدة التي ألف فيه تأليفا كبيرا على نهج القدماء[9] ولم يصل إلينا هذا المؤلف غير أن ابن سيده يفتخر في مقدمة المحكم بتحقيقه في تصوير الأشكال المنطقية و النظر في سائر العلوم الجدلية و ألف ابن حزم الأندلسي كتاب في هذا الشأن سماه كتاب التقريب لحد المنطق و لقد لقي معارضة و مضايقة شديدين من طرف الفقهاء إثر تأليفه للكتاب لاسيّما لما حاول تقريب المنطق باستعمال أمثلة من الشريعة لكي يبرز ارتكاز الشريعة إلى أصول منطقية[10].

علم الفلاحة:

---

[1] **القفصي**، أخبار العلماء،المصدر السابق،ص265.

[2] هو البناء الذي أقامه فيليب الثاني ملك اسبانيا، في النصف الأخير من القرن السادس عشر للميلاد العاشر الهجري،على قمة ترتفع عن البحر ألف متر،و تبعد عن مدريد بواحد وخمسين كيلومتر، و هو يشمل الكنيسة و القصر و المقبرة الملوكية و الدير و مدرسته. انظر: **زيغريد هونكه**،المرجع السابق،ص345 346.

[3] **محمد لطفي جمعة**، المرجع السابق، ص79 20.

[4] **المقري**، المصدر السابق، ص 6.

[5] **بلنثيا**، المرجع السابق، ص 19.

[6] عرفناه في الأعلى ص.

[7] **صاعد الأندلسي**، المصدر السابق، ص204، إحسان عباس،المرجع السابق، ص62.

[8] **صاعد**، نفس المصدر، ص62 63.

[9] **نفسه**، ص185.

[10] **إحسان عباس**، المرجع السابق، ص63.

تنتمي هذه الصناعة إلى فروع الطبيعيات[1] و الفلاحة كلمة اشتق إسمها من "الفلاح" و الذي يعني البقاء[2].

و منذ القدم اعتبرها الإنسان مصدره الأساسي في كسب القوت لذلك حظيت بمكانة رفيعة عنده[3].

و علم الزراعة وجد أرضا خصبة ببلاد الأندلس[4] ليترعرع فيها و كان اهتمام هؤلاء بها كبير بدليل ترجمتهم لكتب القدامى سواء باليونانية أو بالنبطية، و على سبيل المثال ترجم كتاب الفلاحة النبطية[5] الذي قام باختصاره ابن العوام[6] و اقتصر فيه عن معلومات تخص النبات من جهة غرسه و علاجه فقط[7].

و ازدهرت الفلاحة خاصة في عهد أمراء قرطبة الأمويين الذين يرجع لهم الفضل في إرساء قواعد هذا العلم المبارك، فيف عصر عبد الرحمن الداخل أدخلت إلى الأندلس نظم الفلاحة و أساليب الري الشامية[8] كالنواعير[9].

و في عصر ملوك الطوائف بلغت الزراعة مرحلة التطور، حيث امتاز المهندسون و الفنانون بالبراعة و قد اتخذت فنون الزراعة على أيديهم طابعا علميا واضحا و كانت مزارعهم و بساتينهم خير شهيد على ذلك و كانت تضرب الأمثال في الجودة و التنسيق و النّماء، و يرجع السبب إلى الشغف الكبير لأمراء العصر و تنافسهم على إنشاء الحدائق و البساتين اليانعة التي تلهم الأنظار و لم يكتف هؤلاء فقط بزراعة و ترويض بساتينهم بل اهتموا بأمور فلاحية أخرى كتربية الغرائس خاصة المدينة البيضاء المشهورة بفسلها الرفيع[10].

---

[1] **ابن خلدون**، المقدمة، المصدر السابق، ص 480.
[2] **حاجي خليفة**، المرجع السابق، ص 1288.
[3] **ابن خلدون**، نفس المصدر،ص481.
[4] **المقري**، تحقيق إحسان عباس، المجلد الأول، المصدر السابق، ص
[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 480.
[6] هو أبو زكريا بن العوام الاشبيلي يكنى: أباز كريا ترعرع في اشبيلية و قد ضف له كتب كثيرة و أشهرها كتابه العظيم في الزراعة سماه**"كتاب الفلاحة"** و هو على أربعة و ثلاثين فصلا، **(ت 538هـ 1145م)**.أنظر:ابن العوام ،كتاب الفلاحة، ترجمة إلى الفرنسي (ج.ج كليمان مولى) ،ط،2، دار بوسلامة للطباعة و النشر و الإشهار، تونس،1977م، ص19- 20.
[7] **ابن خلدون**، المصدر السابق، ص480.
[8] **المقري**، نفس المصدر، ص
[9] **بلنثيا أنخيل جنثالث**، المرجع السابق، ص475.
[10] **حسين مؤنس**، موسوعة في تاريخ الأندلس، المرجع السابق، ص 142.

و عرفت سرقسطة طرق و أساليب زراعية في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي فريدة من نوعها، فيذكر ابن الخطيب أن المنطقة كانت النموذج الرفيع لطرق الريّ و السقي[1]، و ملوك بنو هود كغيرهم من ملوك الطوائف يحبذون غراسة و زراعة البساتين و الحدائق، فيذكر الحميري أن بساتينهم كثيرة الثمرات[2] و يتفق معهم الإدريسي بقوله:"سرقسطة...جنة الديار و المساكن متصلة الجنات و البساتين"[3] و كما تغلب على المنطقة الأشجار و النهار[4]، و التي بدون شك تساهم في بناء السفن بخشبها الرفيع الصلب و هذا ما يساهم في تطور التجارة و تقوية أسطولها البحري.

و قد حرص أهل سرقسطة أهل الأندلس على تنويع محاصيلهم الزراعية كما طورها، و ما يدل على الاهتمام في هذا العصر بها أن محتسب الأندلس كان يمنع من الرشوة و بيع الغرر و هو شراء ما هو رطب من الثمار باليابس و بيع الجزاف و المخاطرة و هو بيع الثمار بدون صلاحها5. و كل هذا قصد المحافظة على الزراعة و تطورها اجتماعيا اقتصاديا.

و من المشهورين في هذه الفترة العالم الفلاحي ابن وافد[5] و هو من الذين ساهموا في غرس حديقة المأمون بن ذي النون بطليطلة[6] التي يضرب المثل بها بين الحدائق الأندلسية التجريبية[7] و نجد العالم أبا عبد الله محمد بن مالك الطغرني من غرناطة و قد عاش أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، و كان تلميذ لابن بصال و ألف له كتاب في الفلاحة سماه "زهرة البستان و نزهة الذهان"[8].

و كان علم النبات له علاقة وطيدة بعلم الصيدلة، لأن هذا الأخير لا يتم إلا بمعرفة أنواع الأعشاب الطبية المستعملة و هذا ما ساهم في ازدهار الزراعة بحيث

---

[1] **ابن الخطيب**، أعمال الإعلام، المصدر السابق، ص 4.
[2] **الحميري**، المصدر السابق، ص317.
[3] **الإدريسي**، المصدر السابق، ص554.
[4] **المقري**، المصدر السابق، ص197.
[5] **(ت 467هـ 1074م).**
[6] **ابن عبد الرؤوف**، المصدر السابق، ص 98 99.
[7] **عبد الحميد عيسى**، المرجع السابق، ص331.
[8] **محمد الأمين بلغيث**، الحياة الفكرية، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص533.

خصص لها علماء في الميدان مما يدل على التفتح المتكامل في هذا العلم[1]، فبرز ابن الكتاني الذي ألف كتابه المشهور في "الأدوية المفردة"[2] و قد اهتم المقتدر و ابنه في تشجيع هؤلاء العلماء فظهر في بلاطهم اليهودي يونس بن إسحاق بن بكلارش الذي أعطى الأدوية في عمله لعلم النبات و كان له تأليف عظيم في ذلك سماه "المستعين" و هو مخصص للأدوية و أنواع الأعشاب المستعملة فيه[3]، و كل هذه الجهود تضافرت على خلق هذه الحركة المتطورة و تدعيمها من طرف أمراء بني هود.

و تعتبر منطقة الثغر الأعلى من المناطق الزراعية الحسنة لتوفرها على مصادر الري المتمثلة بنهر "الابرو و روافده"، إلى جانب توفر المنطقة على التربية الصالحة للزرع[4] و كما هو معروف أن أرض الأندلس طيبة التربة، غنية العيون و النهار معتدلة الهواء و كثيرة الفواكه و الخيرات[5] و هذا لا يمتع ازدهار الزراعة في مختلف ربوعها و لتنتج باقة من علماء و مهندسين في المجال الفلاحي.

و بما أن العيون المصدر الأساسي في الزراعة التي تعتمد عليها القرى التي تكون بعيدة عن موقع النهار، لذلك نجد أهل المنطقة تفننوا في استخدام مياه هذه العيون و تسييرها في قنوات للاستفادة منها في الزراعة و قد اشتهرت مدينة لاردة بقنواتها الرائعة الصنع كما اشتهر إقليم بلشر بعين ماء أجريت مياهها في صخرة مثقوبة و كان هذا الثقب يسد و يفتح حسب حاجة السكان لها[6] و هذا ما يدل على تقنيات و أساليب هؤلاء المتطورة في الزراعة.

كما أثرت الطبيعة في شعر مرحلة ملوك الطوائف، بحيث كان الشاعر يقضي في ساعات لهوه و متهته و يبدو عادة أثناء الخروج إلى المنتزهات و الحقول و البساتين التي كانت شائعة، كما اهتم الأغنياء بزراعة الزهور و تنظيم الحدائق، و لا نكاد نقرأ قصيدة إلا و لامحنا آثار الطبيعة في عقول الشعراء[7].

---

[1] **عبد الله عنان**، المرجع السابق، ص442.
[2] **بلثينا أنخيل جنثالث**،المرجع السابق، ص466 467.
[3] **البشري**، المرجع السابق، ص135 136.
[4] **السامرائي**،المرجع السابق، ص57.
[5] **المقري**، نفح الطيب، مطبعة دار صادر المجلد الأول، المصدر السابق، ص140.
[6] **السامرائي**، المرجع السابق، ص55.
[7] **ابن زيدون**، المصدر السابق، ص11 12.

و بالرغم أنه لم تتوفر لنا أسماء علماء الفلاحة و مهندسون أخصائيون على هذه الفترة إلا أنه لا يعني أن بنو هود لم يولوا اهتماما لها، بل أخذت العلوم العقلية تتكامل كتكامل الجسد الواحد فعلم الرياضيات يكمل علم الطب و الصيدلة و هذين يستمدان من علم النبات.

الخاتمة

لقد حاولنا من خلال هذا البحث أن ندرس الحياة الفكرية بسرقسطة في عهد بني هود ملوك الطوائف، مبينين الخصائص العلمية العامة التي امتاز بها أمرائها و علمائها و فقهائها طيلة هذه الفترة. كما أننا قرنا بين هذه المميزات بما يقابلها في المشرق و المغرب حتى نستبين أبعاد هذه الحياة الفكرية الواسعة. و بناء على ذلك فقد استخلصنا من هذه الدراسة أن البيئة السرقسطية بما زخرت به من إمكانيات طبيعية متنوعة و أخرى بشرية ساعدت العلماء على الاستقرار فيها، و هذا ما يفسر بقاء سرقسطة تحت حكم بني هود لفترة أطول على غرار الحواضر الأخرى في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد، عاش خلالها هؤلاء الأمراء و العلماء و المفكرين فترات من القوة و أخرى من الضعف، إلا أن تأثير هذا لم يمنع من ازدهار أنواع العلوم و المعارف ليبدأ عهد الازدهار الفكري، في حين بدأ يضعف في بلاد المشرق الإسلامي، كما مهد هذا العصر إلى ظهور حقبة ذهبية في ميدان الحضارة في العهد المرابطي الذين واصلوا مشوارهم العلمي و حاولوا تطوير هذه العلوم أكثر فأكثر حتى امتاز عصرهم بالتنوع الثقافي و كانت العلوم الدينية قد لاقت الازدهار و التشجيع الكاملين كما صححوا مسيرة الفقهاء الذين غرتهم أمور الدنيا في فترة ملوك الطوائف و ابتعادهم عن الآخرة.

و قد استنتجنا من خلال دراستنا هذه أن بني هود أولوا عناية خاصة للعلماء و الأدباء و الشعراء و جعلوا العلوم العقلية بما فيها الرياضيات و الفلك و الطب و الصيدلة و علم الكمياء و الهيئة و المنطق و علوم الفلاحة جوهرة علومهم كما أنهم حرصوا على انتقاء علمائها و الذين هم من خيرة الفقهاء و القضاة و حتى من الوافدين إلى بلادهم.

و قد تبين لنا أن تلك الشروط التي كان يلزمها هؤلاؤ الأمراء لا تختلف عن بلاطات ملوك الطوائف الآخرين أمثال بنو عباد بإشبيلية و بنو الأفطس ببطليوس و غيرهم.

هذا و من جانب آخر لاحظنا أن الحياة الفكرية عندهم لازمت العلوم العقلية و لعل السبب يرجع إلى حب أمرائهم لهذه العلوم حتى أنهم من مقتنيها أمثال المستعين و المقتدر بالله و المؤتمن و كان هؤلاء شغوفين بهذه العلوم فقد عرفنا فيما سبق علماء كبار شاركوا في تنوير مختلف العلوم الأخرى كالفقهية من قراءة و تفسير و حديث و فقهه و أصوله إلى جانب العلوم الأدبية و اللسانية من أدب و بيان و بلاغة و شعر، كما اهتموا بعلوم أخرى أبعد من

الطبيعة كالفلسفة و علم الكلام و علم التصوف إضافة للعلوم الاجتماعية كالتاريخ و الجغرافيا و الموسيقى رغم معارضة الفقهاء لتلك العلوم في تلك الحقبة، زعما أنها خروج عن الدين و من يتبعها يعتبر من الملحدين و الخارجين عن الملة، لذلك كانوا يعتبرون الفلسفة و المنطق و الكمياء و الفلك و الموسيقى و علم الكلام من العلوم السيئة و كان من ..... أن يمارس هؤلاء العلماء و المفكرين هذه العلوم، إلا أن ذلك لم يمنع من تطورها و ازدهارها و هذا ما استنتجناه بحيث كانت هذه العلوم العقلية الميزة التي تميزت به الحياة العلمية في بلاط بني هود عن غيرها من بلاطات أمراء آخرين.

فالمستعين بالله كان من الشغوفين و من محبي الموسيقى و الغناء و كان يشجع أصحابها بتوفير لهم حاجاتهم من آلات الطرب الجديدة حتى أن موكبه كان يزخر بأروع الآلات و الموسيقيين الكبار، كما تذكر المصادر التاريخية و المقتدر كان فيلسوفا عظيما ربما هذا ما ساعد هؤلاء العلماء في ممارسة هذه العلوم على غرار المماليك الأخرى و هذا ما يدل على أن النوع من هذه العلوم و المعارف لاقت حرية كاملة لديهم لتزدهر و تتطور في أحضان هذه الأسرة العلمية المميزة.

و يكفي أن نذكر من الأسماء اللامعة في هذا العصر من الفلاسفة و الحكماء و علماء الكلام و المنطق و الشعراء و علماء الطب و الصيدلة و آخرون في علم النبات و الفلاحة و آخرون في علم الكيمياء و الهيئة و الفلك، ممن ترجمنا لهم أو ممن ذكرناهم عرضا و هذا كله دليلا وافيا أن هذه الأعمال العلمية في هذا العهد و أن عصر أمراء بني هود من أزهى العصور الذي تميز بالعلوم العقلية و الدقيقة، رغم بعض المظاهر التي كانت تنتابهم من اضطرابات و فتن في بعض الأحيان.

كما أننا استنتجنا من خلال المقارنة بين العلوم الدينية و الشرعية في عهد الخلافة و ملوك الطوائف أنهما تأثرتا بالمذهبية المالكية و التي تحصلت في ميزة هده العلوم.

فقد كان الأندلسيون يعطون الأولوية لفقهاء المالكية في تعيين علماءهم و حتى في تعيين المناصب في الإدارة و هدا ما يفسر أن اغلب هؤلاء كانوا إما مفتيين على هذا المذهب أو فقهاء فيه. كما أننا وصلنا إلى نتيجة مفادها أن الحياة الفكرية بسرقسطة عرفت تطور كبير أو تجلى ذلك في الرصيد الخام الهائل الذي أنتجه هؤلاء المفكرين و المبدعين والعلماء

الأفراد، و مع ذلك فقد استخلصنا أنه رغم أنهم سبقوا العلماء الذين من قبلهم إلى بعض النظريات التطبيقية إلا أنهم كانوا يعتمدون بالدرجة الأولى على مصادرهم و مناهجهم و منوالهم، و على أية حال فإنهم امتازوا عن الكل في كونهم جعلوا العلوم العقلية بمثابة علوم لها أصولها و قواعدها.

كما أننا أدركنا مدى مراعاة بنى هود للتنسيق بين العلوم بمختلفها لتكون كلّها مهمة لتطوير الفكر اللإنساني.

و قد استنتجنا أنه لا تخلو فترة من فترات حكم المسلمين للأندلس من بعض الاضطهاد للعلماء و المفكرين خاصة هؤلاء الفلاسفة و المناطقة و المتكلمين لذلك فإن وضعية العلماء في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد كانت بين اليسير و العسير ولكن هذا لا يعني أنهم كانوا يعانون من الاضطهاد و الطرد في كل حين و إنما كانوا أيضا ينتفعون من العطاء السخي الذي كان أمراء بني هود يشجعون به علمائهم و لذلك فإن بلاط بني هود كان الصدر الرحب لهؤلاء العلماء لذلك نجد بعض العلماء هاجروا إلى سرقسطة للآمان و الحرية كابن دراج القسطلي و ابن زيدون و ابن عمار و الكرماني و ابن الكتائي و الباجي و غيرهم من الأسماء اللامعة. و هكذا تقدمت الدراسات في عهدهم تقدما كبيرا، و يمكن القول بأن عدد الطلبة الذين تعلموا على عهد المقتدر و المؤتمن كان كبيرا جدا، لأن هؤلاء استطاعوا أن يتحكموا في الدولة و إذا كان عهدهم على الرغم من اتسامه بالاضطرابات و المشاكل السياسية، قد وجدت فيه هذه البدايات التعليمية الجيدة.

و عهد أمراء بني هود، كما كان يسمى، يعتبر فترة حاسمة في مجال العلم و التعليم في الأندلس.

لكننا لاحظنا أن من الرغم التطور الكبير الذي بلغته العلوم إلا أن أمراء بني هود لم يحضو بكتب التراجم الخاصة بهم بالرغم من أنهم كانوا طبقة هامة في الحكم شأنهم شأن الذين سبقوهم، و إن دل ذلك على شيء إنما يدل على الحياة الفكرية بسرقسطة رغم تطورها إلا أنها بقيت رهينة لعصور أخرى.

و حسبنا أننا حاولنا تقريب الصورة للحياة العلمية التي شارك فيها أمراء بني هود طيلة القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد لولا الانهيار الذي لحقهم في الآونة الأخيرة بدفعهم

الجزية للنصارى و استنجادهم بالعدو لضرب بعضهم البعض و هذا من أسباب ضعف و انهيار دولتهم.

و التأريخ لهذه الحركة يقتضيا ابتداء أن نقرر بأن السمة المميزة لعصر أمراء بني هود، هي أنه عصر علم و نبوغ و في نفس الوقت عصر صراع سياسي من أجل الحكم.

و إذا كان الأمر كذلك، صح القول بأن هذا العصر لم يتح للعلم ما تتطلبه طبيعته من الهدوء المشجع على الاشتغال به، إلا أن ذلك لا ينقص من غناء العلم و العلوم في هذه الفترة، كما تميزت المرحلة بالتخصص في بعض مجالات العلوم.

حاولت تتبع مسيرة تطور العلوم الاجتماعية و اللسانية فعرضت تخصص بعض العلماء و المفكرين و السرقسطين في علم اللغة و الدب و الشعر و قد حاولت تبيان بعض المظاهر بعد أن نظمتها.

فقد شجع أمراء بني هود الأدباء و الشعراء على التأليف و الكتابة، و اجتهدت في إبراز مظاهر العلوم الاجتماعية رغم أن تطورها في هذه الفترة كان عاما أي لم يختص به مؤرخ أو جغرافي سرقسطي فاكتفيت بذكر المؤرخين و الجغرافيين لتلك الحقبة أمثال ابن بسام البكري، فالبرغم من فقدان الموارد التاريخية و العمال الكبيرة التي أرخت لهذه العلوم إلا أنني حاولت استنتاج ما كتبه مؤرخي تلك الفترة عن تلك الظروف التي مرت بها دولة بني هود بسرقسطة.

كما توصلت إلى نتيجة مهمة أرخنا فيها تطور علوم الفلسفة و المنطق و الكلام، و لم نغفل من ذكر أهم ما توصل إليه الفكر السياسي في هذا العصر من خلال ما كتبه الطرطوشي في كتابه "سراج الملوك" و ذكره سبب اضمحلال دولة بني هود و التي كان من أسبابها الجوهرية الترف و البذخ و الاستبداد.

كما تتبعنا حركة التصوف التي لقت هي أيضا حظها الأوفر في بلاطهم لعل السبب أيضا يرجع لما آلت إليها أمراء بني هود من اضمحلال و ترف في أواخر عهدتهم.

و كان هدفنا الرئيسي في ميدان العلوم العقلية إبراز المدى الذي كان عليه علماء الرياضيات في تطوير الحساب و علم الهيئة و الطب و الصيدلة، و أبرزنا مؤلفات كبار علمائهم فتتبعنا نشاط الأطباء الذي برز خاصة في طبقة اليهود، لذلك نستنتج أن اليهود لعبوا

دورا كبيرا في إثراء الحياة العلمية في سرقسطة فبرزت فئة هائلة في مختلف مجالات العلوم كابن حسداي و ابن جيبرول و ابن الفوال و ابن بكلارش، و القائمة طويلة.

كما تظهر عبقرية هؤلاء في الفلسفة و المنطق و الطب و الصيدلة و الشعر و الفلك و غيرها.

و يظهر العصر، عصر التخصص بمعنى الكلمة، كما برزت فيه العلوم الفلاحية و علوم النبات المرتبط مباشرة بعلم الصيدلة، و يظهر جليا من البساتين و الحبات رائعة الجمال لتلك الفترة ما يدل على النشاط البشري.

و ختمت هذا الحصاد العلمي بملاحق لتوضيح بعض المظاهر العلمية.

و على كل فإن موضوع الحياة الفكرية في حد ذاته من المواضيع الثقافية التاريخية التي لا يمل الإنسان من سماع أخبارها أو تقصى حقائقها على مدار الزمن لأنها تحمل نوعا ما من المتعة و اللّذة حين يكون الإنسان يطلع على الرصيد الهائل و الخام الذي أنتجته عقول هؤلاء المفكرين و المبدعين و المخترعين و العلماء.

و التي تصور مدى نبوغ ألبابهم.

لقوله تعالى: "إنما يخشى الله من عباه العلماء".

إن هذه الدراسة المتواضعة مهما بلغت فهي لا تبلغ الكمال لأنه صفة الله تعالى لوحدة، فالنقص أكيد يستولي على علمنا هذا، فلذلك نتمنى أن يعذرنا كل من التمس استصردا و إطنابا أو نقصا و ليقومنا كل من له قدرة على ذلك و الله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

فلا إله إلاّ الله و لا حول و لا قوة إلا بالله العظيم.

الملاحق

ملحق (1)

من رسائل الكاتب أبي مطرف عبد الرحمن بن فاخر المعروف بابن الدباغ[1]

بعض الكبراء الأندلس إلى إخوانه:"كتابي هذا من وادي الزيتون، و نحن فيه مختلفون،ببقعة اكتست من السندس الأخضر، و تحلت بأنواع الزهر، و تخايلت بأنهار تتخللها، و أشجار تظللها، تحجب أدوائها الشمس لالتفافها، و تأذن للنسيم فيميل منه أعطافها، و ما شئم من محاسن تروق و تعجب، و أطيار تتجاوب بألحان تلهي و تطرب، في مثلها يعود الزمان، كله صبا، و تجري الحياة على الأمل و المنى، و أنا فيها –أبقاكم الله سبحانه بحال من طاب غداءه، و حسن استمراؤه، و صحا من جنون العقار، و استراح من مضض الخمار، و زايلته وساوسه، و خلصت من الخياط هواجسه".

[1] **المقرئ**، نفح الطيب، المصدر السابق، ص 534.

ملحق (2)

رسالة للكاتب أبي الفضل حسداي (و قد واجهها لابن الدباغ)

"إلى سيدنا الذي ألزمنا بامتنانه الشكر، و كبيرنا الذي علمنا ببيانه السحر، و عميدنا الذي عقدنا بحرمه و انحل، و رمانا بدائه و انسل أبقاك الله تعالى لتوبة نصوح تمرها، و يمين غموس تبرها، و رد أبقاك الله تعالى كتابك الذي أنفذه من معرسيك بوادي الزيتون، و وفقنا على ما لقنت في أوصافه من حجة المقتون، و إعجابك بالتفاف الشجرة و دوحاته، و اهتزازك بلطيف بواكده و روحاته، و غرورك به و هو حو تلاعه، مورودة هضابه و أجراعه، و كل المشارب ما خلاه ذميم، و ماؤه الدهر خصر و المياه حميم، و تلك عادة تلونك، و سجية تخضرمك، و شاكلة ملالك و سأمك، و أشعر الناس عندك من أنت في شعره، و أحب البلاد إليك ما أنت في عقره، فأين منك بساتين جلق و جنانه، و رياضة المونقة و خلجانة، و قبابه البيض في حدائه الخضر، و جوّه العطر في جنانه النضر، و ما تضمه حيطانه، و تمجه أنجاده و غيطانه، من أمهات الراح التي طلقتها بزعمك، و مواد الشمول التي طلقتها برغمك، و هيهات فوا الله ما فارقتك تلك الأوجاع أو المجاني، و لا شاقتك تلك المنازل و المعاني، إلا تذكرا لما لدينا من طيب المعاهد، و حنينا إلى ما عندنا من جميل المشاهد، و أين من المشتاق عنقاء مغرب".

ملحق رقم (3)

و هذه مختارات من آثار أبي المطرف عبد الرحمن بن فاخرات سنة 529هـ فصل من رسالة له في الشكوى:

"كتابي، و عندي من الدهر ما يهد أيسره من الرواسي و يفتت الصخر القاسي، فأنا و إياه فرسا و هان:"يحد نوائبا و أجيد صرا، و من أجلها قلب محاسني مساوي، و أوليائي أعادي و قصدي بالبفضة من جهة المقة (المحبة) و اعتمادي بالخيانة من حيث الثقة فيقيس بهذا على ما يسواه و عارضه بما عداه و لا أطول عليك، فقد غير علي الشرابي و أوحشي حتى ثيابي. فيها أنا أتهم عياني و أستريب عن بنائي و أجني الإساءة من غرس إحساني، و قاتل الله الحطيئة في قبره فلعثد ما غر بقوله:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه، لا يذهب العرف بين الله و الناس من يزرع الخير يحصد خيرا فعدمت جوازيه و أذممت عوائده و مبادئه، و زرعته فلم أحصد إلا شرا، و لا اجتنيت معه إلا ضرا، و هكذا جدي، فما أضع، و قد أبى القضاء إلا أن أقضي عمري في و لا أنفك في نحوس، و ياليت باقيه، قد انصرم و غائب الحمام قد قدم فعسى أن تكون بعد الممات راحة من هذا النصب و سلوه عن هذه الخطوب و الكرب و دع بنا هذا التشكي" فالدهر ليس بمعتب من يجزع، و لا بمشفق على من يتوجع و اطرح بنا هذا القول في الرياح و اعدل بنا عن الجد إلى المزاح.

ملحق (5)

سقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/1118م

"كانت سرقسطة و أعمالها من شرق الأندلس بيد بني هود الجاذميين تغلبوا عليها في صدر المائة الخامسة أيام الطوائف و توارتوها إلى أن كان منهم أحمد بن يوسف الملقب بالمستعين بالله فزحف إليه ابن رذمير سنة 503هـ/1109م.

فخرج إليه المستعين فالتقوا بظاهر سرقسطة فانهزم المسلمون و استشهد منهم جماعة منهم المستعين بن هود ثم لما كانت سنة 512هـ/1118م. و صاحب سرقسطة يومئذ عبد الملك بن المستعين بن هود الملقب بعماد الدولة، زحف ابن رذمير إليها و زحف ألفنش أيضا في غرب الأندلس بأمرهم بالسير إلى أخيه تميم بن يوسف لاستنقاذ سرقسطة و لاردة فقدم فقدم علي تميم عبد الله بن مزدلي و أبو يحي بن تاشفين صاحب قرطبة... فخرج تميم بن يوسف من بلنسية.. و كان بينه و بين ألفنس قتال عظيم... و فقد العدو ما يزيد على عشرة آلاف فارس و رجع تميم إلى بلنسية و ابن رذمير بعث إلى طوائف الافرنج فأتوا في أمم كاالنمل و شرعوا في القتال و صنعوا أبراجا من خشب تجري على بكرات و قربوها منها ثم استسلمت سرقسطة للعدو و سنة 512هـ/1118م.

بعد استيلاء النصاري عليها".

ملحق (6)

مختارات من الشعر لأبي بكر بن الصائغ السرقسطي المعروف بابن باجة[1]

"وقال الوزير الأجل، أبو بكر الصائغ، يرثي الأمير الأجل، أبا بكر ابن إبراهيم، و ذكر أنه لحنه لحنا يطابق معناه، فما غنى به أحد أفكاره:

يا صدى بالثغر جاوره * رمم بوركت من رمم

صحبتك الخيل غادية * و أثارتك فلم ترم

قد طوى ذا الدهر عرته * عنك فألبس حلة الكرم

و كان قد توطأ لأبي إسحاق عنده مكان مرعى، و بريجانبه حقى، فقال في ذلك معارضا لذلك المقطوع:

يا صدى بالثغر مرتهنا * بممر الريح و الديم

لا أرى إلا أخا كمد * باكيا منك أخا كرم

كم بصدري فيك من حرق * و بكفى لك من نعيم

و قال أيضا في ذلك:

لا لعمر المجد و الكرم * و مزار البيت و الحرم

لا سلوت الدهر عن ملك * طلق وجه العرف و الشيم

هذه نعمه ملأ يدى * و نشأ حسناه ملأ فهي

---

[1] **ابن خفاجة**، ديوانــه، تحقيق: غازي، ط.2، منشأة المعارف، الاسكندرية، ص 105 106.

ملحق (7)

المسائل الفقهية

فتاوي أبي عبد الله محمد السرقسطي (طريقة الفقراء بدعة محدثة):

"سئل السرقسطي عن طريقة الفقهاء[1]

فأجاب: السؤال بمحوله: إن طريقة الفقراء في الذكر الجهدي على صوت واحد و الرقص و الغناء بدعة محدثة لم تكن في أصحاب رسول الله (صلع) و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار فمن أراد اتباع السنة و اجتناب البدعة في ذكر الله، الصلاة على الرسول فليفعل ذلك متفردا بنفسه، غير قارن ذكره غيره و ليجف فهو أفضل و خبر الذكر الخفي و عمل السر بفضل عمل العلانية في النوافل بسبعين ضعفا".

[1] **الونشريسي، أحمد بن يحي**، المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء باشراف: الدكتور محمد حجي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ 1981م،ج.11، ص 148.

ملحق (8)

مختارات من رسائل الوزير الكاتب أبي عمرو بن القلاس

"فصل له من رقعة عن ابن هود إلى مجاهد أبي الجيش الموفق: نحن و إن قصرنا بالمخاطبة، و أغببنا بالمكاتبة، محافظون على العهد القديم، معترفون بالحق الكريم، و النعمة بك، إلا أنه كدر نعمتنا و صفو المعيشة عدنا، و أقلق دعة النفوس، و شرد و سن العيون، ما ترد به الأنباء من الوحشية الواقعة بينك و بين المنصور، مما لو يستطيع الفداء له بكل علق غال، و معالجة القياثة بكل نفيس عال، لما تأخر عن ذلك أحد، و لأقر على غيره حلد، رغبة في الألفة بينكما، و حرصا على تمام النعمة للمسلمين فيكما، فأنتما فئة الإسلام، عندة الأنام، و متى اضطرب لكما حيل، و انصرم منكما وصل، فشمل الكل شتيت، و وصل الجميع متبوت، فالله الله في الدين آن يألم بكماء، و الحرمة أن تذهب بينكما، فالعيون في الصلاح إنما كان سموها إليكما، فما ظنكما بالمسلمين وقد أصيبوا في مستقر أمالهم، وجدت للاستحالة حيث كان الرجاء في صلاح أحوالهم".

ملحق (9)

الوزير الكاتب أبو المطرف ابن الدباغ رحمه الله[1]

"أحد أعلام الوزارة المتسمين بأزيائها المرشحين في زمام عليائها المستشهرين بالبلاغة ... وصل إلى المعتمد فكلف به و ألف حسن مذهبهم ثم نسبت إليه و ابنرى له سانئ.... وجدوا في زواله انفصاله فائق من المقام بذلك المتوى و الاحتمال لتلك البلوى فانتقل إلى المتوكل و حل منه بألطف محل و ألقى إليه أزمة العقد و الحل ثم رأى أن يكر سرقسطة بلده و يقد فيها مع أهله و ولد فلما وصل إليها استدعى إلى إحدى حدائقها في ليلة من منح الدهر و تنسها أعصر من نفج الزهو فيها... و كان كثيرا ما يتشكى في كتبه تشكيا يدل على ضيق صدره و سمو قدره، فمن ذلك رقعة كتبها إلى ابن حسداي و هي: "كتابي و أنا كما تدريه غرض الأيام ترميه، و لكن غير شاك من آلامها لأن قلبي في أغشية من سهامها فالنصل على مثله يقع و التألم بهذه الحالة قد ارتفع و كذلك التفريع إذ تتابع .. و الخطب إذا اشتد لأن و الحوادث تنعكس إلى أضدادها إذا تناهت في اشتدادها و تزايدت على أمادها".

---

[1] **إبن خاقان**، قلائد العقيان، المصدر السابق، ص 10 11.

الملحق

أسرة بني هود في حكم سرقسطة[1]

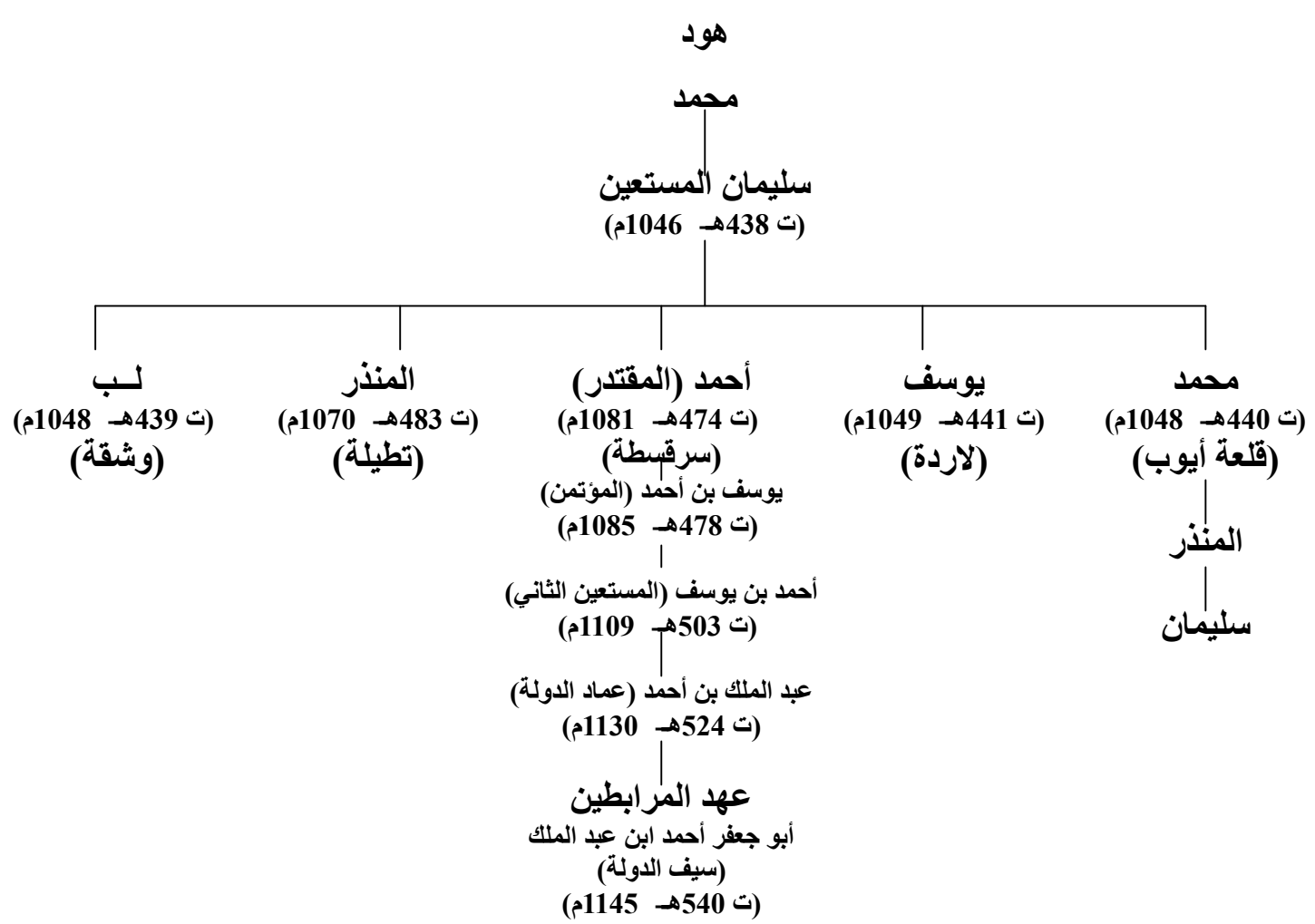

[1] أنظر: **Sénac, (Philippe)**, La Frontière et les Hommes, op.cit, p.537.

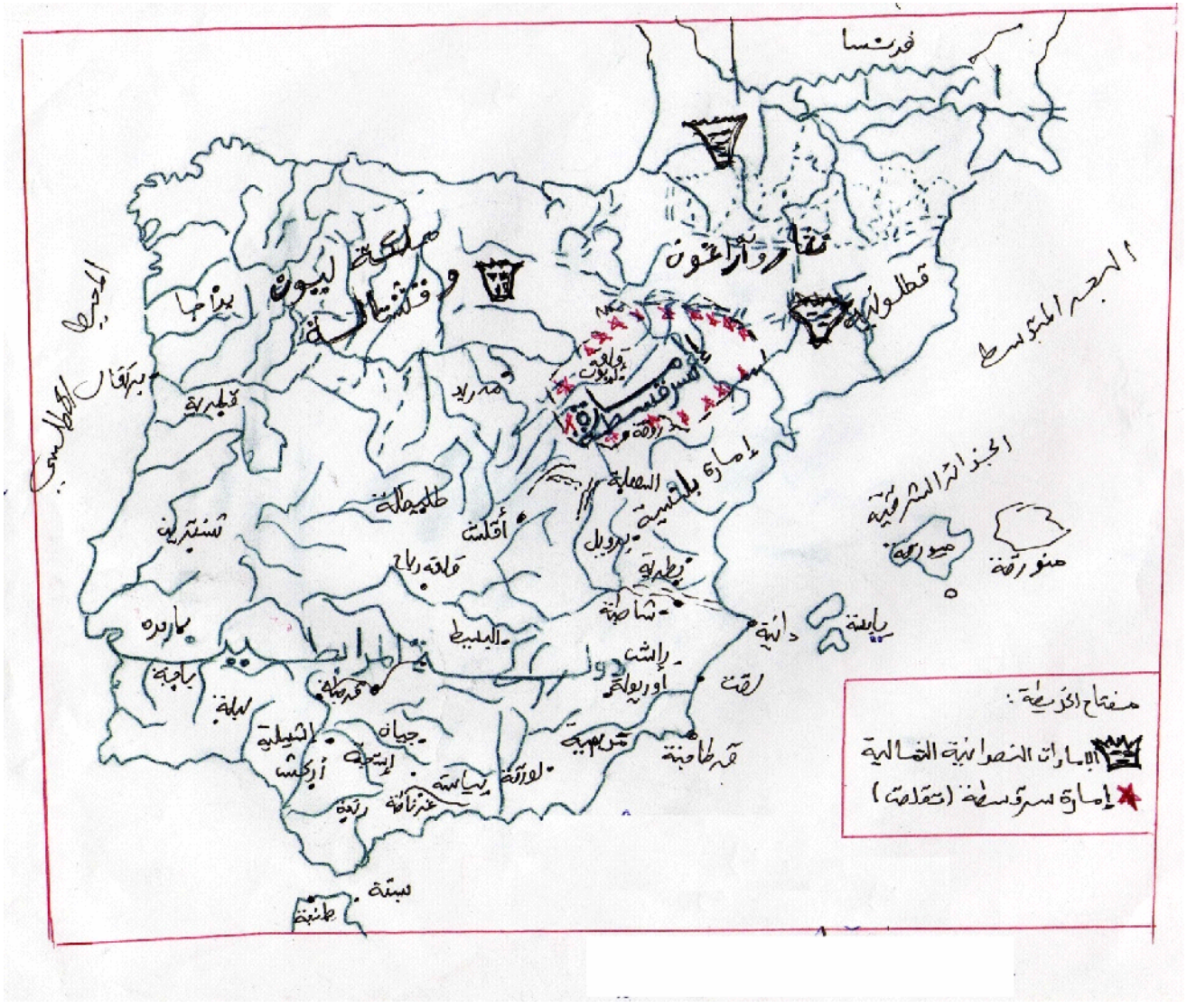
فرنسا
المحيط الأطلسي
البحر المتوسط
مملكة ليون وقشتالة
نفارة وأراغون
قطلونية
بيذجا
برتغال
قلمرية
مدريد
إمارة سرقسطة
إمارة بلنسية
الجزائر الشرقية
ميورقة
منورقة
طليطلة
أقليش
قلعة رباح
بروبل
بطليوس
شاطبة
دانية
يابسة
البليط
مارده
باجة
قرمونة
لبلة
إشبيلية
جيان
أركش
لورقة
تدمير
قرطاجنة
مفتاح الخريطة:
الإمارات النصرانية الشمالية
إمارة سرقسطة (سقلاب)

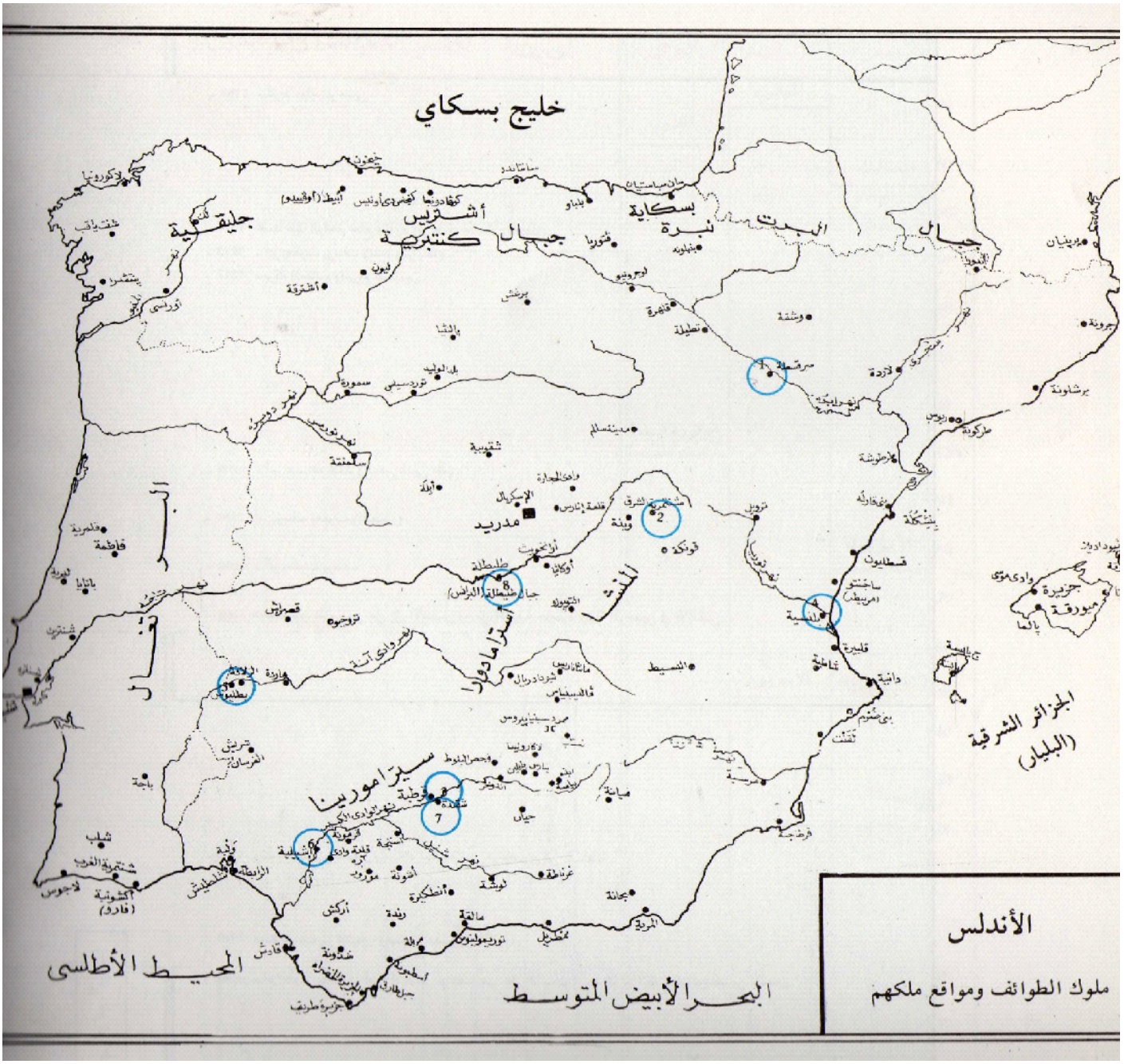

عدنان فائق عنبتاوي، المرجع السابق، ص 112

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المراجع باللغة العربية:

- **الأبراشي محمد عطية:**

- التربية الإسلامية و فلاسفتها، دار الكتاب للحديث للطباعة و النشر و التوزيع، الكويت، د.ت.

- **إحسان عباس:**

- تاريخ الأدب الأندلسي، (عصر سيادة قرطبة)، ط.6، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ 1997م.
- تاريخ الأدب الأندلسي، (عصر ملوك الطوائف و المرابطين)، ط.7 ، دار الثقافة، بيروت، مارس1992م.
- تاريخ الأدب الأندلسي، (عصر الطوائف و المرابطين)، ط.7، دار الثقافة، بيروت، مارس1962م.

- **أرسلان شكيب**:

- الحلل الندلسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، منشورات مكتبة الحياة، بيروت لبنان، د.ت، ج.1، المجلد الأول.

- **أرنست كويل**:

- الفن الإسلامي، ترجمة: أحمد موسى، دار الصادر، بيروت، 1966.

- **إسماعيل محمد**:

- سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، (الفكر التاريخي طور الازدهار)، ط.4، مؤسسة الانتشار العربي، لندن بيروت القاهرة، 2000.

- **أشباح يوسف**:

- تاريخ الندلس في عهد المرابطين و الموحدين، ترجمة: محمد الله عنان، ط.2، مؤسسة الخائجي، القاهرة، 1958م.

- **ألبير حبيب مطلق**:

- الحركة اللغوية في الأندلس من الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، المكتبة العصرية، بيروت، 1967م.

- **إلهي فضل**:

- الحسبة تعريفها و مشروعيتها و وجوبها، ط.2، مطبعة السفير، الرياض، 1993.

- **أمين أحمد**:

- ظهر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، لبنان، د.ت، ج.3.

- **البتنوني محمد لبيب**:

- رحلة الأندلس، ط.2، مطبعة مصر- شركة مساهمة مصر، مصر، د.ت.

- **بروكلمان كارل**:

- تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبه أمين فارس و منير بعلبكي، ط.1، دار العلم للملايين، بيروت، 1948.

- **بشار قويدر**:

- مناهج التاريخ الإسلامي و مدارسه، ط.1، دار الوعي، الجزائر، 1413هـ 1993م.

- **البشري سعد عبد الله**:

- الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (318- 422هـ/928- 1030م)، معهد البحوث العلمية و إحياء التراث و الدراسات الإسلامية، مكة، 1417هـ 1997م.
- الحياة العلمية في عصر الطوائف بالأندلس، (422 -488 هـ/1030- 1055م)، ط.1، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، الرياض، 1414 هـ 1993 م

- **بوذينة محمد**:

- أشهر الموشحات و معارضتها، ط.1، منشورات محمد بوذينة، الحمامات تونس، جوان، 1995.

- **بن بيّة**:

- الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار الأندلس الخضراء دار ابن حزم، جدة، د.ت.

- **حاجي خليفة**:

- كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، (1017هـ 1067هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ 1992م، المجلد الثاني.

- **الجبوري محمد لطفي**:

- الكتاب في الحضارة الإسلامية، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

- **حسن إبراهيم حسن**:

- تاريخ الإسلام السياسي و المدني و الثقافي و الاجتماعي، (العصر العباسي الثاني في الشرق و مصر و المغرب و الأندلس، 447 -656هـ/1055- 1258م)، ط.13، مكتبة النهضة المصرية دار الجيل، القاهرة بيروت،1411هـ 1991م.

- **جمعة شيخة**:

- الفتن و الحروب و آثارها في الشعر الأندلسي، تقديم: محمد الطالبي، ط،.1، المطبعة المغاربية للطباعة و النشر و الإشهار، تونس، 1415هـ 1994م، ج.2.

- **جمعة محمد لطفي**:

- تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق و المغرب، (الكندي، الفارابي، ابن سينا، الغزالي، ابن باجة، ابن طفيل، ابن رشد، ابن خلدون، إخوان الصفا، ابن الهيثم، محي الدين بن عربي، ابن سكويه)، المكتبة العلمية، بيروت، 1345هـ.

- **جنثالث بلنثيا آنخيل**:

- تاريخ الفكر الأندلسي، تحقيق: حسين مؤنس، ط.1، مكتبة الثقافة الدينية، د.م، 1928م.

- **الجيوسي سلمى خضراء**:

- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، (الفن العمارة، التاريخ الإجتماعي، التاريخ الإقتصادي، الفلسفة، الدراسات العربية،العلم و التكنلوجيا و الزراعة)، ط.1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998 م، ج.2

- **حاجي خليفة**:

- كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون 1017- 1067هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ/1992م، المجلد الثاني.

- **حسن إبراهيم حسن**:

- تاريخ الإسلام السياسي و المدني و الثقافي و الاجتماعي، (العصر العباسي الثاني في المشرق و مصر و المغرب و الأندلس 447 656هـ/1055- 1258م)، ط.13، مكتبة النهضة المصرية، دار الجبل، بيروت القاهرة، 1411هـ 1991م.

- **أبو حويج مروان سليم**:

- في أصالة التثقيف التربوي الإسلامي في الفكر الإسلامي، الدار الجامعية، 1407هـ 1987م.

- **خلاف محمد عبد الوهاب**:

- قرطبة الإسلامية في الأندلس في القرن الخامس هجري/الحادي عشر للميلاد، الحياة الاقتصادية و الاجتماعية، ط.1، الدار التونسية للنشر، تونس، أفريل 1984م.

- **خوليان ريبيرا**:

- التربية الإسلامية في الأندلس، (أصولها المشرقية و تأثيراتها الغربية)ط.2، ترجمة: أ. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1994.

- **دندش عصمت عبد اللطيف**:

- الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين، (عصر الطوائف الثاني 510هـ 1116/546م، 1151م)، تاريخ سياسي و حضارة، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ 1988.

- **دوزي رينهارت**:

ملوك الطوائف و نظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة: كامل كيلاني، ط.1، مكتبة و مطبعة عيسى باجي الحلبي و شركاءه، مصر، 1315هـ 1933م.

- **دويرار حسن يوسف**:

المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، (138- 422هـ/755هـ 1030م)، ط.1، مطبعة الحسين الإسلامية ،القاهرة، 1414هـ 1994.

- **دي بور**:

- تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله إلى العربية و علق عليه: **محمد عبد الهادي أبو ريدة**، دار النهضة العربية، بيروت القاهرة، 1374صفر- أكتوبر1954م.

- **أبو ريّان محمد علي**:

- تاريخ الفكر الإسلامي في الإسلام المقدمات علم الكلام الفلسفة الإسلامية،ط.2، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

- **ريسلر جاك**:

- الحضارة العربية، تعريب: خليل أحمد خليل، ط.1، منشورات عويدات، بيروت باريس، 1993م.

- **ريشر نيقولا**:

- تطور المنطق الغربي، ترجمة و دراسة و تعليق: د. محمد مهران، ط.1، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

- **أبو زهرة محمد**:

تاريخ المذاهب الإسلامية، في السياسة و العقائد و تاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

- **سالم عبد العزيز**:

- المساجد و القصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986م، بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، القسم الأول.

- **السامرائي خليل إبراهيم**:

- الثغر الأعلى الأندلسي، دراسته أحواله السياسة، 95 316هـ/714- 928م، مطبعة سعد بغداد، 1967م.

- **ستيرين صمويل**:

- الموشح الأعلى الأندلسي، ترجمة و تعليق و تقديم: د. عبد الحميد شيخة، ط.1، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، 1411هـ 1990م، 1417هـ 1996.

- **شرف محمد جلال**:

- دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات و مذاهب، دار النهضة العربية، بيروت، 1404هـ 1984م.

- **شعيب عبد الواحد**:

- دور المرابطين في الجهاد بالأندلس، 468 530هـ/1086- 1147م، ط.1، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 1399هـ، مارس 1999.

- **الشكعة مصطفى**:

- الأدب الأندلسي، موضوعاته و فنونه، ط.7، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، المغرب و الأندلس، الأفاق إسلامية و حضارة إنسانية و مباحث أدبية، ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1407هـ/1987م.

- **شلبي أحمد**:

- تاريخ التربية الإسلامية، ط.4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1973م.

- **صبحي أحمد محمود**:

- في علم الكلام، (دراسة فلسفة لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين 1- المعتزلة)، ط.5، دار النهضة للطباعة و النشر، بيروت، 1405هـ 1985م

- **صفر البشير**:

- الجغرافيا عند العرب، (نشأتها و تطورها)، تقديم و تعريب: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984.

- **الطبّاع عمر فاروق**:

- ابن خلدون في سيرته و فلسفته الاجتماعية مشاهير العرب و الإسلام، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت، 1417هـ 1998م.

- **طبانة بدوي**:

- البيان العربي: (دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب و مناهجها و مصادرها الكبرى)، طبعة 7، دار الرياض دار المنارة للنشر و التوزيع دار الرفاعي للنشر و الطباعة و التوزيع، جدة، 1408هـ 1988م.

- **الطرطوشي أحمد الهاشمي**:

- جواهر الأدب في أدبيات لغة العرب، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت، د،ت، ج.2

- **طه باقر**:

- موجز في تارخ العلوم و المعارف في الحضارات القديمة و الحضارة الإسلامية، ط1، د.ط، القاهرة، 2004م.

- **عاشور سعيد عبد الفتاح**:

- أوروبا عصور وسطى، التاريخ السياسي، ط.5، مكتبة الآنجلو المصرية، القاهرة، 1972م، ج.1.

- **العبادي أحمد مختار**:

- في التاريخ العباسي و الأندلسي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، د.ت، القسم الثاني.

- في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت.

- **عتيق عبد العزيز:**

- الأدب العربي في الأندلس، ط.2، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1967م..

- **العريني يوسف علي بن ابراهم:**

- الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، ط.1، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1416هـ/1995م.

- **عكاوي رحاب خضر:**

- الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ط.1، دار المناهل، بيروت، 1415هـ 1995م.

- **عليان مصطفى عبد الرحيم:**

- تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن 5هـ/11م، ط.1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1404هـ/1984م.

- **عنان محمد عبد الله:**

- دولة الإسلام في الأندلس (دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي)، العصر الثاني، ط. 1، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، 1417 هـ 1996.

- **عنبتاوي عدنان فائق:**

- حكايتنا في الأندلس، ط.1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1989م.

- **العوّا عادل:**

- الكلام و الفلسفة، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، 1381هـ/1961م.

- **عيد فرحات يوسف:**

- علماء العرب، ط.1، د.مكان الطبعة، 1986م.

- **عيسى محمد عبد الحميد:**

- تاريخ التعليم في الأندلس، إشراف: د.لوس سواريث قرناندیث و تقديم: د. عبد الغني عبود، ط.1، ط.1، دار الفكر العربي، 1982م.

- **غانم حامد زيان:**

- تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية و أثرها في أوروبا، دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة، 1977م.

- **الغنيم عبد الله يوسف:**

- مصادر الكبرى و منهجه الجغرافي:ط.1، ط.2، ذات السلاسل للطباعة و النشر و التوزيع، الكويت،1974- 1996م.

- **الفاسي عبد الرحمن:**

- خطة الحسبة في النظر و التطبيق و التدوين، ط.1، مطبعة النجاح الجديدة، 1984م

- **الفاضل محمد بن عاشور:**

- التفسير و المفسرون، منشورات اللغات، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966.

- **فروخ عمر:**

- تاريخ الأدب العربي، (الأدب في المغرب و الأندلس من الفتح الإسلامي) آخر عمر ملوك الطوائف، أواخر القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد)، ط.3، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م، القسم الرابع،

- **فون شاك:**

- الفن العربي في إسبانيا و صقلية، ترجمة: الطاهر أحمد مكى، ط.2، دار المعارف، القاهرة، 1980، 1981.

- **الفيّومي محمد إبراهيم:**

- تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب و الأندلس، ط.1، دار الجيل، بيروت، 1997م

- **بن قربة صالح:**

- المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، (دراسة معمارية و فنية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- **قيصر مصطفى:**

- حول الأدب في الأندلس، مؤسسة الأشرف للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1987م.

- **كحيلة أبو أدهم عبادة بن عبد رضا:**

- المغرب في تاريخ الأندلس و المغرب، ط.1، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، 1418هـ/1997م.

- **كراتشكوفسكي أغناطيوس يوليا نوفنتش:**

- تاريخ الأدب الجغرافي، نقله على رواية صلاح الدين عثمان، هاشم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408 1987م

- **الكزبري رحاب خضر:**

- الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ط.1، دار المناهل، بيروت، 1415هـ 1995م.

- **ليفي بروفنسال:**

- حضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط.3، دار المعارف، القاهرة، يناير 1994.
- حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرطوط، مكتبة الحياة، مطبعة النجوى، بيروت، د.ت

- **مؤنس حسين**:

- التاريخ و المؤرخون، (دراسة في علم التاريخ)، دار المعارف، القاهرة، 1984.
- الثغر الأعلى الأندلسي في عهد المرابطين و سقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/1118م، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1413هـ/1992.
- شيوخ العصر في الأندلس، مطابع الهيئة العامة للكتاب، مدريد، 1965م.

- **بن محمد علي:**

- النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس/الحادي عشر للميلاد، (مضامينه و أشكاله)، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

- **مجموعة من الأساتذة:**

- الأندلس قرون من التقلبات والمعطاءات، (التاريخ وفلسفته)، لجنة التحرير: د. عبد الله بن علي الزيدان، د. محمد بن صالح السجباني، و د. عبد الغفور إسماعيل روزي، و د. صالح محمد السنيري، و د. عبد الله بن إبراهيم العميد، ط،1، مكتبة الملك عبد العزيز العامة للأعمال المحكمة 10، 1417هـ 1996م، القسم الأول.

- **المنصوري أحمد مقبل محمد:**

- الموشحات الأندلسية بين ناقد لها قديما و حديثا، إصدارات وزارة الثقافة و السياحة، اليمن، 2004م.

- **مونتغمري وات:**

- في تاريخ إسبانية الإسلامية، (مع فصل في الأدب بقلم بييزكاكيا)، ترجمة: د.محمد رضا المصري، ط.2، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت، 1998.

- **هارتمان (ل.م) و بارا كلاف (ج):**

- الدولة و الإمبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة و تعليق؛ جوزيف يوسف، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1985م.

- **الهدفي سلامة محمد سليمان:**

- دولة المرابطين في عهد **يوسف بن تاشفين**، (دراسة سياسة و حضارية)، د.ط، 1405 هـ 1985م.

- **هونكة زيغرد:**

- شمس العرب تسطع على الغرب، (أثر الحضارة العربية في آوربة)، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون كمال الدسوقي، راجعه: و وضع حواشيه مارون عيسى الخوري، ط.2، منشورات المكتب التجاري للطباعة و التوزيع و النشر، بيروت، 1996م.

- **الورقي سعيد**:

- في الأدب الأندلسي، الدار المصرية، الإسكندرية، د.ت.

الموسوعات و المعاجم:

- **البعلبكي منير:**

- موسوعة المورد، (دائرة معارف إنجليزية عربية)، ط.1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، المجلد الثامن.

- **التونخي محمد:**

- المعجم المفضل في الأدب، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1993م.

- **أبو فاضل وهيب:**

- موسوعة عالم التاريخ و الحضارة، **(من الديانة المسيحية حتى آخر القرن العشرين)، ط.1، د.م، نوبليس، 2003م، المجلد10.**

- **فرشوخ محمد حسين:**

- موسوعة عباقرة الإسلام، (في الفلك و العلوم البحرية و علم النبات و علم الميكانيم)، ط.1، دار الفكر العربي، بيروت، 1995، الجزء الخامس.

- **مؤنس حسين**:

- موسوعة في تاريخ الأندلس، (فكر و تاريخ و حضارة و تراث)، ط.1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1416هـ 1996م

- **الفن العربي الإسلامي المداخل**:

- المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، إدارة الثقافة، تونس، 1994م، الجزء الأول.

- **الموسوعة العربية الميسرة**:

- ط.2 الجمعية المصرية لنشر المعرفة و الثقافة العالمية، دار الجيل، بيروت، القاهرة، تونس، 2001م، المجلد الثالث.

- **الموسوعة العربية العالمية:**

- **ط.**1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الرياض، 1991م، الجزء 12.

الأطروحات و الحوليات:

- **بلغيث محمد الأمين:**

- الحياة الفكرية في الأندلس في عصر المرابطين، (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه)، إشراف: د.عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر، الجزائر، 1423-1424هـ/2002-2003م، المجلد الأول و الثاني.
- الرُبط بالمغرب الإسلامي و دورها في عصر المرابطين و الموحدين، (رسالة ماجستير)، معهد التاريخ، الجزائر، 1406هـ-1407هـ/1886-1987م.

- **المنيسى وليد عبد الله عبد العزيز:**

- الحسبة على المدن و العمران، (الحولية 16)، الرسالة 106، مجلس النشر العلمي، الكويت، 1990-1996م.

المراجع باللغة الفرنسية:

- **ARKOUN (Mohammed) :**

- La Pensée Arabe, 1éd, presse universitaires de France, 1975.

- **BERGE (Marc) :**

- Les Arabes, Histoire et civilisation, des arabes et du monde musulman des origines à la chute du royaume de Grande, (IXe siècle av.J, XIVe siècle), préface de : Jaques Berque, Ed Lidisd, Paris, 1973-1983

- **BERNARD (Lewis) :**

- Les Arabes dans l'Histoire, traduit de l'Anglais par Annie Mesritz, La Baconnié reneuchatel, suisse, 1958

- **CLEMENT (François) :**

- Pouvoir et légitimité en es pagne musulmane à l'époque des taifas (ve-xie siècle), préface : pierre Guichard, éditions L'harmattan, Paris, 1997,

- **Colot (André) :**

- l'Espagne musulmane, (VIIIe XVE siècle), Libraire Académique, perrin, Paris, 1999.

- **DJEBBAR Ahmed :**

- La Contribution Mathématique d'al-mu'taman et son Influence au Maghreb, colloque maghrébin, de Bayt-Al Hikma sur patrimoine arabe, 1986

- **DOZY (R) :**

- Supplément aux dictionnaires arabes, libraire du Liban, Beyrouth, 1999,t.I

- **HOGENDIJK Jan (P) :**

- Le roi géomètre el M'utamin Ibn Hud et son livre de la perfection, Kiteb el Istikmal, premier Colloque International d'Alger sur l'Histoire des Mathématiques arabes, La maison du livre, Alger, décembre, 1986.

- **Miguel (André) :**

- La Littérature arabe, 1éd, presse universitaires de France, Paris, 1969

- **PERES (Henré) :**

- La poésie Andalouse en arabe classique au XIE siècle, (Ses aspects généraux et leurs valeurs documentaires).

- **LEVI Provençal (E):**

- Histoire de l'Espagne musulmane, (siècle du califat de Cordoue), Maisonneuve et la rose, 1999 tome VI

- **LEVI Provençal . Colin-G.E :**

- Un Manuel hisyranique de Hisba traité, d'Abu Abd Allah, Assakati de malaga, Libraire Enest leroux, Paris, Tome XXI.

- **RAYMOND (G) :**

-L'Espagne, 1ède, imprimer par L'I.M.P, Sapho (S.D).

- **ROUBERT (Pierre):**

- Musulman au nord de l'Ebre et les débuts de la reconquête, d'aragonaise, Maisonneuve et la rose, Paris, 2000.

- **SÉNAC (Philippe)**

- La frontière et les hommes, (VII – XII siècle), préface de Pierre Toubert, Maisonneuve et La Rose, Paris, 2000.

المجالات:

- أبقو علي؛ الأطباء الأندلسيون ودورهم في إثراء الدراسات الطبية وتطويرها"، مجلة دراسات أندلسية، العدد 30، المطبعة المغاربية للطباعة و النشر و الإشهار، تونس، جمادى الأولى. شوال/جويلية ديسمبر، 1424 هـ 2003م، (الصفحات من103- 106).

- إكتاتيوفير أندو؛ "المقامات اللزومية لأبي الطاهر السرقسطي، و صدور الترجمة إلى اللغة الإسبانية،مجلة دراسات أندلسية،العدد27، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار،تونس،شوال 1422هـ جانفي 2002 م،(الصفحات من 57- 66).

- بنيعيش محمد محمد؛"علم الكلام بين الأصالة و موضوعية المواقف"،مجلة دعوة الحق،العدد313،المطبعة المغاربية للطباعة و النشر و الاشهار،تونس، جمادى الثانية 14هـ/أكتوبر 1995م،(الصفحات من46- 57).

- حسنى حسن عبد الوهاب؛"تطور الموسيقى العربية في المشرق و اسبانيا و تونس"، تعريب وتعليق:محمد الأسعد قريعة، مجلة دراسات أندلسية، العدد15، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر و الأشهار، تونس،رمضان1416هـ/جانفي 1996م (الصفحات من17- 104).

- خوليان ريبييرا، المكتبات و هواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، ترجمة: د. جمال محرز.

- مجلة معهد المخطوطات العربية جامعة الدولة العربية، ذو القعدة 1378هـ/مايو 1959م، الجزء الأول، المجلد الخامس، (الصفحات من 69- 105)

- شيخة جمعة؛ الشعر، مجلة دراسات أندلسية، العدد22، المطبعة المغاربية للطباعة و

-

النشر والإشهار تونس، ربيع الأول1420ه/جوان1999م،(الصفحات من)

الصغير،نور الدين،"الأندلس النظرية الحضارية لفلسفة السلم و التعايش الجوار"،لقراءة في تجليات الحضارة)،مجلة دراسات أندلسية،العدد34، المطبعة المغاربية للطباعة و النشر و الإشهار، تونس جمادى الأولى شوال1026هـ/ جويلية ديسمبر2005م (الصفحات5- 43).

فرحان محمد جلوب، الفكر التربوى عند إبن باحة، مجلة دراسات أندلسية، العدد 6 7، المطبعة المغاربية للطباعة و النشر و الإشهار، تونس، السنة الثالثة و العشرون/ البديل مابو 1987م،(الصفحات من 69 120).
المنصوري،أحمد مقبل محمد،"الموشحات الأندلسية بين ناقديها قديما وحديثا مجلة دراسات أندلسية العدد35 المطبعة المغاربية للطباعة و النشر والإشهار تونس جانفي جوان2006 (الصفحات من)
الزهو بالشاعرية عند شعراء الأندلس"،(عصر الطوائف والمرابطين)،مجلة دراسات أندلسية ، العدد28، المطبعة المغاربية للطباعة و النشر والإشهار،تونس، رمضان 1423هـ/نوفمبر 2002 م (الصفحات من 35 80).
بن عاشور محمد الطاهر،"المكتبات والكتاتيب"، مجلة المداية،العدد 172 د.م السنة 31 صفر شوال (142هـ مارس تونس 2006 الصفحات 40 85).

المصادر و المراجع:

- **القرآن الكريم**، كتبه الخطاط، عثمان طه، دار علوم القرآن، دمشق، 1405هـ.

- **إبن الآبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي (ت 685هـ - 1286م):**

- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: **إبراهيم الأبيارى**، ط.1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة بيروت، 1410هـ/ 1949.
- التكملة لكتاب الصلة، نشره: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، مصر 1955م، ج.1.
- الحلة السيراء، (يضم تراجم أهل المئات الأولى و الثانية و الثالثة و الرابعة)، حققه و علق حواشيه: د.حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة و النشر، القاهرة، 1963، ج.1.

- **ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت 630هـ 1173م):**

- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1336 هـ 1977 م، المجلد التاسع.

- **الإدريسي أبو عبد الله**:

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1409 1989م، المجلد الثاني.
- القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس؛ (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق)، تحقيق و تعلق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983م.

- **الأصفهاني العماد:**

- جريدة القصر و جريدة العصر قسم الشعراء المغرب الأندلس، ، تحقيق: أذرتاش، الدار التونسية، تونس، 1971، ج.2.

- **إبن أبي أصبيعية موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم (ت 668هـ 1270):**

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، إصدار الفكر، بيروت، 1376هـ 1956م، جزءان.

- **ابن دحيّة الكلبي أو الخطاب عمر بن علي بن محمد بن دحية الكلبي:**

- المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري ود. حامد عبد المجيد ود. أحمد بدوي، راجعه: **د.طه حسين**، مطبعة الأميرية، القاهرة، 1954م

- **إبن زبير أبو جعفر بن الزبير العاصمي (ت 708هـ 1308م):**

- صلة الصلة، تحقيق: عبد السلام الهواس و الشيخ سعيد أعراب، مطبعة فضالة، المغرب، 1413هـ 1993، القسم الثالث.

- **إبن أبي زرع أبي الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت 726هـ 1325م):**

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و خارج مدينة فاس، المكتبة التاريخية، د.ت.

- **ابن زيدون:**

- ديوان ابن زيدون، تحقيق: يوسف فرحات، ط.1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1411 هـ 1992 م، القسم الأول.

- **إبن بسام شنتريني أبو الحسن علي بن بسام (ت 543هـ 1147م):**

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: سالم مصطفى البدوي، ط.1، منشورات محمد علي بيضون، بيروت لبنان، 1419هـ 1998، ج.1.

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1398هـ 1978، القسم الأول، المجلد الثاني.

- **إبن بشكوال أبو القاسم بن خلف بن عبد الملك:**

- الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1410هـ 1989، ثلاثة أجزاء.

- **البغدادي إسماعيل باشا:**

- هدية العارفين، (أسماء المؤلفين و آثار المضفين)، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان إستانبول، 1955م، المجلد الثاني.

- هدية العارفين، دار إحياء الثرات، العربي، بيروت،1991م، المجلد السادس.

- **الباجي أبو الوليد:**

- وصية الإمام الحافظ أبي الوليد الباجي رحمهم الله أجمعين، تحقيق: **جلال علي الجهاني**، مؤسسة الريان للطباعة ونشر و التوزيع، بيروت، 1416هـ 1996م

- **البكري أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز:**

- جغرافية الأندلس و أوروبا، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد، بيروت، 1968م.

- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، إعتنى بتصحيحه و مراجعة أصله: عبد الله أفندي البستاني، المطبعة الأدبية، بيروت، 1901م.

- المثلث، تحقيق و دراسة: الدكتور صالح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981م.

- **التادلي بن الزيّات أبو يعقوب يوسف بن يحي:**

- التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، ط.2، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، 1997م.

- **التليلي، المختار بن الطاهر:**

- ابن رشد و كتابه المقدمات، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1983م.

- **التميمي أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله:**

- المسلسل في غريب لغة العرب، تحقيق و مراجعة: محمد عبد الجواد و **ابراهيم الدسوقي البساطيُّ**، وزارة الثقافة و الارشاد، د.ت.

- **التونسي محمد بيرم الخامس**:

- صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار و الأقطار، ط.1، المطبعة الإعلامية، مصر، 1302هـ، ج.1.

إبن جلجل أبو داوود سليمان:

- طبقات الأطباء و الحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

- **ابن الجزري الحافظ بن الخير محمد بن محمد الدمشقي**:

- النشر و القراءات العشر، راجعه و صححه: علي محمد الصباغ، مطبعة مصطفى محمد، مصر، د.ت، ج.1.

- **إبن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (ت 456هـ 1064م):**

- رسالة ابن حزم في التاريخ، (رسائل ابن حزم الأندلسي)، تحقيق: إحسان عباس، ط.2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1987م، ج.2.

طوق الحمامة في الآلفة و الآلاف، تحقيق و تقديم: فاروق سعد، مكتبة الحياة، بيروت، 1972م.

- **ابن حزم الأندلسي، ابن سعيد الشقندي:**

- فضائل الأندلس و أهلها، تقديم: صلاح الدين المنجد، الكتاب الجديد، بيروت، 1968م

- **الحميدي**:

- جذوة المقتبس، ج.2.

- **ابن حيان القرطبي (ت 767هـ 1076م)**:

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1951.

- **الحميري محمد عبد المنعم:**

- الروض المعطار في خبر الأقطار؛ (معجم جغرافي مع مسرد عام)، حققه: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.

- **ابن خاقان، أبو النصر الفتح بن محمد بن عبد الله (ت 529هـ 1134م)؛**

- قلائد العقيان في محاسن أعيان الزمان، ط.1، مطبعة التقدم العلمية بدرب الدليل، مصر، 1320هـ.

- مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ط.1، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1302هـ.
- المنتخب من قلائد العقيان و محاسن الأعيان، تحقيق: هنري بييراس، المطبعة الجامعية، الجزائر، 1946م.

- **ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله (776هـ/1374م):**

- تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط.2، دار المكشوف، 1956م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد الله عنان، ط.1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1395 م 1975، أربعة أجزاء.
- رقم الحلل في نظم الدول، ط.1، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ.

- **ابن خلدون عبد الرحمن:**

- المقدمة، حققها و شرحها و علق عليها و عمل فهارستها: الدكتور عبد الواحد، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1384- 1965،ج.1.
- تاريخ ابن خلدون المسمى"كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1391هـ- 1971م، ج.4
- المقدمة، حققها و قدمها، عبد السلام الشدادي، وزارة الثقافة، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ، الجزائر، 2006م، ج.1.

- **الخطابي، محمد العربي:**

- الطب و الأطباء في الأندلس، دراسة و تراجم و نصوص)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، الجزءان.

- **الخشيني أبو عبد الله بن حارث**:

- قضاة قرطبة و علماء إفريقية، د.ط، القاهرة، 1372هـ.

- **إبن الأخوة**:

- معالم القرية في أحكام الحسبة، نقله و صححه: روبن ليوى، مطبعة الفنون، كيمبرج،1937م.

- **إبن أبي دينار:**

- المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس، تحقيق: محمد شمام، ط.2، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م.

- **الذهبي شمس الدين محمد**:

- العبر في خبر من غبر، حققها و ضبطها: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ج.2.
- تهذيب سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب عبد الواحد، ط.2، دار الكتب العلمية، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ج.2.

- **الرشاطبي أبو محمد (ت 542هـ 1147م) و ابن الخراط الاشبيلي (ت 581هـ 1186م)**:

- الأندلس في اقتباس الأنوار، تقديم و تحقيق: إيميلو مولينا و خاثينو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990.

- **السيوطي جلال الدين عبد الرحمن:**

- طبقات الحفظ، راجع النسخة و ظبط أعلامها لجنة من العلماء، ط.2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ 1994.

- **الشعبي المالقي أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم (ت 497هـ110م):**

- كتاب الأحكام، تقديم و تحقيق: الصادق الحلوي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.

- **صاعد الأندلسي**:

- طبقات الأمم، تحقيق: حياة بعلوان، ط.1، دار المطبعة للطباعة و النشر، بيروت، 1985م.

- **الضبي، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت599هـ 1203):**

- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أو خرج منها، مطبع روخس، مدريد، 1884.

- **العاملي بهاء الدين:**

الكشكول، ط.1، الدار الكتاب اللبناني، بيروت، 1403هـ 1983م، الجزء الثاني و الثالث.

- **ابن عبد ربه الأندلسي، شهاب الدين أحمد:**

- العقد الفريد، تقديم: **خليل شرف الدين**، ط،2، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1990م، الجزء الثاني.

- **إبن عبدون و آخرون**:

- ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة و المحتسب، اعتنى بتصحيحه و تحقيقه: أ. ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

- **ابن عذارى المراكشي (ت 706هـ 1306):**

- البيان المغرب العربي في أخبار المغرب، تحقيق و مراجعة: ج.س كولان و إ.ليقي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1985م، الجزء الثالث.

ابن عماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي (ت 483هـ 1089م):

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ح.3، المجلد الثاني.

- **إبن العوام أبو زكريا يحي بن أحمد (ت 539هـ 1146م):**

- كتاب الفلاحة، ترجمة فرنسية ل ج ج كليمان مولى، ط.2 ، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع، تونس، 1977.

- **أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544هـ 1149م):**

- ترتيب المدارك و تقريب الممالك لمعرفة أعلام مذهب مال، ضبطه و صححه: محمد سالم هشام، ط.1، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج.2.
- الغنية، تحقيق: ماهد زهير جرار، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ 1982، ص 129، السيوطي، جلال الدين؛ طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت،1441هـ/1994م.

- **الغرناطي الأندلسي ابن سعيد علي بن موسى (ت 685هـ 1286م):**

- كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العزبي، منشورات المكتب التجاري للطباعة، بيروت، 1970م.
- المغرب في حلى المغرب، ط.3، حققه و علق عليه: د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج.2.

- **الغزالي أبو حامد:**

- الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من كتاب إحياء علوم الدين، تقديم: رضوان السيد، ط.1، دار إقرأ، بيروت، 1983م.

ابن فرحون ابراهيم بن عابن محمد اليعمري:
الديباج، المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق و دراسة: مأمون بن محي الدين الجنان، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ 1996.

- **ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله:**

- تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، مصر، 1966م، الجزء الأول.

- **أبي الفداء عماد الدين**:

- تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، علق عليه: محمود ديّوب، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، الجزء الأول.

- **القفطي، أبو الحسن على بن يوسف:**

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، ط.1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1369هـ 1950م، الجزء الأول.
- كتاب أخبار الحكماء، عن تصحيحه: السيد أمين الخانجي المكتي، مطبعة السعادة، دار الكتب الخديوية، مصر، 1326م.

- **القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي:**

- صبح الأعشى في صناعة الانشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، د.ت، ج.13

- **إبن القوطية أبو بكر**:

- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إسماعيل العزبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
- كتاب الأفعال، تحقيق، علي فودة، ط.2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1993م.

- **القيسي قاسم**:

- تاريخ التفسير، مطبعة المجمع العلمي، العراق، 1966م.

- **القيسي مكي بن أبي طالب (ت 437هـ 1045م):**

- الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها، تحقيق: محي الدين، رمضان، ط.1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ 1997م، الجزء الأول.

- **القزويني**:

- آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1960م.

- **ابن الكردبوس**:

- الاكتفاء في أخبار الخلفاء، (هذا الكتاب هو القسم الثاني يبتدئ من الخلفاء الأمويين)، مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، الجزائر، تحت رقم 2711.

- **ابن الكتاني أبو عبد الله:**

- كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: إحسان عباس، ط.3، دار الشروق، بيروت، 1406هـ 1986م.

- **مجهول**:

- أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها، و الحروب الواقعة بها بينهم، طبعة ريبدينر، 1967م.

- **مجهول**:

- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه: د. سهيل زكار و أ. عبد القادر زمامة، ط.1، دار الإرشاد الحديثة، دار البيضاء، 1399هـ 1979م.

- **المراكشي عبد الواحد (ت581هـ 1185م):**

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ 1998م.

- **المراكشي عباس بن ابراهيم**:

- الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأغلاظ، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1409هـ 1998م، الجزء الرابع.

- الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأغلاظ، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1403هـ 1983م، الجزء العاشر.

- **المقدسي**:

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه. د.**محمد مخزوم**، إحياء الثلاث العربي، بيروت لبنان، د.ت.

- **المقري التلمساني أحمد بن محمد**:

- أزهار الرياض في أخبار عياض، صندوق إحياء الثراث الإسلامي المشترك بين المملكو و دولة الإمارات العربية المتحدة، الرباط، 1398هـ 1978م، الجزء الثاني و الثالث.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، ط.1، دار صادر، بيروت، 1388هـ 1968م، المجلد الأول، ص آخر الكتاب.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شرحه و ضبطه، د. مريم قاسم طويل و د.يوسف علي الطويل، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415- 1995، الجزء الخامس.

- **النبهاني أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن**:

- تاريخ قضاة الأندلس كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا، ط.5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م.

- **ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر:**

- تاريخ ابن الوردي، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1417هـ، 1996م،ج2.

- **الونشريسي أحمد بن يحي**:

- المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية و الأندلس و المغرب، خرجه جماعة من الفقهاء: باشراء د.محمد حجي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ 1981م، الجزء الثالث و الحادي عشر.

- الولايات و مناصب الحكومة الإسلامية و الخطط الشرعية، نشر و تعليق: محمد الأمين بلغيث، مطبعة لا فوميك، الجزائر، د.ت.

- مرآة الحبان وعبرة اليقظان لمعرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط.2، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1390هـ 1970م، الجزء الأول.

- **اليعقوبي أبو العباس أحمد بن يعقوب**:

- كتاب البلدان، ط.1، دار إحياء التراث العربي، 1408 هـ 1988م.

- **ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله:**

- معجم البلدان، ط.2، دار صادر، بيروت، 1995م، المجلد الثالث.

- معجم البلدان، ط.2، يونين، بيروت، 1993- 1995، الجزء الثاني و الرابع.

- **عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني:**

- إشارة التعيين في تراجم النحاة و اللغويين، تحقيق: عبد المجيد دياب، ط.1، مثيل الروضة، القاهرة، 1405هـ 1985م.

الفهارس

فهرسة الأعلام:

(أ)

ابن الآبار بن عبد الرحمن القضاعي 16 52

ابو عمران الفاسي 68

ابن ادريس ابو محمد عبد الله 12 18 127

ابن ادريس الشافعي59مام

ازرق ابو عامر 5

الأزرق السرقسطي يحي بن همام 100

الأشبيلي ابو مسلم بن خلدون 157

الأصفهاني ابو الفرج 97

الأصمعي ابو سعيد عبد المالك 32 91

الأطروشي ابو محمد الحسن 73

الفونسو المحارب 4 41 53

مالك بن انس 59 60 61 70

الأنصاري محمد بن عبد العزيز 8 52 73

(ب)

ابن باجة ابو بكر بن يحي السرقسطي 3 12 13 32 116 131 133 135 141 142 149 152 153 155 159 178

الباجي ابو الوليد 9 30 39 47 52 53 57 58 64 65 67 73 78 84

ابن باق الجذامي 10 52 78 110

ابن بسام الشنتريني 12 22 99 125

ابن بشكوال ابو القاسم 15 33 75 82

البطليوسي ابو محمد بن المفرج بن ابراهيم 54

البلوطي منذر بن سعيد 56 63
(ت)
التجيبي يحي بن المنذر ذ
التميمي محمد بن يوسف السرقسطي 10 11 90 100 111
التطيلي ابو الحسن علي بن الخير 11 123
التيفاشي احمد 137
(ث)
ثابت بن قرة 91 93
ثابت بن قاسم 71 91 93
(ج)
الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب 94 97
ابن جبير ابو الحسن 38 133
ابن الجزار ابو بكر السرقسطي 13 14 36 117
ابن الجزار احمد القيرواني 147
ابن جلجل ابو داوود 13 24
(ح)
ابن حاتم الصميل خ
ابن الحداد ابو عبد الله 11 39 103 106 107 141
ابن الحذاء عبد الله 68
الحراني احمد بن يوسف الجذامي 146 162
ابن حسداي ابو الفضلي 10 12 13 38 41 42 96 98
99 106 131 143
ابو حنيفة النعمان بن ثابت 60
(خ)
ابن خاقان ابو نصر محمد 12 19 44 99 138 141

ابن خلدون عبد الرحمان 20 47 67 76 94 116 158 160
ابن خيرون ابو الفضل 74
(د)
الداني ابو عمرو 8 35 43 50
ابن الدباغ 3 11 41 95 100 102 176
ابن دراج القسطلي 171
ابن دينار 61
(ذ)
المأمون بن ذي النون 165
(ر)
الرعيني ابو الحسن مختار 13 157
(ز)
ابن الزيات البو يعقوب 17 83
ابن زيدون 99 107
(س)
السرقسطي ابو عبد الله 68 84 151 179
ابن سهل ابو محمد 54
ابن سينا 146
(ش)
ابن شاطر عبد الرحمان السرقسطي 8 84
الشيباني ابو الحسن 9
الشيباني عبد الله بن عيسى 72 90
ابن ابي شيبة ابو بكر 70
(ص)

صاعد بن احمد بن الأندلسي 156 157 158
ابن الصدفي 8 52 53 74 75
ابن الصغير السرقسطي 8
الصنعاني حنش بن عبد الله 33
(ض)
الضبي 17
(ط)
الطرطوشي ابو بكر 3 11 12 47 65 67 123
الطنلمنكي ابو عمرو 8 50 54 64 68
(ع)
المعتمد بن عباد 43 124
ابن عبدون محمد 36 124
ابن عجلان يحي 68 151
(غ)
الغازي بن قيس 50 61
الغزالي ابو حامد 80
الغمري الوليد بن بكر السرقسطي 72
(ق)
القيرواني بن رشيق 94
القيسي السالمي 82
(ك)
ابن الكتاني 148 162 166
الكرماني عبد الله محمد 8 12 13 38 47 78
الكسائي احمد 55 91
(م)

ابن مطروح يحي 82
ابن ميمون موسى 153
(ن)
ابن نشوان الجذامي 54
نصر بن عيسى بن نصر 42 115
(ه)
ابن هارون 67
سليمان بن محمد بن هود 12 175
احمد بن سليمان بن هود 3 11 12 14 30 35 39 40
43 46 73 82 83 92 95 97 102 106 110 131
152 166 170 175
يوسف بن سليمان 3 175
لب بن سليمان 175
المنذر بن سليمان 175
يوسف المؤتمن 3 10 12 13 32 39 40 42 43 92
95 97 131
احمد بن يوسف 32 35
(و)
ابن وافد الأندلسي 13 165
الوشقي 72
ولادة 99 113
(ي)
اليافعي 79
اليحصبي 17 52 53 65
يحي بن عبد الرحمن- د

فهرس الأماكن

(أ)
اراغون 4 82
اشبيلية 53 100 105 117 124 125 163
(ت)
تطيلة 123
(ث)
الثغر الأعلى 44 68
(س)
سرقسطة 2 3 5 6 7 8 9 10 11 12 13 16 18 19
22 25 26 29 30 31 33 123 127 147 184

فهرس الشعوب والقبائل

(أ)
بنو امية 45
(ب)
البربر 54
(ت)
بنو تجيب 8
(ر)
الرومان 1
(ش)
الشاميين 5
(ع)
العباسيين 45 60
(غ)
الغاليين 3
(ق)
القوط 4
(ه)
بنو هود 5 6 7 8 9 10 13 14 15 17 20 23 78
(ي)
اليهود 88 98

فهرس المحتويات

كلمة شكر :

الإهداء:

المدخل:

أ- تعريف سرقسطة .....أ

ب- موقعها.....ب

ت- جغرافيتها الطبيعية.....ت

ث- المناخ.....ث

ج- سرقسطة قبل بني هود.....ح

ح- تاسيس دولة بني هود.....ذ

خ- تقييم الحياة السياسية.....ط

د- لحياة الإجتماعية .....ض

ذ- الحياة الإقتصادية

1ذ- الزراعة.....ك

2ذ- الصناعة.....م

3ذ- التجارة.....ن

ر- اهم معالمها التارخية و الحضارية.....ه

المقدمة.....2

الفصل الأول:

°عوامل ازدهار الحياة الفكرية :
1- التربية والتعليم 29
2- المؤسسات التعليمية
أ- المساجد 33
ب- الكتاتيب 36
ج- بلاط الحكام وتشجيعهم للعلماء.....37
د- المكتبات و الكتب 39
ه- تعدد المراكز الثقافية.....43
و- الربط.....44
ي- الرحلات.....45
الفصل الثانـي:
°العلوم الدينية:
أ- علم القراءات.....50
ب- علم التفسير.....56
ت- علم الفقه واصوله.....58
ث- علم الحديث.....69
ج- علم الكلام.....75
ح- علم التصوف.....79
الفصل الثالث:
°العلوم السانية والأدبية :
أ- علم اللغة.....87
ب- علم النحو.....90
ج- علم البيان 94
د- الأدب
د1- النثر 98

د2 الشعر 103
ه الموشح.....114
و الزجل.....118

الفصل الرابع:

°العلوم الإجتماعية:
أ علم التاريخ.....122
ب علم الجغرافيا.....125
ت علم الفلسفة.....128
ث علم الموسيقى 136

الفصل الخامس:

°العلوم العقلية :
أ علم الطب والصيدلة.....146
ب علم الرياضيات
ب1 الحساب.....150
ب2 الهندسة.....151
ج علم الفلك او الهيئة 154
ح علم الكمياء 158
خ علم الفزياء.....160
د علم المنطق.....161
ذ علم الفلاحة.....164

الخاتمة.....169

الملاحق.....175
قائمة المصادر والمراجع.....186

الفهارس

فهرس الأعلام 207
فهرس الأماكن 213
فهرس الشعوب والقبائل 215
فهرس المحتويات.....216